

سلسلة الدراسات الأدبية النقدية (4)

# النزعة الإنسانية في أدب المهجر

## شعراء الرابطة القلمية «أنموذجاً»

د. صلاح التوم إبراهيم محمد

الطبعة الأولى  
2023م



# النزعة الإنسانية في أدب المهجر

شعراء الرابطة القلمية «أنموذجاً»

د. صلاح التوم إبراهيم محمد

الطبعة الاولى  
2023م

اسم الكتاب

# النزعة الإنسانية في أدب المهجر

شعراء الرابطة القلمية «نموذجاً»

اسم الكاتب

د. صلاح التوم إبراهيم محمد

الإيداع القانوني

2023/.....م



دار آريثريا للنشر والتوزيع  
Arithria for Publishing and Distribution

الناشر

دار آريثريا للنشر والتوزيع - الخرطوم - السودان

جوال: 00249122094856 - 121566207

البريد الإلكتروني: arithriaforpublishing@gmail.com

تاريخ النشر:

الطبعة الأولى - 2023م

جميع حقوق الطبع محفوظة للناشر والمؤلف

لا يسمح بإعادة إصدار هذا الكتاب أو أي جزء منه أو تخزينه كنسخة إلكترونية أو نقله بأي شكل من الأشكال دون إذن خطي مسبق من المؤلف والناشر



(هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ ذُلُولًا فَأَمْشُوا  
فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ <sup>عَلَى</sup> وَإِلَيْهِ النُّشُورُ)

(سورة الملك: الآية ١٥)

# المحتويات

الصفحة	الموضوع
7	الإهداء
9	تقديم
11	مقدمة
<b>الفصل الأول: هجرة الأدباء إلى الأمريكتين</b>	
17	المبحث الأول: أسباب الهجرة وبواعثها
30	المبحث الثاني: قوافل المهاجرين وروابطهم الأدبية
38	المبحث الثالث: محاسن الهجرة ومساوئها
<b>الفصل الثاني: الرابطة القلمية</b>	
45	المبحث الأول: نشأة الرابطة القلمية
57	المبحث الثاني: أعلام الرابطة القلمية
78	المبحث الثالث: العناصر البارزة في شعر الرابطة القلمية
<b>الفصل الثالث: مفهوم النزعة الإنسانية</b>	
103	المبحث الأول: النزعة الإنسانية ، تعريفها ومفهومها
111	المبحث الثاني: النزعة الإنسانية في الأدب العربي
124	المبحث الثالث: مفهوم النزعة الإنسانية لدى المهجريين
<b>الفصل الرابع: مظاهر النزعة الإنسانية في شعر الرابطة القلمية</b>	
130	المبحث الأول: الحنين إلى الأوطان
140	المبحث الثاني: التسامح الديني
146	المبحث الثالث: الإخاء والمساواة
154	المبحث الرابع : التفاؤل والتشاؤم
<b>الفصل الخامس: الخصائص التعبيرية لشعر الرابطة القلمية وآراء النقاد</b>	
165	المبحث الأول: اللفظ والأسلوب
170	المبحث الثاني: المعاني والصور
175	المبحث الثالث: الأوزان والقوافي
186	المبحث الرابع: آراء النقاد في شعر الرابطة القلمية
195	خاتمة
197	المصادر والمراجع

الإهداء

إلى كل ...

الأوفياء والمخلصين

للأدب العربي ،،،،،

## تقديم

بحمد الله وتوفيقه قُدر لي أن أشرف على هذا البحث الذي حمل في طياته عنواناً مشرقاً ومشرفاً وباعثاً الحيوية والأمل في القارئ الكريم وهو «النزعة الإنسانية في أدب المهجر»، وقد جاء الكتاب شاملاً لمعاني النزعة الإنسانية في أدب المهجر ولا سيما شعراء الرابطة القلمية، ويعبر بصورة كبيرة عن فحواه، وتتجلى معانيه في صورة زاهية راقية مجددة للفكر العربي الحديث.

وقد كنت متابعاً لهذا الجهد العلمي على مدى ثلاث سنوات ونيف منذ أن كان فكرة حتى وصل إلى هذا المستوى العلمي المهم في مادته وعرضه.

وقد أفرزت هذه الدراسة الظروف التي عاناها أدباء المهجر فلأجت في نفوسهم لواعج الإنسانية الصادقة النبيلة بكل ألوانها، من حنين وشوق وإخاء، وهذا يجسد أسمى معاني الأدب والثقافة عند كل الأدباء العرب.

ويسعدني ويشرفني هذا الجهد الكبير الذي بذله الأخ الدكتور / صلاح التوم إبراهيم محمد، فقد استفاد من أمهات المصادر والمراجع في صياغة بحث أصيل متفرد، وتم ربط الموضوعات بصورة علمية اتسمت بالموضوعية مما يجعله مرجعاً شاملاً لأدب المهجر، ولا سيما أدب المهجر الشمالي يستفيد منه طلاب العلم. وقد سار الباحث على منهج علمي رصين اتسم بالموضوعية والتنوع والأشعار الخالدة في معاني الإنسانية لدى أدباء المهجر.

يشغل البحث مكاناً مرموقاً بين الدراسات الأدبية، إذ يختص بميزات تحمله إلى رحاب الفرادة فقد ذكر بالعديد من المعلومات والحقائق الأدبية ذات القيمة والمردود التحليلي العميق فيمكن الرجوع إليه كأحد المراجع المهمة في الأدب العربي الحديث. وقد أوفى البحث حقه في التنظيم والترتيب والجدة والابتكار والموضوعية، فنال إعجاب واستحسان الجميع وعلى رأسهم لجنة المناقشة والامتحان، والتي أوصت بطباعته إلى كتاب.

وفي ظل النقص المرجعي لكتب أدب المهجر فإن هذا العمل يعد في مجمله إضافة حقيقية لقائمة المصادر والمراجع، بل يعد أهمها من حيث المادة والموضوع والمكانة الأدبية.

أَسْأَلُ اللَّهَ أَنْ يُوَفِّقَ طُلَّابَ الْعِلْمِ لِلسَّعْيِ الْجَادِ فِي الْإِهْتِمَامِ بِالْبَحْثِ الْأَدْبِيِّ الَّتِي تُعَدُّ  
نُبْرَاساً يَضِيءُ الطَّرِيقَ لِلْآخِرِينَ ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى مَا قَدَّمَ الْبَاحِثُ مِنْ جُهِدٍ يَهْتَدِي  
بِهِ مَنْ بَعْدَهُ.

والله الموفق.

د. ميرغني حمد ميرغني حمد

كسلا / الخميس 5 نوفمبر 2023 م



## مقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، الذي بعثه الله بالحنيفية الواضحة والدين القويم، فهدى النَّاسَ مِنَ الضلالة وبصرهم مِنَ العمى وأخرجهم مِنَ الظلمات إلى النور، وعلى آله مصابيح الظلام وهُدَاة الأنام، وعلى من سلك طريقه واقتفى أثره وتبع سُنَّته إلى يوم الدين.

وبعد:

فقد قدر للشعر العربي الحديث أن يتجدد باغتراب عدد من الأدباء والشعراء عن أوطانهم ضمن قوافل الهجرة التي شهدتها بلاد الشام ولا سيما لبنان وسوريا إلى بلاد الأمريكتين، في النصف الأول من القرن الرابع عشر الهجري لأسباب عديدة منها: السياسية والاقتصادية والاجتماعية.

وقوت هذه الهجرة لدى المهجريين من هؤلاء الأدباء، ارتباطهم الإنساني بأوطانهم وأشجانهم على الرغم مما واجهوه فيها من ألوان العنت، وصنوف الألم، حتى لجت في نفوسهم لواعج الإنسانية الصادقة بكل ألوانها من حنين وشوق وإخاء وتتبع أخبار الأوطان والتطلع واللهفة للرجوع إليها.

وقد أفرزت تلك الظروف التي عانى منها أدباء وشعراء المهجر أدباً وشعراً أصبح ثورة رائعة في صفحات أدبنا العربي الحديث، اكتنفته ظروف معينة أسهمت في تكوينه حتى جعلته يتخذ طابعاً خاصاً يتميز به.

وحين نفتح سجل الشعر العربي الحديث يتضح لنا من خلال تصفحه أن شعراء الرابطة القلمية بالمهجر الشمالي على وجه التحديد، قد لعبوا دوراً أساسياً في النهضة الشعرية التي عرفها العالم العربي مطلع القرن العشرين الميلادي؛ بل إنهم كانوا رموز هذه النهضة وصانعيها وباعثيها، فقد كانوا يرون أن الشعر تعبير عن موقف إنساني، نتج ذلك عن شعورهم بفضاء الحرية التي لم تتح لهم في الشرق، بالإضافة إلى حنينهم إلى أوطانهم التي هاجروا منها، وتمسكهم بقوميتهم العربية وارتباطهم بها، لذلك جاء شعرهم معبراً تعبيراً صادقاً عن مشاعرهم الإنسانية التي صوروها من خلالها عواطفهم ومختلف أحاسيسهم وتجاربهم.

ويقيني أن مجموعة الرابطة القلمية في المهجر الشمالي، مشتركون في نزعات إنسانية نبيلة متعددة، يقول الشاعر المهجري، رشيد أيوب:

سَمُوْحُ هُوَ الْمَرءُ الْمُفْرِقُ مَالَهُ \* وَلَكِنْ مَنْ يُعْطِي مِنَ الْقَلْبِ أَسْمَحُ

ولعمري لقد أتى أيوب بهذه الحكمة الغالية في بساطة ودون أية كلفة، مبيناً نظرتة الإنسانية الواسعة، طالباً من الجميع أن يعطي من القلب إلى القلب دون من أو أذى .

وها هو إيليا أبو ماضي شاعر المهجر الأكبر يقول مظهراً تأله وتحسره لإخوانه المحتاجين والبائسين، في نزعة إنسانية صادقة:

وَا رَحِمْنَا لِلْبَائِسِينَ فَإِنَّهُمْ \* مَوْتَى وَتَحَسَّبَهُمْ مِنَ الْأَحْيَاءِ  
إِنِّي وَجَدْتُ حُطُوظَهُمْ مُسَوْدَةً \* فَكَأَنَّمَا قُدَّتْ مِنَ الظُّلَمَاءِ

أما ميخائيل نعيمة فقد عبر عن إنسانيته العميقة في قصيدته المشهورة «أخي»، وليس أدل على رحابة آفاق ميخائيل نعيمة الإنساني، قوله:

وَأَجْعَلِ اللَّهُمَّ قَلْبِي وَاحَةً \* تَسْقِي الْقَرِيبَ وَالْغَرِيبَ

فشعراء الرابطة القلمية، كما يقول جبران: «قد بلغوا إلى قلب الحياة فوجدوا الجمال في كل شيء، حتى في العيون المتعامية عن الجمال».

إنَّ الحديث عن النزعة الإنسانية في كل تلك المهاجر يقتضي وقتاً طويلاً وبحوثاً منفصلة، لذا اقتصر الكتاب عن النزعة الإنسانية وتجلياتها ومظاهرها لدى أدباء وشعراء الرابطة القلمية؛ فقد حمل شعرهم وأدبهم عامة هموم الوطن وقضايا الأمة كافة في جزء مهم منه، كما حمل شعرهم، شعور الإنسان مع الإنسان بكل ما في هذا التعبير من شمول... شعور الإنسان مع الحيوان والنبات، وأحياناً شعوره بدافع الألفة مع الجماد.

وقد قسِّمُ الكتاب إلى مقدمة وخمسة فصول وخاتمة:

**الفصل الأول:** بعنوان «هجرة الأدباء إلى الأمريكتين»، درسته في ثلاثة مباحث، الأول: أسباب الهجرة وبواعثها والثاني: قوافل الشعراء المهاجرين وروابطهم الأدبية والثالث: محاسن ومساويء هجرة شعراء المهجر.

**أما الفصل الثاني:** فجاء بعنوان «الرابطة القلمية» تناولته في ثلاثة مباحث، الأول: عن نشأة الرابطة القلمية، والثاني: عن أعلام الرابطة القلمية، والثالث: عن العناصر البارزة في شعر الرابطة القلمية.

أما في ما يخص **الفصل الثالث:** فجاء تحت عنوان «مفهوم النزعة الإنسانية» وفيه ثلاثة مباحث، الأول: النزعة الإنسانية تعريفها ومفهومها، والثاني: النزعة الإنسانية في الأدب العربي ، والثالث: جاء عن مفهوم النزعة الإنسانية لدى المهجريين.

أما الفصل الرابع: فجاء تحت عنوان «بعض مظاهر النزعة الإنسانية في شعر «الرابطة القلمية»؛ حيث تناولتُ فيه دراسة اتجاهات ومظاهر النزعة الإنسانية في شعر شعراء الرابطة القلمية من خلال أربعة مباحث، الأول: الحنين إلى الأوطان، والثاني: التسامح الديني، والثالث: الإخاء والمساواة، والرابع: عن التفاؤل والتشاؤم.

أما الفصل الخامس: فجاء تحت عنوان: «الخصائص التعبيرية لشعر النزعة الإنسانية وآراء النقاد»، حيث تناولتُ فيه أبرز الخصائص الفنية في شعر الرابطة القلمية، بالإضافة إلى آراء بعض النقاد لشعر شعراء الرابطة القلمية؛ وذلك من خلال أربعة مباحث، الأول: اللفظ والأسلوب، الثاني: المعاني والصور، الثالث: الأوزان والقوافي، والرابع: عن آراء بعض النقاد في أدب المهجر.

والجدير بالذكر أنّ هذا الكتاب رسالة دكتوراه تقدّمتُ بها لنيل درجة الدكتوراه في اللّغة العربية وآدابها -جامعة كسلا ، وقد أوصت لجنة المناقشة بنشرها، ولقيت الرسالة من الترحيب والتشجيع ما زاد إيماني بأهمية الموضوع وقيّمته، فإذا استطاعت هذه الصفحات أن تنحت لبنة صغيرة متواضعة في أدبنا العربي كان ذلك خير كسب لي، وكنت به موفقاً وسعيداً .

وصل اللهم وبارك على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وعلى آله وصحبه.

صلاح التوم إبراهيم

السودان - كسلا

رمضان 1444هـ / أبريل 2023م

## الفصل الأول

# هجرة الأدباء إلى الأمريكتين

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول

أسباب الهجرة وبواعثها

المبحث الثاني

قوافل المهاجرين وروابطهم الأدبية

المبحث الثالث

محاسن الهجرة ومساوئها

## المبحث الأول أسباب الهجرة وبواعثها

هاجرت جماعات من العرب، وبخاصة من سوريا ولبنان في القرن التاسع عشر الميلادي والقرن العشرين، إلى العالم الجديد (الأمريكتين)، ونقلوا اللغة العربية والأدب العربي إلى تلك المهاجر

البعيدة، وأنشأوا في تلك الديار النائية شعراً وأدباً يعبرون به عن مشاعرهم وعواطفهم، ويتحدثون فيه عن غربتهم وحنينهم إلى أوطانهم، ويصفون فيه البلاد التي أقاموا فيها، ومظاهر الحضارة السائدة في حياة الناس هناك؛ كما يصفون حياتهم وما تعرضوا له من عناء وشقاء وتجارب مريرة مثيرة، وكان شعرهم هذا هو الشعر المهجري، الذي أصبح مدرسة أدبية كبرى، بين مدارس الشعر العربي الحديث ومذاهبه، وعني به الأدباء والنقاد والباحثون، وكُتب حوله وحول أعلامه ورموزه الكثير من الدراسات والبحوث، كما ظهرت فيه عدد من المؤلفات التي نالت حظاً من الذیوع والشهرة.

كان المهاجرون العرب من الأدباء والشعراء يعيشون في بيئة هم عنها غرباء، كما كان المتنبي غريباً في بلاد فارس، وهو يزورها ويردد قوله:

مَغَانِي الشَّعْبِ طَيْباً فِي الْمَغَانِي \* بِمَنْزِلَةِ الرَّبِّي مِنْ الزَّمَانِ  
وَلَكِنَّ الْفَتَى الْعَرَبِيَّ فَيَا \* غَرِيبُ الْوَجْهِ وَالْيَدِ وَاللِّسَانِ<sup>(1)</sup>

أما غربة هؤلاء المهجريين الذين نحن بصدد دراستهم، تختلف إذ عاشوا في ألفة فكرية مع بيئتهم الجديدة، ولم يعيشوا شاعرين بغربة المتنبي؛ وإنْ شعروا بالغربة الحسية لبعدهم عن أوطانهم؛ بل كان بعضهم يشعر بالغربة الفكرية في وطنه للبعد بين أفكاره وأفكار مجتمعه، فهاجر ليجد الحرية الفكرية في مجتمع جديد، كما يقول الدكتور أحمد زكي أبو شادي الشاعر المصري الذي هاجر إلى نيويورك في إبريل 1946م:

وَعُربَةٍ الْفَكْرِ فِي دَارٍ يُمَجِّدُهَا \* أَقْسَى عَلَى الْحَرِّ مِنْ فَقْدَانِ نَاطِرِهِ<sup>(2)</sup>

وقد كان وراء هجرة هؤلاء الأدباء والشعراء العديد من الأسباب والبواعث التي تضافرت جميعها أو معظمها لتشكل لهم دوافع قوية، ولا سيما لِمَنْ تهيأت لهم

(1) ديوان المتنبي، ص 419 .

(2) أحمد زكي أبو شادي، ديوان من السماء، ص 17 .

ظروف الهجرة في ذلك الوقت؛ وقد اختلف المؤرخون في تقدير أسباب الهجرة، وهم برغم هذا الاختلاف الظاهر مجمعون على أنّ السبب الأوّل والمباشر لتلك الهجرة إنّما هو دافع اقتصادي نجم عن فقر بلادهم وقلة أرزاقها، بالإضافة إلى عامل سياسي؛ هو اضطهاد الدولة الحاكمة للرعايا وسوء الإدارة وفساد الأحوال؛ ولا شك أنّ هناك أسباب أخرى أيضاً دفعتهم إلى الهجرة، وهي أسباب إمّا اجتماعية أو أدبية أو نفسية أو غيرها، كان لها أثر كبير في التشجيع على الهجرة والحثّ عليها في ذلك الزمان.

وقبل أن نشرع في تناول أسباب ودوافع هجرة الأدباء والشعراء المهجريين بشيءٍ من التفصيل، نضع أمامنا ثلاثة أسئلة وهي:

أولاً- لماذا كانت الهجرة في الأغلب الأعمّ من سوريا ولبنان؟

ثانياً- لماذا كانت الهجرة إلى أمريكا «العالم الجديد» بالذات؟

ثالثاً- لماذا كان أغلب المهاجرين من غير المسلمين وبالتحديد من المسيحيين؟

ومن خلال الرجوع إلى مؤلفات مؤرخي الآداب والمصادر المختلفة، ودواوين شعراء المهجر أنفسهم، نجيب عن تلك الأسئلة من خلال تناولنا لتلك الدوافع والأسباب المتعددة.

أولاً- الدافع السياسي: خضعت بلاد الشام إلى الحكم التركي سنة 1516م، وظلت ترزح تحت وطأة الحكم العثماني، وقد عانت البلاد الأمرين، من عسف الأتراك وظلمهم، وسوء إدارتهم للبلاد وكتبهم للحريات، ففي عهد السلطان سليم الأوّل، سيطر الأتراك سيطرتهم المطلقة على البلاد، وقد ساعدهم في الاستيلاء على بلاد الشام الإقطاعيون في سوريا ولبنان، وذلك بتقديم ولائهم للعثمانيين، مما جعل السلطان العثماني يثبّتهم في حكم مقاطعاتهم، معولاً على اصطناعهم أدوات للحكم العثماني، وتعهدهم بمال معين يدفع لخزينة الدولة؛ وهذا ما رسّخ للنظام الإقطاعي في بلاد الشام ولا سيما سوريا، حتى أصبح أحد المقومات الأساسية في الحياة السياسية والاجتماعية في العصر الحديث؛ وقد كان السلطان العثماني يسوس الناس بقضيب من حديد، ويحكم أفواه الأحرار، ويحطم أقلام المفكرين .

وبعد خلع السلطان عبد العزيز الذي كان يحكم ولاية سوريا بسبب تخليه عن التمسك بالقوانين والأنظمة، أتى السلطان عبد الحميد الثاني معلناً نظام الخلافة، وذلك بإقامة «الجامعة الإسلامية» واستقطاب الشخصيات الإصلاحية الدينية، وكان

يهدف من ذلك المحافظة على ولاء العناصر المسلمة غير التركية داخل الإمبراطورية العثمانية؛ ولكنه أيضاً تخلص عن سياسته، واستبد بالحكم وأضرَم الكثير من الصراعات، كما فرض حالة من الإرهاب وعم الفساد والخراب في الإقليم كله، حتى لُقّب بالسلطان الأحمر .

أمّا منطقة لبنان فقد كان عليها الأمراء الشهابيون الذين في عهدهم استكمل النظام الإقطاعي هيكله الأساسي، فقد كانت قاعدته تتكون من عامة الشعب، وهم يمثلون أدوات الإنتاج، ويخضعون في المقاطعات المختلفة لبيوت ارسنقراطية يعرف زعماءها «بالمشايع»، وفوق هذا البناء الإقطاعي كله يقيم الأمير الشهابي صاحب القوة المطاعة، وهو بقوته العسكرية الإقطاعية يقاوم خصومه .

وبعد أن احتل إبراهيم باشا بلاد الشام (1831م - 1840م) شجع البعثات الدينية الإدارية الأوربية والأمريكية على الإقامة في تلك البلاد، وقد وطّد مركزهم وصار لهم نفوذ عظيم بين الطائفة المارونية في لبنان، ولم تقتصر أعمالهم على الجانب الديني فقط؛ بل عملوا على تمكين السياسة الفرنسية في بلاد الشام، أمّا بريطانيا فقد انتفعت بصداقتها مع زعماء عشائر «الدروز» جنوب لبنان، الأمر الذي جعل المسلمين يتحدون سياسته التي اتبعها لإشعال الثورة ضده، حتى اضطره الأمر لفرض التجنيد الإجباري لزيادة أفراد جيشه، وكذلك فرض ضرائب تعسفية تجبى مقدماً عن سبع سنين، ونزع سلاح اللبنانيين خوفاً من المقاومة.

لذا كانت الأعوام الواقعة بين سنتي (1804م و 1860م) تمثل أعوام الحرب الأهلية بين الدروز والنصارى والتي انتهت بمذبحة 1860م، وعلى إثر هذه المذبحة تدخلت الدول الأجنبية، فأرسلت فرنسا حملة استولت على بيروت، فما كان على السلطان العثماني إلا وأن أرسل وزيره «فؤاد باشا» فاتفق مع فرنسا وتم وضع القانون الأساسي عام 1861م وعدل عام 1864م ليعين بموجبه حاكم متصرف، يُعين بواسطة الدول الكبرى وهي: فرنسا، وإنجلترا، وروسيا، والنمسا، وإيطاليا .

ثمّ ازداد النشاط السياسي لتلك الدول الأجنبية لإضعاف الدولة العثمانية من الداخل، خاصة في عهد السلطان «سليمان القانوني»، وخاصة بعد أن تقرر في مؤتمر برلين عام 1878م منح الدول الأجنبية حق حماية الطائفة المرتبطة بها في المذهب في تلك المناطق؛ وكانت الدول الأوربية تشجع المسيحيين على الهجرة والتخلص من النير التركي الصفيق، وتهيئ لبعضهم الوسائل والسبل لمغادرة الأقطار التي يسيطر العثمانيون عليها، ويسعون لتتريكها بالحديد والنار .

ويرى أوغست أديب باشا - مؤلف كتاب لبنان بعد الحرب- أنَّ «القانون الأساسي» هو السبب الأول في مهاجرة آلاف اللبنانيين، لأنَّه حصر منطقة جبل لبنان في حدوده الحالية، ولو وضع هذا القانون على قاعدة العدل والسياسة لضمن إلى لبنان الأراضي والثغور البحرية التي هي ملكه من أوجه كثيرة، ويرى كثيرون أنَّ هذا القانون قوبل بسخط شديد ومنهم دكتورة نادرة سراج، فتقول: «إنَّ القانون الأساسي الذي منح لبنان فيما بعد الاستقلال الذاتي، أنتج ثورة 1860م التي أوجدت البذور الأولى للوعي القومي العربي وتفكير عدد من الشباب العربي في تخليص بلادهم من الحكم العثماني، وبلورة بذور الوطنية مع مرور الزمن، وإنشاء الجمعيات السرية والعلنية المناهضة للقومية التركية»؛ وقد عبر شعراء المهجر عن ذلك في كثير من أشعارهم، فهاهو الشاعر نجيب حداد يدعو إلى التخلص من السيطرة العثمانية، فيقول:

أَنَّ الْأَوَّانُ أَنْ أَخَاطِرُ بَالِدِمِ \* مَن لَمْ يُخَاطِرْ بِالْدِّمِ لَمْ يَسْلَمْ  
أَجْزِيرَةُ الْعُرْبِ الَّتِي أَحْبَبْتُهَا \* كَمْ مِنْ أَكْفٍ قَدْ رَمَتْكَ بِأَسْهُمِ<sup>(3)</sup>

وظلَّ الحال على هذا المنوال، والحكم العثماني يتطور من سيئ إلى أسوأ، والأأيادي الأجنبية تعبت بالبلاد، والجهل مرخ سدوله على المنطقة؛ بالإضافة إلى بواعث الكُرْهِ المتأصلة في نفوس الشعب ضد الحكم التركي، والثورة المكبوتة التي لم تتح لها الظروف أن تتفجر، الأمر الذي دفع بذوي النفوس التواقفة للحرية، أن يلتمسوا لأصواتهم الحبيسة وأفكارهم السجينة منبراً حراً، فلم يجدوا بداً من هجر أوطانهم إلى أوطان أخرى يلتمسون فيها الحرية والفضاء الرحب .

إذن الهجرة من بلاد الشام خاصة من سوريا ولبنان إلى أمريكا لم تكن في مجموعها إلا فراراً من سوء الحالة السياسية في الأوطان، والالتجاء إلى كنف الحرية، وهذا ما أكدّه الشعراء المهجريون أنفسهم عبر سطورهم الأدبية وأشعارهم، فها هو الشاعر «شكر الله الجر»، يقول:

إِيَّاهُ لُبْنَانُ يَشْهَدُ اللَّهُ أَنَا \* مَا هَجَرْنَاكَ عَلَى قَلْبٍ وَصْلَابَةٍ  
إِنَّمَا أَصْبَحَ الْمَقَامُ بِأَرْضِ \* الْأَرَزِّ لِلْحُرِّ ذِلَّةٌ وَمَعَالِيَةٌ  
كَيْفَ لَا يَهْجُرُ الْأَبْيَ مَكَاناً \* مَلَأَ الْيَأْسُ جَوْهَ وَرَحَابَهُ؟<sup>(4)</sup>

نلاحظ في الأبيات السابقة أنَّ الشاعر «شكر الله» يبرر هجرته وترك وطنه العزيز

(3) نجيب سليمان حداد ، ديوان تذكّار الصبا .

(4) شكر الله الجر ، ديوان الروافد .



بسبب وطأة المستعمر وجثومه علي صدره، مما جعل الحياة مليئة بالذل والهوان، واستحالت إلى يأس وقنوط، وقد استغل الشاعر إحياءات الألفاظ لتصوير هذه الحياة البائسة الذليلة في ظل الاستعمار، وتأمل لفظة «أصبح» التي ترمز إلى واقع مؤلم، ومستقبل مجهول لأهل لبنان، وتأمل لفظة «الحر» فقد أوحى بالتمرد والعصيان علي «الذل»، وعدم قبول حياة الضيم، وجاء بالاستفهام (كيف) وهي تأتي للسؤال عن الحال، وقد تأتي بمعنى «التعجب»؛ والاستفهام يتضمن إنكاراً لفعل الإقامة في الوطن، كما يدعو الشاعر إلى تأمل الواقع السياسي في «لبنان» المحتل.

## ثانياً- الدافع الاقتصادي:

كان المستوى الاقتصادي في بلاد الشام متأزماً، فنظام الإقطاع الذي كان سائداً أثار أثراً كبيراً في أحوال البلاد الاقتصادية، فقد كان الفلاحون عُرضة في معظم الأوقات لظلم صاحب الأرض الإقطاعية الذي كان يستحل أتعابهم، ويسومهم سوء العذاب إن عصوا، ومن ناحية أخرى كان الفلاحون يعتمدون على الأساليب البدائية والتقليدية في الزراعة في جميع مراحلها وطرق ريها، ممّا أدى إلى تناقص الأرض الصالحة للزراعة، وقلة الإنتاج والإنتاجية<sup>(5)</sup>؛ هذا بجانب الضرائب التي كانت تجبى بطرق مختلفة ولغايات متنوعة من إعانة وسكة حديد وابتناء أسطول وغيرها من الأسباب التي لم يستطع الفلاح التخلص منها، فكان يدفعها مرغماً ويؤديها صاغراً سواء كانت للحكومة أم لسادته الإقطاعيين<sup>(6)</sup>.

وكذلك الحال في الصناعة «كصناعة النسيج والحريز وغيرها»، فقد تم احتكارها من قبل الحكام والسلطين، بالإضافة إلى عدم تشجيع الحكومة التركية على أعمال الصناعة بمختلف أنواعها<sup>(7)</sup>.

وعامل «الاستدانة» هو الآخر كان له أثر كبير في إضعاف الصانع والفلاح، حيث انتشرت بكثرة في البلاد تصفية المصانع وبيع الأراضي، والتوجه للمهاجر انتجاعاً للرزق وسداً للعوز ودفعاً للفاقة<sup>(8)</sup>؛ وعن ذلك يقول جورج معلوف: «لقد جئنا المهاجر مستنجدين مسترزقين»، ويقول إيليا أبو ماضي مسوغاً لهجرته:

(5) الخوري باسيلوس خرباوي، تاريخ الولايات المتحدة منذ اكتشافها إلى الزمن الحاضر ويليهِ تاريخ الهجرة السورية وما يتعلق

بها، (د.ط)، 1913، نيويورك، ص 765.

(6) نادرة جميل سراج، شعراء الرابطة القلمية، ص 4

(7) المرجع السابق، ص 44.

(8) إحسان عباس ومحمد يوسف نجم، الشعر العربي في المهجر، ط3، 1982، دار صادر، بيروت، لبنان، ص 14.

أَرْضُ آبَائِنَا عَلَيْكَ سَلامٌ \* وَسَقَى اللّهُ أَنْفُسَ الْآبَاءِ  
مَا هَجَرْنَاكَ إِذْ هَجَرْنَاكَ طَوْعاً \* لَا تَنْظِي الْعُقُوقَ فِي الْأَبْنَاءِ  
ضُعَفَاءَ مُحَقَّرُونَ كَأَنَّا \* مِنْ ظَلَامِ النَّاسِ مِنْ لَأَلَاءِ<sup>(9)</sup>

ويقول إيليا أبو ماضي أيضاً:

لُبْنَانُ لَا تَعْذُلْ بَنِيكَ إِذَا هُمْ \* رَكِبُوا إِلَى الْعِلْيَاءِ كُلَّ سَفِينِ  
لَمْ يَهْجِرُوكَ مَلَالَةً لَكُنْهُمْ \* خُلِقُوا لِصَيْدِ اللُّلُؤِ الْمَكْنُونِ<sup>(10)</sup>

فإذا أضفنا إلى هذه العوامل الاقتصادية عاملاً آخرًا وهو نمو السكان وازدياد عددهم بتوالي السنين، استطعنا أن نقدر تلك الحاجة الشديدة التي شعر بها المهاجرون والتي دفعت بهم في موجات متلاحقة إلى خارج بلادهم طلباً للرزق وسعيًا وراء لقمة العيش<sup>(11)</sup>.

بلا شك أن الظروف الاقتصادية السيئة كانت دافعاً وباعثاً أساسياً في هجرة السكان من بلادهم على حد تعبير الأستاذ أنيس المقدسي، فيقول: «وكان الباعث الأكبر على الهجرة هو اختلال الأوضاع الاقتصادية في السلطة العثمانية بفساد الحكومة الاستبدادية حتى تضعف الزمن وسادت الفوضى، ودَرس العلم، وتفلت المعيشة»<sup>(12)</sup>.

وقد كان هذا الوضع سبباً ودافعاً قوياً لهجرتهم، صوره كثير من الشعراء المهجريين؛ منهم الشاعر مسعود سماحة، فيقول:

سَأُضْرَبُ فِي الْأَرْضِ لَا خَائِفاً \* مِنَ الْبَرِّ أَوْ لُجْجِ الْأَبْحَرِ  
وَأُنْزَلُ فِي بَلَدٍ دُونَهُ \* سُمُو الْمَرَّةِ وَالْمُشْتَرَى<sup>(13)</sup>

يقول «توفيق ضعون» وهو أحد المهجريين: «إن الذين غادروا سوريا، إنما نزحوا منها هرباً من الفقر والجوع، وقد أمّوا هذه البلاد وسواها لكي يجمعوا ما يمكنهم بعضه من العيش بهناء، ويشترى لهم البعض الآخر نصيباً من العدل والحرية»<sup>(14)</sup>؛ يقول الأستاذ محمد كرد علي: «والذي ظهر من قرائن الأحوال أن ابن لبنان أول

(9) ديوان إيليا أبي ماضي، تحقيق عفيف نايف حاطوم، ط1، 2010، دار صادر، بيروت، لبنان، ص 32.

(10) - المرجع السابق، ص 432.

(11) نادرة جميل سراج، شعراء الرابطة القلمية، ص 45.

(12) أنيس المقدسي، الاتجاهات الأدبية في العالم العربي الحديث، ط2، 1977، دار العلم للملايين، بيروت، ص 112.

(13) ديوان مسعود سماحة، مطبعة جريدة السمير، 1938، بروكلين، نيويورك، ص 47.

(14) - حسن جاد حسن، الأدب العربي في المهجر، ط1، 1965، دار الطباعة المحمدية، القاهرة، مصر، ص 7.

فلاح سوري هاجر إلى أمريكا، مجذوباً بما أشتهر عن القارة الأمريكية من الغنى...»<sup>(15)</sup>؛ فالفلاح الذي لا تعرف قدره اللحم إلا مرة في العام، وغرفته المظلمة تضيق بالزوج والأولاد والبهائم، ورزقه مباح للحاكم ولرجل الدين، يسمع الأخبار عن بلاد بعيدة تدر الخيرات وتؤمن الحريات، فتنتابه رعشة تسري في مفاصله، وتجعله كالمحموم يهذي بكلمة «الهجرة» ويعلق عليها كل أمانيه»<sup>(16)</sup>.

من هنا نرى أنّ السبب الاقتصادي يُعدّ العامل الأهم والأقوى لهجرة هؤلاء الأدباء والشعراء وعامة الناس - آنذاك - إلى العالم الجديد (الأمريكتين)، حيث الفقر والحرمان هما مصير الكثير من السكان، وإهمال الزراعة والصناعة وشتى مرافق الحياة، لم ينفع في مداواتها جهد ولا نشاط، في وسط رجعي النزعة وفي ظل حكومة غاشمة، تستحل الأرزاق، وتهدد الأرواح.

### ثالثاً- الدافع الديني:

تنوّعت الأقليات في بلاد الشام في العهد العثماني، فكان هناك عدد من العصبية الإقطاعية والطوائف الدينية تمثلت في الدروز والنصيرية والبدو، وطوائف غير إسلامية مثل الروم والأرثوذكس، وطائفة الأرمن، والكاثوليك، والموارنة، وطائفة اليهود الذين كانوا متمركزين في دمشق.

فهذا التنوع الديني كان له دور مؤثر تمثل في الاضطهاد الديني والتضييق على الأقليات، والعصبية التي أشعلتها السياسة التركية بين أبناء الإقليم الواحد، بالإضافة إلى استخدام سياسة «فرق تسد»، وبسبب هذه السياسة الخرقاء جرت مذابح دموية هائلة، ومجازر بشرية، كمذبحتي ( 1840م ، و 1860م ) ، وغيرهما من المذابح العنيفة، وهذا ما استقلته الدولة العثمانية والأجانب بإثارتهم للفتن لتحقيق مطامع سياسية، حيث كان الانجليز وراء الدروز، والفرنسيون وراء الموارنة، ولم يكن جبل لبنان يعرف هذا النوع من الصراع قبل تدخل فرنسا وبريطانيا؛ ومنهم من يرى أنّ الانقسام الطائفي بدأ بحوادث فردية ما لبثت أن شاعت على أثرها لبنان وتعدى إلى سوريا عام 1860م؛

وقد اعترف بهذا الأمر والي الشام في قوله: «في سوريا آفتان هما المسيحيون والدروز، فكما ذبح أحدهما الآخر استفاد الباب العالي»<sup>(17)</sup>.

إلا أنّ المعاصر «أنطوان ضاهر» ذكر أنّ السبب المباشر لهذه المذابح، كان الخروج على

(15) المرجع السابق ، ص 8 .

(16) جورج صيدح ، أدبنا وأدباؤنا في المهاجر الأمريكية ، ط3 ، د 1964 ، ار العلم للملايين ، بيروت ، لبنان ، ص 32 .

(17) وليم الخازن ، الشعر والوطنية في لبنان والبلاد العربية ، دار العلم للملايين ، (د.ط.) ، 1992 ، بيروت ، لبنان ، ص 392 .

مشايخ الدروز الإقطاعيين، وعلى رؤساء الإقطاع النصارى، فقد عصى الدروز أمراءهم الشهابيين وأنّ الموارنة أيضاً ثاروا ضد آل الخازن الإقطاعيين، بغية التحرر من الفسوق والظلم، فأخذ هؤلاء المشايخ يضطهدون الأهالي ويوقعون الفتن بين الطوائف المختلفة، مستغلين الشقاق الذي بينهم<sup>(18)</sup>.

ولم يقف هذا الصراع الطائفي عند هذا الحد، بل أخذ طابعاً دينياً، حيث دعمت الدولة العثمانية المسلمين على حساب الطوائف الأخرى، وكان ذلك في الخدمة العسكرية والوظائف الإدارية والقضائية التي كانت لا تزال مقصورة على المسلمين، فازداد ارتباط الطائفة المسيحية بالدول الأجنبية حيث أنشئت لهم المدارس والمستشفيات والكنائس والأديرة، ونشطت الإرساليات التنصيرية والجمعيات الخيرية؛ وقد كان لهذا الصراع والاضطهاد دافع وباعث لهجرة هؤلاء المهجريين، الذين سمعوا أنّ الفرق شاسع بين حرية الأديان في العالم الجديد، وبين التعصب الديني في أوطانهم؛ وقد أبدى كثيرون استغرابهم لهذا التعصب الأعمى، منهم «محمد عبد الغني»، إذ يقول: «فالناس جميعاً في نظر الإنصاف والتقدير السليم والسماحة والمعنى الإنساني الواسع الكريم متساوون أمام الله، فلا وجه لإثارة الخلاف الديني والتعصب المذهبي بينهم؛ وكل دين يفرق بين الناس، أو يقيم بينهم أسباب الخلاف ليس بشيء<sup>(19)</sup>.

وهذه النظرة السمة الواسعة إلى الدين مع كراهة التعصب، كانت من الدوافع والأسباب القوية لهجرتهم لتلك البلاد النائية، فالشاعر محبوب الخوري الشرتوني يقول:

كُلُّ شَعْبٍ فَشَا تَتَّعَصَبُ فِيهِ \* هَانْ ، وَالْمَوْتُ مِنْ وَرَاءِ هَوَانِهِ<sup>(20)</sup>  
ويقول في قصيدة أخرى:

قَالُوا: تُحِبُّ الْعُرَبَ قُلْتُ أَحِبَّهُمْ \* يَقْضِي الْجَوَارُ عَلَيَّ وَالْأَرْحَامُ  
قَالُوا: الدِّيَانَةُ قُلْتُ جِيلٌ زَائِلٌ \* وَتَزُولُ مَعَهُ حَزَازَةٌ وَخِصَامٌ<sup>(21)</sup>

حاول أدباء وشعراء المهجر بعد هجرتهم أن يعالجوا قضايا التعصب الديني، الذي تعرضوا له؛ فالتأمل في دواوينهم وأشعارهم كثيراً ما يجد شاعراً مسيحياً يشيد بالإسلام وبمحمد صلي الله عليه وسلم، كما نجد شاعراً مسلماً يشيد بالمسيح عليه السلام، وبمحبة المسيح وحبه للسلام، ومن ذلك ما قاله الشاعر رشيد أيوب:

(18) نادرة جميل سراج ، شعراء الرابطة القلمية ، ص 30 .

(19) محمد عبد الغني حسن ، الشعر العربي في المهجر، ص 44 .

(20) ديوان الشرتوني ، ط نيويورك ، 1937 ، ص 140 .

(21) المرجع السابق ، ص 132 .

فَمَنْ يَأْتِرَى أَعْلَى الْوَرَى كُمَحْمَدٍ \* وَأَرْفَعُهُمْ مَجْدًا، وَأَسْمَى مَنَاقِبًا<sup>(22)</sup>

ويقول رشيد أيوب أيضاً:

أَصْلِي لِمُوسَى وَأَعْبُدْ عِيسَى \* وَأَتْلُو السَّلَامَ عَلَى أَحْمَدَ<sup>(23)</sup>

رابعاً- دوافع اجتماعية ونفسية:

إذا رجعنا للتاريخ ونظرنا إلى بلاد الشام نجد أنها كانت أسبق البلاد الشرقية إلى قبول المبشرين الأجانب من بلاد الغرب، ممّن كانوا يقصدون بلاد الشرق لأسباب سياسية ودينية واجتماعية، فالدور المباشر وغير المباشر الذي لعبه هؤلاء المبشرون في الترغيب في الهجرة، والحث عليها وتحبيب البلاد الأجنبية إلى نفوس النشء ممّن تعلموا في مدارسهم، كان له بالغ الأثر في هجرة المهاجرين، بالإضافة إلى ما كانت ترد إليهم في الوقت نفسه من أخبار عن العالم الجديد عبر ما يبثه السياح والمبشرون، وشركات الملاحة المختلفة من دعاية للغرب من الموانئ اللبنانية؛

كذلك نجد المعارض التي أقيمت في أمريكا منذ أواخر القرن التاسع عشر، كمعروض فلاديفيا (1879م)، والمعروض الكولومبي (1893م)؛ حيث اجتذبت هذه المعارض كثيراً من الشاميين لبيع ما جاءوا به من بلادهم من مصنوعات وطرائف، ثم عودتهم بالثراء الذي استرعى انتباه إخوانهم في الوطن.

وقد لعبت حكومات الدول الأجنبية دوراً كبيراً في تشجيع الشاميين للهجرة من خلال تنشيط المهاجر إليها توسلاً لاستثمار أراضيها الزراعية الواسعة، واستنبطت وسائل فريدة لاجتذاب السواعد القوية والفتية، وفتحت أبوابها للمهاجرين العرب، بالإضافة إلى ذلك ما كان يسمعه الأهالي في بلادهم عن أمريكا أرض الغنى، وما شاع عن اكتشافات مناجم الذهب في مناطق متفرقة فيها؛

وأمام كل تلك المغريات والبواعث المشجعة، لم يجد الشاميون ما يمنعهم من ترك بلادهم غير نادمين على ما فيها من فقر وظلم وقسوة؛ وعن ذلك الدافع، يقول الشاعر المهجري مسعود سماحة:

سَلَامٌ عَلَى أَرْضِ كُونْبَس \* سَلَامٌ عَلَى رَبْعِهَا الْأَزْهَرِ<sup>(24)</sup>

(22) رشيد أيوب، الأعمال الشعرية الكاملة، تقديم دكتور ميشال جحا، ط 1، 1985، دار بيسان للنشر، بيروت، ص 45.

(23) رشيد أيوب، ديوان الأيوبيات، ط نيويورك، ص 14.

(24) ديوان مسعود سماحة، مطبعة السمير، نيويورك، 1938.

## خامساً- دوافع أخرى:

بالإضافة إلى تلك الأسباب التي كانت دوافع رئيسة لهجرة المهاجرين العرب إلى بلاد أمريكا، أو كما كان يطلق عليها «العالم الجديد» عثرنا على أسباب أخرى لا تقل أهمية عن تلك التي ذكرناها يمكن أن نجملها في الآتي:

### أ/ دوافع تاريخية قديمة:

ليس النزوح عن الوطن بجديد على الشاميين «اللبنانيين والسوريين»، فهم ورثة الفينيقيين الذين كان دأبهم الحل والترحال والتجوال في آفاق الأرض، وهم الذين جابوا البحار منذ القرن الثاني عشر قبل الميلاد، واحتكروا الملاحة وحفظوا أسرارها، وتاجروا في كل البضائع، فلا غرابة أن نجد ذلك لدى أحفادهم، فالغريزة التجارية التي ورثها السوري من أسلافه الفينيقيين، وفقر بلاده، والأحوال السياسية فيه حملته إلى أقطار المعمورة<sup>(25)</sup>، بالإضافة إلى ذلك، طبيعة لبنان أودعت مزاج أهله إلهاماً وطموحاً، ومن طبع اللبناني أنه نزّاع إلى الرحلة والسفر، رائداً للرزق تحت كل شمس<sup>(26)</sup>، واللبناني في داره كالمارد المكبوت، يتململ في قمقمه، وينفلت منه حال ما يتاح له الانفلات<sup>(27)</sup>، فلا يضير الشامي أن يهاجر إلى أي مكان يستطيع أن يرى فيه اليسر والرخاء والأمن على النفس والمال، وما نشهده اليوم من موجات لهجرة الشاميين خاصة السوريين إبان ثورات «الربيع العربي»، وتردي الأوضاع السياسية والاقتصادية في بلادهم، يؤكد تلك الغريزة الموروثة لديهم في الهجرة، فقد وصلت موجات المهاجرين الفارين من ويلات الحروب والقمع السياسي إلى معظم دول العالم بما فيها السودان.

وقد عُرف عن السوريين واللبنانيين ميلهم الطبيعي للمخاطرة وركوب الصعاب والأهوال، في سبيل العيش والكسب، وهو أمر مرتبط كذلك بإرثهم التاريخي القديم؛ وقد صور الشاعر المهجري «مسعود سماعة» تلك المراحل المضنية وركوب الأهوال والمخاطر في سبيل الهجرة، فقال:

كَمْ طَوَيْتُ الْقَفَارَ مَشْيًا وَحَمَلِي \* فَوْقَ ظَهْرِي يَكَادُ يَقْسَمُ ظَهْرِي  
كَمْ قَرَعْتُ الْأَبْوَابَ غَيْرَ مَبَالٍ \* بِكَلَالٍ أَوْ قُورٍ فَصَلٍ وَحَرٍ  
كَمْ وَلَجْتُ الْغَابَاتِ وَاللَّيْلُ دَاجٍ \* وَوَمِضُ الْبُرُوقِ شَمْسِي وَبَذْرِي  
كَمْ تَوَسَّدْتُ صَخْرَةً وَزِرَاعِي \* تَحْتَ رَأْسِي وَخِنْجَرِي فَوْقَ صَدْرِي<sup>(28)</sup>

(25) حسن جاد حسن، الأدب العربي في المهجر، ص 7.

(26) نادرة سراج، شعراء الرابطة القلمية، ص 48.

(27) المرجع السابق، ص 48.

(28) ديوان مسعود سماعة، ص 44.

## ب/ دافع الصدفة :

الشاعر «رياض المعلوف» يرجع أسباب هجرته وهجرة آخرين لعامل «الصدفة»، وذلك في رسالة أرسلها إلى دكتور صابر عبد الدايم، مجيباً عن سؤاله حول البواعث التي دفعته إلى الهجرة والثمرات الأدبية والروحية التي أنضجتها تجربة الغربة، فقال: «هي الصدفة ليس إلا...»<sup>(29)</sup>؛ ولعل تأخر هجرة الشاعر رياض المعلوف وما هو فيه من رغد العيش وظروف نفسية مستقرة، جعلت الهجرة لديه صدفة ليس إلا، يقول عيسى الناعوري: «أمّا المصادفة المحضة التي قضت بأن ينضم رياض المعلوف إلى شعراء المهجر الأمريكي، فهي أنّه قد غادر الشرق عام 1938م، قاصداً إلى باريس ونيويورك لأجل النزهة، وقد طالت سياحته قليلاً إلى أن أدركته الحرب فقطعت عليه سبيل العودة إلى بلاده، فاضطر إلى السفر إلى البرازيل، وأصبح ضمن أعضاء المجمع العلمي البرازيلي، وفي نادي القلم الدولي»<sup>(30)</sup>.

ج/ ويضاف إلى تلك العوامل عامل آخر، هو سهولة الهجرة إلى تلك البلاد النائية: فلم تكن هناك قيود على الهجرة والمهاجرين إليها، وليس هناك في قوانينها ما يقيد حرية المهاجر في اختيار العمل الذي يريده، وفي شق طريق الحياة بالوسائل التي يختارها، ففرص الغنى والثراء كانت في هذه المهاجر البعيدة كثيرة ومواتية، فأراضيها فسيحة، والسكان قليلون، وشتى مرافق الصناعة والتجارة والزراعة فيها في حاجة شديدة إلى الأيدي العاملة الكثيرة»<sup>(31)</sup>.

د/ ويذكر فيليب جتّى في كتابه «السوريون في أمريكا» ضمن أسباب الهجرة ما سماه: قوة القلم، ويعني به: الوصف الذي وصف به المهاجرون الأولون البلاد التي هاجروا إليها، والحديث عن حياتهم الجديدة ومعاملة الناس لهم؛ فكان حديثاً صوره بأقلامهم ليبعث في نفوس من تخلفوا عن الهجرة الأمل، وحب التقليد لمن سيقوهم إلى العالم الجديد؛ فهذه الرسائل والأخبار كان لها أثر في تشجيع من لم يهاجر بعد على الشروع في المهاجرة واللاحق بمن سبقه من أهله وعشيرته.

وقد أجملت الدكتورة نادرة جميل سراج أسباب الهجرة بوجه عام في كتابها «شعراء الرابطة القلمية»، حيث تقول: «لا أرى بأساً في أن أقسم الأسباب كما قسمها بعض الكتاب الذين طرّقوا موضوع الهجرة وبحثوا فيها، - أمثال ميشال شلبي المحامي - إلى فئتين:

الفئة الأولى - الأسباب الدافعة، المتأتية من ذات البلاد اللبنانية مثل الفقر، وجذب المواسم، ووفرة المواليد، وظلم الحكومة، وفساد وسوء الإدارة.

(29) صابر عبد الدايم، أدب المهجر، ط 1، 1993، دار المعارف، القاهرة، مصر، ص 27.

(30) عيسى الناعوري، أدب المهجر، ص 555.

(31) محمد عبد المنعم خفاجي، قصة الأدب المهجري، ص 16.

الفئة الثانية- الأسباب التي سموها أسباب جاذبة حببت إلى المهاجر أرض الغرب بما فيها من رغد العيش والحرية والكرامة؛ وهونت عليه ركوب الأخطار وشق أغوار البحار».

وإذا تتبعنا دواوين الشعراء المهاجرين ومؤلفات الأدباء منهم، لاستطعنا أن نجيب عن أسباب الهجرة الحقيقية من أفواه المهاجرين أنفسهم، وذلك من خلال ما صوره شعراً وأدباً، وهي تقريباً نفس الأسباب والبواعث التي ذكرها مؤرخو الآداب والباحثون؛ فهي هو أحد المهاجرين يقول: «نحن جننا المهاجر مستجيرين مستزقين»<sup>(32)</sup>، ونجد الشاعر «مسعود سماعة» يعلل لنا سبب هجرته بقوله:

سَأْتَرُكَ أَرْضَ الْجُدُودِ فَفِيهَا \* حَيَاةَ الْجَبَانِ وَمَوْتَ الْجَبْرِ  
سَأَضْرِبُ فِي الْأَرْضِ لَا خَائِفاً \* مِنَ الْبَرِّ أَوْ لُجْجِ الْأَبْحَرِ  
وَأَنْزِلُ فِي بَلَدٍ دُونَهُ \* سُمُو الْمَجْرَةِ وَالْمُشْتَرَى<sup>(33)</sup>

أمّا الشاعر «شكر الله الجر»، فكان يراوده الأمل في الحرية وفي الغنى، ويتمنى أن يجد ما كان يرجوه من هجرته، فيقول<sup>(34)</sup> :

فَيَا لَيْتَ شِعْرِي ! أَيْحَظَى الْمُهَاجِرُ \* رُ فِيمَا يَرْجِيهِ مِنْ هِجْرَتِهِ ؟  
على أن الهجرة في نظر الشاعر «إيليا أبو ماضي»، لا تختلف عن نظرة «شكر الله الجر»، فيقول أبو ماضي:

لُبْنَانُ لَا تَعْذِلْ بَنِيكَ إِذَا هُمْ \* رَكِبُوا إِلَى الْعِلْيَاءِ كُلِّ سَفِينِ  
لَمْ يَهْجِرُوا مَلَالَةً لَكُنْهُمْ \* خُلِقُوا لِصَيْدِ الْوُلُوءِ الْمَكْنُونِ  
لَمَّا وَلَدَتْهُمْ نُسُوراً خَلَقُوا \* لَا يَقْنَعُونَ مِنَ الْعُلَا بِالْدُونِ  
وَالنَّسْرُ لَا يَرْضَى السَّجُونَ وَإِنْ تَكُنْ \* نَهْباً فَكَيْفَ مَحَابِسَ مِنْ طِينِ<sup>(35)</sup>

والشاعر «نسيب عريضة» يعلل هجرته إلى العالم الجديد، بحثاً عن وطن عزيز يطلب فيه الحرية المثلى، فيقول:

غَرِيباً مِنْ بِلَادِ الشَّرْقِ جِئْتُ \* بَعِيداً عَنْ جَمَى الْأَحْبَابِ عِشْتُ  
تَخَذْتُ ( أَمْرِيكَ ) وَطْناً عَزِيزاً \* فَكَانَتْ لِي كَأَحْسَنِ مَا اتَّخَذْتُ

(32) البدوي الملثم، الناطقون بالضاد في أمريكا الجنوبية، ج2، (د.ط.)، 1956، دار ربحاني، بيروت، لبنان، ص 29.

(33) ديوان مسعود سماعة، ص 47.

(34) محمد عبد الغني حسن، الشعر العربي في المهجر، ص 24.

(35) ديوان إيليا أبو ماضي، شرح حجر عاصي، ط1، 1999، دار الفكر العربي، بيروت، ص 391.



أَتَاهَا لِلْغَنَى غَيْرِي وَإِنِّي \* كَمَا جَاءُوا مَعَ الْأَقْدَامِ جِئْتُ  
وَلَكِنِّي طَلَبْتُ بِهَا حَيَاةً \* مَعَ الْحُرِيَةِ الْمَثْلَى فَلِئْتُ<sup>(36)</sup>

ولعلنا نرى في الأبيات الآتية التي كتبها الشاعر المهجري «توفيق حسن الشرتوني»، تصويراً لكل تلك العوامل والأسباب، ومشجعاً بني وطنه للمهاجرة وترك الديار، قائلاً:

لَا الرِّزْقُ فِي تَرْبَةِ الْأَوْطَانِ يُغْنِينَا \* وَلَا تَوْطُنُ أَرْضِ الْغَيْرِ يُرْضِينَا  
فِي أَرْبَعِ الْأَهْلِ بُؤْسُ الْعَيْشِ يُؤْلَمُنَا \* وَفِي الْمُهَاجِرِ نَارُ الْوَجْدِ تَكُونُنَا  
لَوْ أَنَّ لَبْنَانَ فِيهِ الْعَيْشُ مُنْبَسِطٌ \* لَمَا ابْتَغَيْنَا نَزْوَاحاً عَنْ أَرْضِينَا  
مَا فِي الْبِلَادِ مَشَارِيعُ مَعَزَّةٌ \* تُحْيِي الْبِلَادَ بِإِنْتَاكِ وَتُخَيِّنُنَا  
وَلَا الْمَعَامِلُ لِلْعُمَالِ كَافِيَةٌ \* وَلَا الزَّرَاعَةُ فِي لَبْنَانَ تَكْفِينُنَا  
دَاءُ التَّغَرُّبِ مِنْ بُؤْسٍ وَمِنْ عَوَزٍ \* فِي مَوْطِنِ الْأَرْزِ قَدْ أَعْيَا الْمُدَاوِينَا  
فَلَا النَّسِيمُ بَلِيلاً فِيهِ يُشْبِعُنَا \* وَلَا الْقِرَاحُ رَسِيلاً فِيهِ يَرْوِينَا  
هَبُّوا بَنِي وَطَنِي فَالْأَرْضُ وَاسِعَةٌ \* وَمَا الْمَغَانِي الَّتِي اعْتَلَّتْ مَعَانِينَا

وَمِنْ هُنَا نَرَى أَنَّ هَجْرَةَ أَبْنَاءِ الْعَرَبِ كَانَتْ فِي وَقْتِهَا ضَرُورَةً، وَلَا مَهْرَبَ مِنْهَا فِي تِلْكَ  
الظُّرُوفِ الْخَاصَّةِ، وَأَنَّهَا كَانَتْ دَوَافِعَ كَافِيَةً لِأَنْ يَتْرَكَ الْمُهْجِرُونَ أَوْطَانَهُمْ؛ فِي سَبِيلِ  
الْتِمَاسِ الْحَيَاةِ الْكَرِيمَةِ، وَالْحُرِيَةِ، وَفِرَاراً مِنَ الضُّغُوطِ السِّيَاسِيَةِ وَالِدِينِيَّةِ وَالْاِقْتِسَادِيَّةِ،  
الَّتِي أَدَّتْ إِلَى فَقْرِ الْبِلَادِ، وَاخْتِنَاقِ الْحَيَاةِ فِيهَا، وَلَا سَيِّمًا أَنَّ كُلَّ تِلْكَ التَّقْيِيدَاتِ الْمَادِيَّةِ  
وَالْمَعْنَوِيَّةِ لَمْ يَفْلَحِ الْمُهْجِرُونَ فِي مَقَاوِمَتِهَا أَوْ التَّحَرُّرِ مِنْهَا، فَمَا كَانَ أَمَامَهُمْ إِلَّا هَجْرَ  
الْبِلَادِ، وَالْبَحْثُ عَنْ بِلَادٍ أُخْرَى يَمَارِسُونَ فِيهَا الْحُرِيَةَ فِي أَقْوَالِهِمْ، وَأَعْمَالِهِمْ، وَيَتَنَفَّسُونَ  
فِيهَا عَبِيرَ الْعِزَّةِ وَالْكَرَامَةِ.

(36) نسيب عريضة ، ديوان الأرواح الحائرة ، ص 20 .

## المبحث الثاني

### قوافل المهاجرين وروابطهم الأدبية

بالرجوع إلى مؤلفات مَنْ حاولوا تدوين تاريخ الهجرة السورية إلى العالم الجديد نجدهم يختلفون في مَنْ هو أوّل مَنْ هاجر من بلاد الشام إلى الديار الأمريكية أولاً. فمثلاً نجد الخوري باسيليوس خُباوي- كاهن الكنيسة السورية الأرثوذكسية في بروكلين بنيويورك

يذكر في الفصل الذي كتبه عن تاريخ المهاجرة السورية أنّ «حبيب النشبي» من قرية بشرى في لبنان هو أوّل مهاجر سوري، ولكنّه لا يذكر شيئاً عنه ولا عن وجهته أو قصده أو ما جرى له.

ويذكر أيضاً أنّ شخصين آخرين كانا يبيعان الحرير خسرا فيه فهاجرا من بلدهما بلبنان إلى بوسطن عن طريق ليفربول، وأنّهما تعرّفا في بوسطن إلى مَنْ كتب لهما شهادة بأنّهما فقيران وجالا يجمعان إحساناً، وما عتما حتى رجعا إلى قريتهما يحملان كمية من النقود، فشاع خبرهما في كل القرى المجاورة، ونفخ ببوق المهاجرة فلّبي كثيرون صوت النداء، وصار حديث المهاجرة الشغل الشاغل لأفكار العموم؛ ونلاحظ أنّ الخرباوي لم يذكر لنا اسمي الشخصين الأوّلين اللذين هاجرا من بلدتهما لبنان.

فيما يرى آخرون أنّ أوّل مهاجر عربي من بلاد الشام هو «أنطونيوس البشعلاني» سنة 1854م، وقد أقام في نيويورك، ويرى محمد هدارة أنّ أوّل مهاجر هو «الخوري إلياس الموصلي» الذي دخل أمريكا سنة 1668م ثم تبعه «فلايانوس كفوري» سنة 1849م<sup>(37)</sup>، فيما يذكر محمد عبد الغني حسن في كتابه «الشعر العربي في المهجر»: أنّ أوّل عربي وطئت قدماه أرض كولومبس هو الدكتور «لويس صابونجي»، وأنّ هجرته كانت سنة 1872م.

وتذكر الآنسة «هوتون» في تقريرها الذي استندت إليه النشرة التي أصدرها معهد الشؤون العربية بنيويورك عن الناطقين بالضاد في أمريكا عام 1946م، أنّه في منتصف القرن التاسع عشر أحضرت حكومة الولايات المتحدة قافلة من الجمال من صحراء العرب لتجربتها في صحراء «الأريزونا» وجاء مع القافلة رجل عربي يدعى «حاج علي» سمي فيما بعد «هيجولي» (HIJOLLY)، ولم تنجح التجربة ولكن الحاج «علي» أقام في لوس أنجلوس ولم يعد<sup>(38)</sup>.

(37) محمد مصطفى هدارة، التجديد في شعر المهجر، ط1، 1957، دار الفكر العربي للطباعة والنشر، ص 49.

(38) ينظر: نشرة الناطقون بالضاد في أمريكا، معهد الشؤون العربية الأمريكية، نيويورك، 1946.

فكما لاحظنا اختلفت الآراء عمن هو أول مهاجر؟ وكل ما لدينا هو ما قد توصل إليه قوم دارسون في الشرق أو الغرب من أن هذا أو ذاك هو الذي كان أول المهاجرين وقد يكون ثالثهم أو رابعهم.

ويرى الباحث أن الرأي الراجح والذي أجمع عليه أكثر الذين كتبوا عن تاريخ الهجرة إلى الأمريكتين، أن أول مهاجر عربي هو «الخوري إلياس بن القسيس حنا الموصلي الكنداني» سنة 1668م، وهو ما ذهب إليه دكتور هدارة، وذكره أيضاً محمد كرد في كتابه «غرائب الغرب»<sup>(39)</sup> ووافقه، البدوي المثلث في كتابه «الناطقون بالضاد في أمريكا الجنوبية»<sup>(40)</sup>، ودكتورة عزيزة مريدن في كتابها «الشعر القومي في المهجر الجنوبي»<sup>(41)</sup>.

وقد كانت بداية الهجرة في الغالب من أفراد يرحلون بقصد جمع المال والإحسان، وأحياناً للتجارة الفردية وبيع البضائع، أو لأغراض دينية تتصل بالتبشير المسيحي في النادر من الأحيان، وليس من السهل أن نعرف أسماء هؤلاء الأفراد ومنهم كان الرائد الأول، على وجه التحديد، فربما أمريكا نفسها في ذلك الوقت لم يكن لديها سجل رسمي للمهاجرين.

إلا أن الذي أجمع عليه مؤرخو الآداب، إن الهجرة كانت في بداياتها هجرة عائلات صغيرة وأفراد ولم تكن في شكل جماعات كبيرة، ومنذ أواخر القرن التاسع عشر الميلادي بدأت تظهر مقدمات الهجرة بصورة جماعية؛ وقد تكاثرت عدد المهاجرين بعد الثورة العربية بمصر سنة 1882م، إذ أن فريقاً من اللبنانيين والسوريين كانوا قد هاجروا إلى مصر وسكنوا في القاهرة والإسكندرية وبعض المدن الأخرى، ومن ثم اضطرتهم الإنذار البريطاني إلى مغادرة القطر العربي، وتلك كانت بداية الهجرة على نطاق واسع، وكانت مقدمة للسيل الذي تدفق فيما بعد.

كانت هجرة اللبنانيين والسوريين إلى أرض العالم الجديد «أمريكا» تسير على هيئة موجات متتالية، وكان عددهم في زيادة مستمرة، وبلغت موجات الهجرة قمته عام 1913م<sup>(42)</sup>، حيث هاجر إلى أمريكا الشمالية وحدها في هذا العام 9210 مهاجر<sup>(43)</sup>.

وقد بلغ عدد المهاجرين بين عامي 1889 – 1919 نحو ستين ألفاً<sup>(44)</sup>، ولما تقدمت

(39) محمد كرد علي، غرائب الغرب، ط2، 1923، المطبعة الرحمانية، ج2، مصر، ص 28.

(40) البدوي المثلث، الناطقون بالضاد في أمريكا الجنوبية، ص 99.

(41) عزيزة مريدن، الشعر القومي في المهجر الجنوبي، ط2، دار الفكر، دمشق، 1973، ص 11.

(42) حسن جاد حسن، الأدب العربي في المهجر، ص 28.

(43) محمد عبد المنعم خفاجي، قصة الأدب المهجري، ص 6.

(44) لطفي حداد، أنثولوجيا الأدب العربي المهجري المعاصر، المجلد2، ط1، 2004، دار صادر، بيروت، ص14.

وسائل المواصلات، ورخصت أجور السفر، اتجه معظم المهاجرين منذ عام 1890م من مصر إلى الولايات المتحدة الأمريكية، وما لبثت هذه الهجرة أن توقفت خلال الحرب العالمية الأولى، ولكنها استؤنفت من جديد بعد انتهاء الحرب، واتجه معظم المهاجرين، هذه المرة إلى أمريكا اللاتينية، والجنوبية خاصة<sup>(45)</sup>.

ومما تقدّم من حديث حول الهجرة والمهاجرين، نلاحظ أنّ الهجرة من بلاد الشام إلى العالم الجديد (الأمريكتين) مرّت بثلاثة طرق هي:

الطريق الأول- مصر لأنّها أقرب مسافة ولغة، وأيسر تفريجاً لسوء الحال، ولما ينعم به القطر المصري من حرية وسلام بعد تسلّم محمد علي باشا زمام السلطة، والتوجه بالبلاد نحو الرفاهية والأمن والاستقرار.

الطريق الثاني- كانت فرنسا، لأنها كانت تقدم العون للمهاجرين، وتحميهم من بطش الأتراك، وتساعدهم للانضمام في جمعيات سرية تناهض الدولة العثمانية.

الطريق الثالث- كانت أمريكا الشمالية والجنوبية، والتي كان يطلق عليها مع بعض المناطق الأخرى المكتشفة حديثاً «العالم الجديد»، وفي هاتين القارتين وجد معظم المهاجرين مأوى من الضياع والحرمان والجوع والبطش.

وإذا طرحنا السؤالين التاليين:

كيف تمكن هؤلاء المهجرون من الهجرة في زمن العثمانيين الذين حظروا الهجرة رسمياً؟

وكيف استطاع أولئك المهاجرون من الوصول إلى تلك المهاجر البعيدة عن أوطانهم؟

سنأخذ الإجابة عن هذين السؤالين، من الشاعر المهجري الكبير جورج صيدح، فيقول: «إنّ الهجرة في زمن العثمانيين كانت محظورة رسمياً، ومباحة عملياً بواسطة المهربين؛ كانت البواخر الصغيرة حالماً ترابط في ميناء «بيروت» توفد سماسرة من ذوي الحناجر القوية إلى أسواق المدينة والقرى لإذاعة نبأ وصولها وموعد سفرها، فيهرع القرويون إلى استدانة المال اللازم للسفر من المرابين، برهن كل ما يملكون من عقار وأثاث، أو بيعه. وتبدأ عملية التهريب: السمسار يسلم المهاجر إلى عسكري مراقبة الشاطئ، وهذا يصعد به من وراء الجمر إلى ماعونة محملة بالبضائع، وقائد الماعونة يدخله إلى الباخرة بصفة حمّال، وفي الباخرة يتسلمه القهوجي ويضعه في أحد المستودعات، وبهذا الوضع يصل المهاجر إلى مرسيليا، ومنها يتسلمه سمسار جديد، وينزله في خان قذر، ولا يحمله إلى باخرة تنقله إلى أمريكا إلا حينما يفرغ جيبه من

(45) - عزيزة مريدن ، مرجع سابق ، ص 13 - 14 .

الفلس الأخير، ثم يلتقي في الباخرة الزاهية إلى أمريكا بأمثاله من المهاجرين حيث يعيش معهم عيشة القطيع الذي تطارده الذئاب، إنَّ صعودوا إلى الباخرة تعرضوا للحر والبرد والأمطار والرياح، وإنَّ احتشدوا في الطابق السفلي كادوا يختنقون، وكم من مرة سلط عليهم البحارة أنابيب الماء الساخن لمنعهم من الاحتجاج على سوء المعاملة؛ وكم مرة حملتهم الباخرة إلى حيث لا يقصدون، وأنزلتهم البلد الذي يوافق مصلحتها. وفي كل بلد ينزلونه يتكتل أبناء القرية الواحدة، وتتخذ كل كتلة وجهة، والسعيد منهم مَنْ يجد على المرفأ مَنْ ينتظره، أو يعرف عنواناً لقريب، أو يحمل توصية تؤمّن له الطعام والمأوى في الليلة الأولى، أمّا مَنْ لم تتوفر له أيّ من هذه الوسائل ففراشه رصيف الشارع، وطعامه الكسرة الباقية من زاد السفر في جعبته»<sup>(46)</sup>.

ويذكر فيليب جتي في كتابه «السوريون في أمريكا»: «أنَّ المهاجرين الأول، وأكثر الذين اقتفوا أثرهم كانوا من لبنان، ولعلَّ كثرة المهاجرين من لبنان ترجع إلى تركيز الإرساليات فيه أكثر من غيره، كما كثرة المسيحيين فيهم تعود إلى النزاع الطائفي والتعصب ضدهم في الشام، وإلى تأثرهم بالثقافة التبشيرية وانتشارها بينهم أكثر من غيرهم»<sup>(47)</sup>.

وصل المهاجرون اللبنانيون الأولون إلى أمريكا منذ قرن كامل تقريباً لا يحملون مالا ولا يفهمون لغة البلاد التي نزلوا فيها، ولا يعرفون شيئاً عن أحوالها وعادات سكانها، فاعتمدوا على ذكائهم ونشاطهم وإقدامهم، ولكنهم ذلّوا كل صعب وتعلموا لغة البلاد التي يعملون فيها وأنشأوا الصحف اليومية الكبرى في مختلف لغات العالم وأسسوا الصحافة العربية في بلادهم وفي مهاجرهم»<sup>(48)</sup>.

وقد سبق اللبنانيين إلى الهجرة بصورة مصغرة، أهل فلسطين، ولكنهم لم يستقروا جميعاً في البلدان التي نزلوا فيها - كما فعل غيرهم -، بل كانوا يزورونها حاملين المسابح والأيقونات والتعاونيد المصنوعة في فلسطين، لبيعها من المؤمنين المتعبدین<sup>(49)</sup>.

أمّا عن مصر، فقد كفأها الله شر الهجرة، أفاض على أرضها خيرات النيل، وعلى شعبها فضيلة القناعة تعصمه من نزوة الاغتراب، يقول الشاعر المهجري جورج صيدح: «لم أتعرف في هجرتي الطويلة إلا إلى أديب مصري واحد هو: «سيف الدين الرخال» المقيم في عاصمة الأرجنتين، ولم أقرأ أثراً أدبية لمغرب مصري إلا لـ «محمود

(46) جورج صيدح ، أدبنا وأدباؤنا في المهاجر الأمريكية ، ص 29 - 30 .

(47) THE SYRIANS IN AMERICA , BY P. K. HITTI , NEW YORK

(48) جريدة "أبو الهول" نقلاً عن خطبة لشكري الخوري مؤسس جريدة أبو الهول، سان باولو، البرازيل، 1930، ص 35

(49) جورج صيدح ، أدبنا وأدباؤنا ، ص 28 .

الشريف» المقيم في عاصمة البرازيل، أمّا أبو شادي فلا يدعيه المهجر، لأنّه جاءه بأدب ناضج ترعرع في الكنانة، قبل النزوح عنها»<sup>(50)</sup>.

ومن أوائل شعراء الشام (سوريا ولبنان) الذين هاجروا إلى أمريكا الشاعر، «نُدرة حداد»، وقد وصل إلى نيويورك عام 1897م، وكان يعد -آنذاك- عميد شعراء العربية في أميركا، وتبعه «رشيد أيوب» الشاعر الذي هاجر إلى نيويورك عام 1898م، وهاجر بعد هؤلاء الشاعر «نسيب عريضة» الذي اغترب وعاش في أميركا عام 1905م وأنشأ فيها مجلته الأدبية «الفنون».

ثم توالى الهجرات إلى تلك المهاجر البعيدة، فكانت هجرة: «عبد المسيح حداد»، وكانت هجرته عام 1907م إلى نيويورك التي أنشأ بها جريدة «السائح» عام 1912م، ثم كان من المهاجرين «ميخائيل نعيمة»، الذي هاجر إلى ولاية «واشنطن» بأمريكا عام 1911م، ثم انتقل إلى «نيويورك»، واتصل بجبران خليل جبران؛ الذي وصل مهاجراً إلى أميركا مبكراً عام 1895م، وكونوا فيما بعد «الرابطة القلمية» في بلاد المهجر.

انقسمت قوافل المهاجرين إلى العالم الجديد إلى قسمين:

القسم الأول: قصد أميركا الشمالية.

القسم الثاني: توجه إلى أميركا الجنوبية.

ووجد المهاجرون عناءً وتعباً، فلم يكن الحصول على لقمة العيش سهلاً، كما ظنوه وكما زين لهم، ولم تكن الأرض أمامهم مفروشة بالذهب ولا بالحريز؛ ولكنهم في سبيل الكفاح والإصرار على البقاء تحملوا في صبر وثبات شظف العيش، وقسوة الحياة، والعمل الشاق المرهق، وقد عبر عنهم الشاعر «إلياس فرحات» في قصيدته «حياة مشقات»:

طَوَى الدَّهْرُ مِنْ عُمْرِي ثَلَاثِينَ جِجَةً \* طَوَيْتُ بِهَا الْأَصْقَاعَ أَسْعَى وَأَدَأُبُ  
أُغْرِبُ خَلْفَ الرِّزْقِ وَهُوَ مُشْرِقُ \* وَأَقْسَمُ لَوْ شَرَّقْتُ كَانَ يُغْرِبُ  
وَمَرْكَبَةٌ لِلنَّقْلِ رَاحَتْ يَجُرُّهَا \* حَصَانَانِ مُحَمَّرُ هَزِيلٌ وَأَشْهَبُ  
جَلَسْتُ إِلَى حَوْذِهَا وَوَرَاءَنَا \* صِنَادِيقُ فِيهَا مَا يَسُرُّ وَيُعْجِبُ  
حَوَتْ سِلْعاً مِنْ كُلِّ نَوْعٍ يَبِيعُهَا فَتَى \* مَا اسْتَحَلَّ الْبَيْعَ لَوْلَا التَّغْرِبُ<sup>(51)</sup>

ونجد الشاعر «نسيب عريضة» من شدة ما لاقى من أثقال الحياة في الغربة، ما حُبب إليه حياة الوطن على علاقتها، يقول:

(50) جورج صيدح، أدبنا وأدبنا، ص 17.

(51) ديوان إلياس حبيب فرحات، طبعة ساو باولو، 1932، البرازيل، ص 265.

أَحَبُّ بِلَادِي وَإِنْ لَمْ أُنَّم \* قَرِيرَ الْجَفُونِ بِأَحْضَانِهَا  
فَكَمْ أَنْتَ النَّفْسُ مِنْ بَأْسِهَا \* وَنَاءَتْ بِأَثْقَالِ أَجْفَانِهَا  
تَوَدُّ الرِّجْوَعَ إِلَى عُشِّهَا \* وَلَيْسَ الرَّدْوَعُ بِإِمْكَانِهَا<sup>(52)</sup>

من هذه الضائقة الخانقة تولد في المهاجر مهنة « الكشة »<sup>(53)</sup>، فالمهاجر يجد مَنْ يَأْتُمْنُهُ عَلَى الْقَلِيلِ التَّافَهُ مِنْ لَعِبٍ وَدِبَابِيْسٍ وَأَمْشَاطٍ وَكَشَاكِشٍ وَصَابُونٍ وَعُطُورٍ يَضَعُهَا فِي عِلْبَةٍ وَيَطُوفُ بِهَا عَلَى الْمَنَازِلِ، وَبَعْدَ تَجَوُّالٍ طَوَالَ النَّهَارِ فِي أَحْيَاءِ الْمَدِينَةِ يَعُودُ بَغْلَتَهُ إِلَى صَاحِبِ الْمَتَجَرِّ لِيَحَاسِبَهُ عَلَى مَا بَاعَ وَمَا بَقِيَ، وَيَجِدُّ مَحْتَوِيَّاتِ صَنْدُوقِهِ اسْتِعْدَاداً لَجَوْلَةِ الْغَدِ<sup>(54)</sup>.

ورغم كل تلك المشقات وضيق العيش، احتمل المهجريون صراع الرزق وكفاح الحياة، مؤمنين في النهاية ببلوغ الغاية؛ وساعدهم على ذلك ما وجدوه في بيئتهم الجديدة من الحرية والانفتاح، فاستطاعوا أن يبنوا جدار حياتهم الصامد بقوة عزيمتهم، حتى أصبح أكثرهم من الأعلام وبعضهم من سادة البلاد؛ ومنهم الشاعر «مسعود سماعة»، وقد أصبح بعد حمل «الكشة» كولونيلاً في الجيش الأمريكي، فيقول مصوراً لحظات صراع الرزق وكفاح الحياة، وحياة المشقات:

كَمْ طَوَيْتُ الْقَفَارَ مَشْيَاً وَحَمَلِي \* فَوْقَ ظَهْرِي يَكَادُ يَقْسِمُ ظَهْرِي  
كَمْ قَرَعْتُ الْأَبْوَابَ غَيْرَ مَبَالٍ \* لِكَلَالٍ وَقَرَّ فَصْلٍ وَحَرَ<sup>(55)</sup>

بدأ المهاجرون العرب في المهجر الأمريكي الشمالي والجنوبي تأسيس مدارس عربية لتعليم أولادهم، ثُمَّ تَكْوِينُ جَمْعِيَّاتٍ دِينِيَّةٍ وَخَيْرِيَّةٍ تَتَوَلَّى الْمَعَاوَنَةَ وَالرَّعَايَةَ لِكُلِّ مَحْتَاجٍ إِلَيْهَا وَخَاصَّةً فِي مِيْدَانِ الْخَيْرِ وَالتَّعَاوُنِ فِيمَا بَيْنَهُمْ، كَانَ لِبَعْضِهَا مِنَ الشَّهْرَةِ وَالذِّيُوعِ وَالأَثَرِ الأدبي ما خلد أسْمَهَا فِي حَيَاتِنَا الأدبية المعاصرة، وَمِنْ أَشْهُرِ تِلْكَ الْجَمَاعَاتِ الأدبية وَالرُّوَابِطِ التِّي أَنْشَأَهَا الْمَهْجَرِيُّونَ، وَأَهْمُهَا أَثَرًا وَتَوْجِيهًا لِلْحَرَكَةِ الأدبية في المهجر:

1. «الرابطة القلمية» في المهجر الشمالي بنيويورك عام 1920م.
2. «العصبة الأندلسية» في المهجر الجنوبي بالبرازيل عام 1932م.
3. «رابطة منيرفا» وهي مدرسة أدبية أسسها الشاعر المصري أحمد زكي أبو

(52) نسيب عريضة ، ديوان الأرواح الحائرة ، ص 96 .

(53) الكشة : صندوق من الزنك يحتوي على أنواع من الخردة الرخيصة يشده البائع إلى ظهره بسيور من الجلد ، وهي لفظة برتغالية .

(ينظر كتاب الأدب العربي في المهجر لحسن جاد حسن ، ص 26) .

(54) جورج صيدح ، أدبنا وأدباؤنا في المهاجر الأمريكية ، ص 36.

(55) ديوان مسعود سماعة، طبعة نيويورك، 1938.

شادي في نيويورك عام 1948م.

4. «الرابطة الأدبية» التي أنشئت في عاصمة الأرجنتين عام 1949م على غرار الرابطة القلمية والعصبة الأندلسية.

5. «عصبة التقدم اللبناني» التي ظهرت في نيويورك وأسسها أحد أدباء المهاجرين وهو نعوم مكرزل<sup>(56)</sup>. وغيرها من الجمعيات والأندية الأدبية.

ومن الحق أن نقول هنا أن الجمعيات الأدبية والروابط وأندية القلم في المهجر لم تكن لتنهض وحدها بعبء مؤازرة الأدب عامة والشعر خاصة في العالم الجديد لو لم تساعدها الصحافة العربية الأدبية؛

ولسنا هنا بسبيل التأريخ لنشأة الصحافة العربية في المهجر، ولكننا لن ننسى - في هذا المقام - فضل الرائدین الأولین الدكتور إبراهيم ونجيب عربيي اللذين أنشأ أول صحيفة عربية بأمريكا سنة 1892م باسم «كوكب أمريكا»، ودُكر في كتاب «الناطقون بالضاد في أمريكا»، أن هذه الصحيفة أنشئت سنة 1888م؛ والصواب أنها أنشئت عام 1892م؛ والتصويب عن كتاب «تاريخ الصحافة العربية» للفيكونت فيليب طرازي<sup>(57)</sup>، وهو كذلك ما أكدته دكتور محمد عبد الغني حسن في كتابه «الشعر العربي في المهجر»<sup>(58)</sup>.

كذلك ظهرت عدد من الصحف والمجلات الأخرى في تلك الفترة، تدلل على تصميم المهاجرين العرب على أن تبقى العربية بينهم لغة الأبناء والأحفاد، ومن تلك الصحف والمجلات:

1. صحيفة «الهدى» التي أسسها نعوم مكرزل في سنة 1898م.
2. «مرآة الغرب» التي أسسها نجيب موسى دياب سنة 1899م.
3. مجلة «الفنون» التي أنشأها الشاعر «نسيب عريضة» و«نظمي نسيم» سنة 1913م، والتي كانت الملهم الأول لتأسيس «الرابطة القلمية».
4. جريدة «السائح» التي أسسها «عبد المسيح حداد» سنة 1912م، فكانت لسان حال الرابطة<sup>(59)</sup>.
5. مجلة «السمير» التي أنشأها الشاعر «إيليا أبو ماضي» في نيويورك سنة 1929م،

(56) نادرة جميل سراج، شعراء الرابطة القلمية، ص 61.

(57) الفيكونت فيليب طرازي، تاريخ الصحافة العربية، ج 4، ط 1، 1913، المطبعة الأدبية، بيروت، ص 406.

(58) محمد عبد الغني حسن، الشعر العربي في المهجر، ص 12.

(59) محمد عبد الغني حسن، الشعر العربي في المهجر، ص 13.



التي كانت من أوسع المجلات العربية انتشارا في العالم الجديد»<sup>(60)</sup>.

والمطلع على أدب المهجر يجد أنّ الروابط الأدبية والصحف والمجلات أسدت مناصرة كبيرة للمهاجرين ولأدبهم العربي، فقد تعلق بها الشعراء والأدباء من المهاجرين العرب واتخذوها منابر رفيعة لأصواتهم التي كانت تجتاز العالم الجديد بأرضه وسمائه، لتحمل إلى العالم القديم نفحات الشعر العربي في المهجر.

وهنا يجدر بنا أن نشير إلى أنّ هؤلاء المهاجرين في العالم الجديد قد ضربوا المثل الأعلى في الاتحاد والعمل الجماعي المثمر، فقد رفعوا اسم بلادهم في العالم الجديد وقدموا للأمريكيين صورة عن الشرق أحسن مما كانت في أذهانهم، كما عكسوا الحقيقة التاريخية لمنطقة (سوريا ولبنان) بأنّهما بلد واحد تظله دوحة العروبة رغم أنف المضللين الغاوين، وأنّ سكان تلك الديار شعب واحد رغم الحدود السورية التي فرضها المستعمر؛ وهذا ما أشار إليه إلياس فرحات، بقوله:

لُبْنَانُ مِنْ نُورِ الْعُرْبَةِ تَقْبَسُ \* فَلْيَبْسُمِ الْعَادُونَ أَوْ فَلْيَعْبَسُوا  
أَنَا مَا قَرَأْتُ وَلَا سَمِعْتُ بِأَنَّهَا \* شَعْبَانُ بَيْنَهُمَا حُدُودٌ تُحْرَسُ  
مَا جَاعَ لُبْنَانُ فِي سُورِيَا \* خُبَزْ، وَلَنْ يَغْرَى فِيهَا مَلْبَسُ

وهكذا كان المهجريون، فبعد أن استراحوا من أعباء السفر، ومشقة الهجرة، واستقروا في حياتهم الجديدة، بدأوا يكتبون الأدب وينشئون النثر، وينظمون الشعر، كما كانوا في بلادهم، وأخذت تظهر بوادر الحياة الأدبية العربية في المهاجرين، وساعد على ظهورها حاجة المغترب إلى التنفيس عن نفسه بإطلاق الحرية لموهبته الأدبية، وإحساسه بالحنين الجارف إلى وطنه، ومسارح ذكرياته، ومواطن أهله، وأحبابه وأترابه؛ والحنين إلى الوطن يثير الموهبة، ويغذي المشاعر، ويذكي العواطف، ويثير الشاعرية<sup>(61)</sup>.

(60) المرجع السابق، ص 429.

(61) محمد عبد المنعم خفاجي، قصة الأدب المهجري، ص 72.

## المبحث الثالث محاسن الهجرة ومساوئها

إنَّ معظم مَمَّن كتبوا عن هجرة الشاميين إلى العالم الجديد «أمريكا الشمالية والجنوبية»، نظروا إليها بعين التشاؤم ووجدوا أنَّ مضارها أكثر من منافعها. فمثلاً نجد المؤرخ «أوغست أديب باشا» في كتابه «لبنان بعد الحرب» يرى أنَّ الهجرة تضر البلاد لأنها تحرمها القوى الحية والأيدي العاملة التي تحتاج إليها الزراعة والصناعة والمشاريع الكبرى وأعمال التحسين، وهذه الأيدي لولا المهاجرة لساعدت في نجاح البلاد وإنماء عظمتها

وثروتها»<sup>(62)</sup>. إلا أنَّ المؤلف نفسه عاد فبَرَّ العذر لهؤلاء المهاجرين لضيق أراضيهم الزراعية خاصة بعد أنَّ حُصر الجبل في نطاق معين بعد صدور القانون الأساسي سنة 1861م.

وجاء بعد أديب باشا كاتب آخر هو: محمد كرد علي، فذكر في كتابه «غرائب الغرب» عند الحديث عن الهجرة: أنَّ مضارها أكثر من منافعها، وعدَّ لنا بضعة من المضار الاجتماعية وخاصة في أوَّل الهجرة، مثل شقاء البيوت التي هاجر أصحابها وعائلوها، ومثل كثرة البنات غير المتزوجات وذلك لهجرة الشبان أو لزواجهم من الأمريكيات. كذلك يذكر الكاتب - في نفس الموضع - أنَّ البلاد في أشد الحاجة لأيدي أبنائها العاملين، وأنَّ الغنى والذهب اللّماع يجدر ألا يجذب الشباب بهذا القدر الكبير»<sup>(63)</sup>.

وهكذا نجد أنَّ محمد كرد علي، يفضل بقاء الشباب والقوى العاملة في البلاد والعمل المثمر داخل أوطانهم لا خارجها، كذلك يرى هذا الرأي مؤرخ ثالث هو ميشال شبلي في كتابه «المهاجرة اللبنانية»<sup>(64)</sup>.

ويرى جورج صيدح وهو الذي عايش أدباء المهجر ثلاثين عاماً، أنَّ المهاجر العربي خسر نفسه، فيقول: «وماذا ينفع الإنسان لو ربح العالم وخسر نفسه»، ويعلل تلك الخسارة بقوله: «إنَّ الوطن أحوج ما يكون لتلك القوى الحية التي راحت تعمّر وتبدع في بلاد الغرب، وهو أحق من الأجنبي بمدد أبنائه في حومة الدفاع عن كيانه، فالسبعون ألف محارب الذين تطوعوا في الجيش الأمريكي أثناء الحرب الأخيرة، لهم مكاناً مهياً على حدود فلسطين، وأمامهم مهمة أشرف من تلك التي ضحوا بأنفسهم في سبيلها»<sup>(65)</sup>؛ ويستشهد جورج صيدح بقول القروي:

(62) أوغست أديب باشا، لبنان بعد الحرب، ص 65

(63) محمد كرد علي، غرائب الغرب، ص 30 .

(64) ينظر: ميشال شبلي، المهاجرة اللبنانية، بحث علمي اجتماعي اقتصادي، بيروت، 1927، ص 23.

(65) جورج صيدح، أدبنا وأدباؤنا في المهاجر الأمريكية، ص 21 .

رُدُّوا إِلَى الْوُطَنِ الْقَدِيمِ ثُرَابَهُ \* هَذَا أَقْلَ الْبَرِّ يَا غِيَابَهُ  
 ذَاكَ إِهَابُ الْغَضِّ تَحْتَ ثِيَابِكُمْ \* بِالْأَمْسِ كَانَ إِهَابَهُ وَثِيَابَهُ  
 تَتَعَجَّبُونَ لِضَعْفِهِ وَلَوْ أَنْكُمْ \* فِيهِ لَكُنْتُمْ جُنْدَهُ وَحِرَابَهُ  
 لَيْتَ الْأَجْبَةَ عِنْدَ إِزْمَاعِ النَّوَى \* لِلْغَرْبِ أَغْلَقَ دُونَهُمْ أَبْوَابَهُ  
 أَوْلَيْتَ بَرَّ الشَّامِ أَذْرَكَ أَنْ فِي \* سَفَرِ الزُّنُودِ الْعَامِرَاتِ خَرَابَهُ<sup>(66)</sup>

ويرى بعض الباحثين أنَّ المهاجرين في أمريكا ولا سيما السوريين قد ساروا واتجهوا نحو «التأمرك» بخطى واسعة وأنَّ أبناءهم سيشبّون ولا شيء يربطهم بوطنهم، أو بالأحرى بوطن آبائهم وأجدادهم، وعن رأي هؤلاء تقول دكتورة نادرة سراج في كتابها «شعراء الرابطة القلمية»: «إنَّ هذا قول مبالغ فيه، لأنه إنَّ اختلفت لغة الكلام فإنَّ شعور المرء بأصله ثابت متأصل فيه ولا يزال في نفسه حنين إلى ذلك الأصل، يخبو ثم يظهر ثم يخبو وقد لا تظهره إلا المناسبات»<sup>(67)</sup>.

ويرى آخرون أنَّ أبناء المهجريين ممَّن ولدوا في ديار الغرب، قد نشأ بينهم كثيرون من حملة الأقلام، ولكن بعدهم عن الوطن العربي ووجودهم في بيئات غريبة وبين أقوام غير عربية، جعلهم ينصرفون إلى الإنتاج الأدبي بلغات المواطن الغربية التي يعيشون فيها، ومن هؤلاء ظهرت طائفة من الأدباء نالت شهرة واسعة في حقول الآداب الأجنبية<sup>(68)</sup>.

ويتحدث عبد اللطيف اليونس الصحفي السوري الذي هاجر إلى البرازيل عن مستقبل المغتربين في كتابه «المغتربون»، فيقول: «المغتربون يذوبون تدريجياً في المحيط الأجنبي، وينصهرون في بوتقة الجبارة الرهيبة، يتزوج المغترب، وينجب أطفالاً، يصبحون بحكم القوانين المرعية من أبناء البلاد التي ولدوا فيها، يحملون جنسيتها، ويسجلون بين أفراد رعايتها، وينشأ هؤلاء وهم يجهلون اللغة العربية»<sup>(69)</sup>.

إلا أنَّ محمد عبد المنعم خفاجي يقول في كتابه «قصة الأدب المهجري»: «إنَّ المغتربين العرب المنتشرين في أمريكا وسائر أنحاء الدنيا يشكلون ثروة ضخمة للأمة العربية لا تعادلها ثروة، ولا تحاكيها ولا تضاهيها، وعندها كل المؤهلات لأداء الرسالة والنهوض بالأعباء»<sup>(70)</sup>؛ ولعله يقصد بذلك الثروة الأدبية التي خلدها أدباء المهجريين، وصارت مدرسة ضخمة من مدارس الآداب العربية المعاصرة، وهو بالفعل لقد أضحى أدب المهجر أدب الحياة

(66) ديوان القروي، ط 1، 1952، طبعة وزارة التربية والتعليم، القاهرة، مصر، ص 32.

(67) نادرة جميل سراج، شعراء الرابطة القلمية، ص 65.

(68) عيسى الناعوري، أدب المهجر، ص 40.

(69) عبد اللطيف اليونس، المغتربون، (د.ط.)، 1964، مطبعة العرفان، صيدا، لبنان، ص 134.

(70) محمد عبد المنعم خفاجي، قصة الأدب المهجري، ص 70.

ولسوف يخلد على مَرِّ الزمان إلى جوار آدابنا القديمة والحديثة، ويكون أدب كل عصر وأدب كل جيل من الناس ما دام في جوانح الإنسان روح حي وقلب خفاق، هذا ما تشهد به الثورة التجديدية التي أحدثها المهجريون في الأدب العربي، بالإضافة إلى ذلك، وضع عدد من كبار أدباء الرعيل الأول الكثير من المؤلفات النفيسة في اللغات الأجنبية، وعلى رأس هؤلاء في المهجر الشمالي: جبران خليل جبران، وأمين الريحاني، وميخائيل نعيمة، ووليم كاتسفليس، وفيليب حنّى، ومن أدباء المهجر الجنوبي: جورج قدوم، ورياض معلوف، وموسى كريم، وعدد آخر غيرهم.

ولا بد من الإشارة هنا إلى أنّ غرض المهاجرين - كما مرّ في أسباب ودوافع الهجرة - في أوّل الأمر لم يكن بقصد التوطن، بل كان كل اهتمامهم منصرفاً إلى جمع المال الذي يعينهم على ملات الحياة، والتصدي لحالة البؤس والكبت، ثم الرجوع إلى الأوطان؛ وهنا يذكر القسيس «خرباوي» في كتابه «عن المهاجرة السورية»، أثناء كلامه عن المهاجرين الأوّلين وأحوالهم المادية والمعنوية، حادثاً بسيطاً فيه دلالة على هذا الشعور المتأصل في نفوسهم، شعور الحنين إلى بلادهم، ذلك أنّهم في مجتمعاتهم إذا شرب أحدهم «القهوة» مثلاً في بيت أحد أصحابه، فإنّ كلمة الشكر التي يقدمها للمضيف «برجوعك إلى الوطن إنّ شاء الله» فيجيبه هذا بقوله: «برفقتك يا سيدي»<sup>(71)</sup>؛ وكأنّما الرجوع إلى الوطن الأمنية الكبرى عندهم.

وعلى عادة الأقليات في أي بلد ينزلون فيه، كان لا بد للمهاجرين من التكتل والتجمع والتعارف بعضهم إلى بعض، ومعاونة أحدهم الآخر، ومن أجل هذا بدأوا يؤسسون الجمعيات والنوادي التي تجمع شملهم، وتسير بهم نحو غايات شريفة، وتهدف إلى منفعة المهاجرين في ديار هجرتهم؛ وعن هذه الجمعيات تقول دكتورة نادرة سراج: «من أقدم هذه الجمعيات جمعية السوريين المتحدة التي تأسست عام 1907 في نيويورك، وكانت لها فروع في البلاد الأمريكية الأخرى، وقد قامت السيدات بنصيب وافر في تنظيم هذه الجمعيات الخيرية، وقد قامت هذه الجمعيات بجهود تذكر في خدمة المهاجرين في المهجر»<sup>(72)</sup>.

ويرى جورج صيدح أنّ للتأثير العربي في البيئة الأمريكية فوائد جليّة، يقول عن ذلك: «إذا نظرنا إليه من الناحية الوطنية وجدنا الفائدة أجلّ، لأننا نحن العرب نحتاج إلى غرب يفهمنا ويقدرنا قدرنا، وإلى غرب مسالم لا إلى غرب معادٍ؛ وقد قام أدب المهاجرين بمهمة التعريف عن حاجات أمتنا وأهدافها وآمالها بعد التعريف عن تاريخها وحضارتها وآدابها؛ فأدباء المهجر كانوا دعاة متبرعين، لو شاءت الحكومات العربية أن توفد دعاة مأجورين لما توقفت إلى أصلح منهم»<sup>(73)</sup>.

(71) باسيلوس خرباوي، تاريخ الولايات المتحدة، ص 360.

(72) نادرة جميل سراج، شعراء الرابطة القلمية، ص 61.

(73) جورج صيدح، أدبنا وأدباؤنا في المهاجر الأمريكية، ص 100.

وَمِنْ خِلالِ مَا أَثْبَتَهُ الْمُؤَرِّخُونَ وَالْمُهْجِرُونَ أَنْفُسَهُمْ مِنْ مُحَاسِنٍ وَمَسَاوِيٍّ لَتِلْكَ الْمُهَاجِرَةِ؛ يَرَى الْبَاحِثُ أَنَّ مَا قَدَّمَهُ الْمُهَاجِرُونَ لِبِلَادِهِمْ مِنَ النِّفْعِ لَا يَقَاسُ بِهِ مَا يَقَالُ مِنْ بَعْضِ ضَرَرِ أَصَابِهَا مِنْهُمْ، فَقَدْ بَذَلُوا شَتَّى الْمُسَاعَدَاتِ الْمَادِيَةِ وَالْمَعْنَوِيَةِ لِأَوْطَانِهِمِ الْأَصْلِيَّةِ، وَعَمَلُوا عَلَى عِمَارَتِهَا وَتَحْسِينِ أَحْوَالِهَا فِي جَوَانِبٍ كَثِيرَةٍ، وَقَدَّمُوا يَدَ الْعَوْنِ وَالْخِبْرَةِ فِي شَتَّى الْمَجَالَاتِ؛ تَقُولُ الدُّكْتُورَةُ نَادِرَةُ سَرَاجُ فِي كِتَابِهَا «شُعْرَاءُ الرِّابِطَةِ الْقَلَمِيَّةِ»؛ عَنْ تِلْكَ الْمُسَاعَدَاتِ الَّتِي قَدَّمَهَا الْمُهْجِرُونَ لِوُطَنِهِمْ الْأُمِّ: «إِنَّ مَنْ يَزُورُ لِبْنَانَ وَيَتَجَوَّلُ فِي قَرَاهَا الْجَبَلِيَّةِ وَمَصَافِيهَا الْجَمِيلَةِ الْمُنْتَشِرَةِ عَلَى سَفُوحِ جِبَالِهَا مِنَ الشَّمَالِ إِلَى الْجَنُوبِ، لَا يَسْتَطِيعُ إِلَّا أَنْ يَعْجَبَ بِتِلْكَ الْبُيُوتِ الْجَمِيلَةِ وَالْعِمَارَاتِ الضَّخْمَةِ وَالْفَنَادِقِ الْبَدِيعَةِ التَّنْسِيقِ، وَإِذَا مَا سَأَلَ عَنْ بُنَائِهَا وَمَمُولِيهَا فَلَا يَعْجَبُ كَثِيرًا حِينَمَا يَعْلَمُ أَنَّهَا جَمِيعُهَا قَامَتْ عَلَى أَمْوَالِ الْمُهَاجِرِينَ فِي الْعَالَمِ الْجَدِيدِ»<sup>(74)</sup>.

وَتَوَاصَلَ الدُّكْتُورَةُ نَادِرَةُ سَرَاجُ: «إِنَّ هَؤُلَاءِ الْمُهَاجِرِينَ مَا انْفَكُوا يَبْذُلُونَ شَتَّى الْمُسَاعَدَاتِ الْمَادِيَةِ وَالْمَعْنَوِيَةِ لِوُطَنِهِمِ الْأَصْلِي، وَيَعْمَلُونَ عَلَى تَرْقِيَّتِهِ وَتَحْسِينِ أَحْوَالِهِ فِي مُخْتَلَفِ الظُّرُوفِ. وَلَا تَزَالُ الصَّلَاتُ قَائِمَةً بِصُورَةٍ وَطَيِّدَةٍ بَيْنَ أُنْبَاءِ لِبْنَانَ فِي الْوُطَنِ وَإِخْوَتِهِمْ فِي الْمُهَاجِرِ، وَفِي كُلِّ عَامٍ يَدْخُلُ الْكَثِيرُ مِنَ الْأَمْوَالِ إِلَى لِبْنَانَ مِنَ الْخَارِجِ حَتَّى إِنَّ فِي بَيْرُوتَ مَصْرَفًا يُسَمَّى «بَنْكُ لِبْنَانَ وَالْمُهْجِرِ»؛ وَعَدَا الصَّلَاتِ الْمَادِيَةِ فَإِنَّ الْأَدَبَ يَعِدُ مِنْ أَقْوَى الصَّلَاتِ بَيْنَ الطَّرْفَيْنِ، وَكُلُّ كِتَابٍ يَصْدُرُ فِي الْوُطَنِ لَا يَدَّ أَنْ يَقْرَأَهُ الْمُهَاجِرُونَ حَتَّى لَقَدْ قِيلَ أَنَّ مَطَابِعَ سُورِيَا وَلِبْنَانَ لَا تَنْشُرُ كِتَابًا إِلَّا إِذَا تَأَكَّدَتْ مِنْ إِمْكَانِ رَوَاجِهِ فِي الْمُهْجِرِ، وَكَذَلِكَ الْحَالُ فِي الصَّحَافَةِ فَإِنَّهَا صِلَةٌ مَتِينَةٌ بَيْنَ الْجِهَتَيْنِ»<sup>(75)</sup>.

وَلَا شَكَّ فِي أَنَّه قَدْ كَانَ لِدَعْوَةِ الشُّعْرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ إِلَى مُسَاعَدَةِ إِخْوَانِهِمْ فِي الْأَوْطَانِ أَثَرٌ كَبِيرٌ فِي النُّفُوسِ، عِنْدَمَا أَخَذُوا يَجْمَعُونَ التَّبَرُّعَاتِ وَيَقِيمُونَ الْحَفَلَاتِ لِمُعَاوَنَةِ الْوُطَنِ وَانْتِشَالِ أُنْبَائِهِ مِنْ أَنْيَابِ الْجُوعِ الَّتِي تَكَادُ تَطْبِقُ عَلَيْهِمْ، وَهُمْ فِي أَشَدِّ الْأَحْوَالِ لِلْمُسَاعَدَةِ مِنْ إِخْوَانِهِمِ الْمُهَاجِرِينَ.

فَالْمُهَاجِرُ إِذَا أَفْلَحَ إِذَا اعْتَبَرْنَا عَنَّا الْفَلَاحَ الْمَحَلَّ التِّجَارِيَّ وَالْمَصْنَعُ الْكَبِيرَ وَالْقَصْرَ الْمُنِيفَ، وَأَخْفَقَ بِاعْتِبَارِ أَنَّ شَخْصِيَّتَهُ الْأَدَبِيَّةَ مَا زَالَتْ دُونَ شَخْصِيَّتِهِ الْمَادِيَّةِ؛ وَلَكِنْ مَا فَاتَهُ مِنَ الْعِلْمِ وَالْثَّقَافَةِ أَغْدَقَهُ عَلَى أَوْلَادِهِ بِسَخَاءٍ يَدْعُو إِلَى الْإِعْجَابِ، فَتَجِدُ أَفْقَرَ الْمَغْتَرِبِينَ يَقْتَدِي بِأَغْنَاهُمْ فِي تَثْقِيفِ أَوْلَادِهِ حَتَّى يَبْلُغُوا أَرْفَعَ مَنْزِلَةٍ مِنَ الْعِلْمِ وَالتَّهْذِيبِ، وَهَؤُلَاءِ الْأَوْلَادُ هُمُ الَّذِينَ احْتَلَوْا أَسْمَى الْمَرَكَزِ فِي الْمَجْتَمَعِ»<sup>(76)</sup>.

وَفِي الْمَقَابِلِ أَيْضًا يَجِبُ عَلَيْنَا أَنْ نَعْتَرِفَ بِأَنَّ الْهَجْرَةَ امْتَصَّتْ الْقُوَى الْحَيَّةَ مِنْ بِلَادِ

(74) نادره سراج، شعراء الرابطة القلمية، ص 64.

(75) المرجع السابق، ص 65.

(76) جورج صيدح، أدبنا وأدباؤنا في المهجر الأمريكية، ص 47.

الشام (سوريا ولبنان) ممثلاً في شبابها الطامح الذي خُلف وراءه أهله وخلّانه ليضرب في مجاهل وطن جديد لا يعرفه؛ فيحكّي الكاتب «محمد كرد علي» أنّه زار مرّة قرية من قرى لبنان فلم يجد فيها إلا الشيوخ والمسنات من النساء والأطفال، وعمل هؤلاء هو انتظار البريد في مطالع الشهور ليسدوا مطالب الحياة بالنقود التي يرسلها إليهم أبناؤهم المهاجرون<sup>(77)</sup>.

---

(77) كمال نشأت ، شعر المهجر، (د.ط.) ، 1966 ، دار مصر للطباعة ، القاهرة ، مصر، ص 9 .

## الفصل الثاني

# الرابطة القلمية

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول

نشأة الرابطة القلمية

المبحث الثاني

أعلام الرابطة القلمية

المبحث الثالث

العناصر البارزة في شعر الرابطة القلمية

## المبحث الأول نشأة الرابطة القلمية

في أبريل سنة 1920م بمدينة نيويورك، التقت آراء جماعة من أدباء المهجر في أمريكا الشمالية حول فكرة واحدة، هي ضرورة إنشاء رابطة توحد جهودهم، وتضم قواهم، في سبيل النهوض باللغة العربية وآدابها، بعد أن رأوا خمول الأقلام، وهزال الصحافة، خاصة بعد احتجاب مجلة «الفنون» التي أنشأها نسيب عريضة ونظمي نسيم سنة 1913م، وقد حجبتهما الحرب العالمية الأولى، فكان احتجابها من دواعي التفكير في إنشاء «الرابطة القلمية»<sup>(78)</sup>.

وعن سبب تسميتها بالرابطة القلمية، فقد جاء تيمناً بكتاب الله الجليل القرآن الكريم، وتمسكاً بالعروبة، متمثلة في لغة القرآن كلام الله عزّ وجل، وإيماناً باللغة العربية، وبمكانتها العظيمة وبدورها الريادي الإنساني، وبأنها أم اللغات، ولأنّ القلم شرفه الله في القرآن لأنّه النبع الصافي لكل فكر وثقافة، فجاء اختيارهم موفقاً<sup>(79)</sup>.

وفي الثامن والعشرين من إبريل سنة 1920م أصبحت «الرابطة القلمية» حقيقة واقعة، ففي اجتماع لهم عند جبران، قرر المجتمعون إخراج الجمعية إلى حيز الوجود وتسميتها باسم «الرابطة القلمية»؛ والذين حضروا الاجتماع هم: جبران خليل جبران، ميخائيل نعيمة، عبد المسيح حداد، ندره حداد، إلياس عطا الله، وليم كاتسفلين، نسيب عريضة، ورشيد أيوب؛ وانضم إليهم فيما بعد الشاعر المهجري إيليا أبو ماضي والكاتب وديع باحوط؛ وقد أقرروا شروطاً لتأسيس الرابطة القلمية وهي كالآتي:

1. أن تدعى الجمعية «الرابطة القلمية» وبالإنجليزية «Arrabitah».
2. أن يكون لها ثلاثة موظفين وهم: الرئيس ويدعى «العميد»، فكاظم السر ويدعى «المستشار»، فأمين الصندوق ويدعى «الخازن».
3. أن يكون أعضاؤها ثلاث طبقات: عاملين ويدعون «عمالاً»، فمناصرين ويدعون «أنصاراً»، فمراسلين.
4. أن تهتم الرابطة بنشر مؤلفات عمالها ومؤلفات سواهم من كتاب العربية المستحقين، وترجمة المؤلفات المهمة من الآداب الأجنبية.
5. أن تعطي الرابطة جوائز مالية في الشعر والنثر والترجمة تشجيعاً للأدباء.

(78) - حسن جاد حسن، الأدب العربي في المهجر، ص 61.

(79) - فصل سالم العيسى، النزعة الإنسانية في شعر الرابطة القلمية، 2006، دار البيازوري العلمية للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ص 45.



ثُمَّ انتخب الحاضرون جبران خليل جبران عميداً للرابطة بإجماع الأصوات، وميخائيل نعيمة مستشاراً، ووليم كاتسفليس أميناً للصندوق؛ ويعمل تحت لوائها سبعة آخرون، يحملون اسم «العمال» هم: إيليا أبوماضي، ونسيب عريضة، ورشيد أيوب، وعبد المسيح حداد، ونذرة حداد، ووديع باحوط، وإلياس عطا الله.

وقد كان أعضاء الرابطة العشرة عصابة صغيرة، - كما يقول ميخائيل نعيمة - تفاوتت قواها، ولكن توحدت نزعاتها ومراميها، ولم يكونوا متكافئين في المواهب والإنتاج، ولكنهم كانوا متقاربين في الميول الأدبية، والذوق الفني<sup>(80)</sup>.

ورسم جبران خليل جبران عميد الرابطة شعاراً جميلاً يمثل دائرة في وسطها كتاب مفتوح وعلى صفحتيه خُطت هذه العبارة «لله كنوز تحت العرش، مفاتيحها ألسنة الشعراء» ومن فوق الكتاب قد أطلت شمس أشعتها نصف الدائرة الأعلى، وعند أسفل الكتاب سراج شطره الأيمن محبرة قد انغمس فيها قلم فتحول حبرها إلى لسان من نور خارج من طرف السراج الأيسر، ومن تحت الدائرة اسم «الرابطة القلمية» مخطوط بأحرف مستقيمة الزوايا تشبه بعض أنواع الخطوط الكوفية ومن تحته اسم الرابطة بالإنجليزية<sup>(81)</sup>.

وكان لا بدّ لهذه الجماعة من حديقة ينثرون عليها وعلى ثراها بذورهم ويغرسون في أديمها أغراسهم، فكانت جريدة «السائح» التي أسسها عبد المسيح حداد؛ تلك التربة الخصبة التي حملت للعالم العربي ثمار قرائحهم الياقة، فأدهشته بذلك المحصول الطيب؛ وتكاثفت جهود القائمين بها على صيانة حرمتها، ورفعها عن التحلّق والابتذال، وشرعت جريدتهم تنقل إلى العالم نتاج أقلامهم، وفي صدر كل عام كانت تصدر عدداً ممتازاً كان يطلع على الأدب العربي كحدث خطير، فتكتب الصحف فيه فصلاً، وتنقل عنه الشيء الكثير؛ وهكذا انتشر اسم «الرابطة القلمية» في العالم العربي وكل مهاجره<sup>(82)</sup>.

يقول الدكتور عيسى الناعوري عن نتاج الرابطة الأدبي: «في عام 1921م ظهرت «مجموعة الرابطة القلمية» تحمل عدداً وافراً من المقالات والقصائد، بأقلام أعضاء الرابطة، ما عدا إلياس عطا الله؛ فهو من بينهم الوحيد الذي لم يجر قلمه بمقال طيلة مدة عضويته للرابطة، ولم ينتج شيئاً منذ تأسيس الرابطة، ولم أقرأ له قط سوى مقال»<sup>(83)</sup>.

(80) عيسى الناعوري ، أدب المهجر، ص23 .

(81) ميخائيل نعيمة ، جبران خليل جبران (حياته ، أدبه ) ، ط1 ، 1934 ، بيروت ، لبنان ، ص179 .

(82) مدونة الرابطة الثقافية المعرفية ، سلمية ظهر الشعراني ، شبكة الانترنت ، 2018 .

(83) عيسى الناعوري ، أدب المهجر، ص24 .

أمّا أكثر عمّال الرابطة نشاطاً في الإنتاج الأدبي، وغزارة في المادة، وأبعدهم أثراً في حياتها، وفي الأدب المهجري؛ فكانوا خمسة، وهم:

جبران خليل جبران، وميخائيل نعيمة، وإيليا أبو ماضي، ويليهم نسيب عريضة، ورشيد أيوب، فهؤلاء كان يتميز إنتاجهم بالخلق والإبداع، من جهة، وبروعة التجديد من جهة أخرى؛ وسرعان ما انتشر أدبهم في الدنيا العربية كلها، لَمَّا يحمله من بذور الحياة الجديدة.

ولقد ظلت الرابطة القلمية حيّة بأعضائها العشرة نحو إحدى عشرة سنة - من سنة 1920م إلى سنة 1931م - ثم تبعثرت حباتها، حين راح مقص الموت يقلّم أغصان تلك الدوحة الفارعة، وهي أغنى وأسخر ما تكون بالثمار الطيبات مبتدئاً بعميدها جبران خليل جبران، ثم تلاه برشيد أيوب، وإلياس عطا الله، ونسيب عريضة، ثم ندره حداد، فوليم كاتسفلينس، فوديع باحوط، وإيليا أبو ماضي؛ ثم توفي عبد المسيح حداد وقد كان قد باع في أواخر عام 1957م حقوق جريدته «السائح» - حديقة الرابطة القلمية المعطاء - إلى راجي الظاهر، صاحب جريدة «البيان»، فاندمجت الجريدتان في واحدة هي (البيان) ومضى عبد المسيح حداد يعمل فيها حتى وفاته في نيويورك 1963م.

ولعل مما بعث العزاء في نفوس أدباء العرب في الشرق وفي بلاد المهجر في تلك الفترة، قيام «العصبة الأندلسية» في المهجر الأمريكي الجنوبي، في البرازيل بمدينة سان باولو عام 1933م؛ وإنشاء مجلتها «العصبة»، كما كان للرابطة القلمية مجلة تؤدي رسالتها الأدبية الكبرى.

### صدور مجموعة الرابطة القلمية:

صدرت مجموعة الرابطة القلمية لعام 1921م، واشترك في تحريرها جميع عمال الرابطة وعلى رأسهم عميدها وفنانها جبران، ثم ناقدها وفيلسوفها ومستشارها ميخائيل نعيمة وبقية كتابها وشعرائها، فجاءت كتاباً ضخماً متميزاً، يقع في أكثر من ثلاثمائة صفحة من الحجم الكبير، مليئاً بالموضوعات الأدبية (الشعر والنثر) واللغوية والاجتماعية والفلسفية، والقصائد الشعرية التي تعالج شتى الموضوعات أيضاً<sup>(84)</sup>.

ومّا أن وصلت هذه المجموعة إلى العالم العربي حتى تناقلها الكتّاب والشعراء وأخذوا يطالعونها بشغف زائد وتطلع نحو البعث والتجديد اللذين لاحت آثارهما من خلال سطور المجموعة، كما ظهرت تباشيرها من قبل على صفحات جريدة «السائح» ومجلة «الفنون».

(84) نادرة جميل سراج، شعراء الرابطة القلمية، ص 87.

وقبل أن نتعرف على أثر هذا الأدب الجديد في الشرق العربي، يجدر بنا أن نتوقف قليلاً لنأمل مميزات هذه الروح الجديدة التي ظهرت في الأدب العربي وعلى أيدي أعضاء «الرابطة القلمية» بالمهجر الشمالي - على وجه خاص - وجاءت مسطرة في كل مقال أو قصيدة ضمن هذه المجموعة.

فمخائيل نعيمة، مستشار الرابطة، الذي نظم قانونها وصاغ مقدمته، يقول في هذه المقدمة: « ليس كل ما سطر بمداد على قرطاس أدباً ولا كل من حرر مقالاً أو نظم قصيدة موزونة بالأديب، فالأدب الذي نعتبه هو الأدب الذي يستمد غذاءه من تربة الحياة ونورها وهوائها، والأديب الذي نكرمه هو الأديب الذي خص برقة الحس ودقة الفكر وبعد النظر في تموجات الحياة وتقلباتها، وبمقدرة البيان عما تحدثه الحياة في نفسه من التأثير»<sup>(85)</sup>. ويقول أيضاً: «إننا إذا عملنا على تنشيط الروح الأدبية الجديدة، لا نقصد بذلك قطع كل علاقة مع الأقدمين، فبينهم من فطاحل الشعراء والمفكرين من ستبقى آثارهم مصدر إلهام للكثيرين غداً وبعد غد، إلا أننا لسنا نرى في تقليدهم سوى موت لأدبنا، لذلك فالمحافظة على كياننا الأدبي تضطرننا للانصراف عنهم إلى حاجات يومنا ومطالب غدنا، وحاجات يومنا ليست كحاجات أمسنا»<sup>(86)</sup>.

هذه الروح الجديدة التي شرح أصولها مستشار الرابطة في الفقرات السابقة هي التي نجدها غالبية بل متأصلة في جميع كتابات عمال الرابطة القلمية؛ سواء أكانت على صفحات جريدة «السائح» أم في المجموعة الجديدة نفسها، فالأدب عندهم هو الذي يعبر عن هذه الحياة التي يعيشونها، لا تلك التي عاشها الأقدمون.

فالنفس أو الروح هي الشيء الأهم في أدب عمال الرابطة القلمية، وكل ما يبحث في هذه النفس، وكل ما يكتب أو يقال من أجلها يعد أدباً حياً عندهم.

يقول مخائيل نعيمة: «فالأثر الخالد لا يموت، والميت لا يعيش، ولا يخلد من الآثار إلا ما كان فيه بعض الروح الخالدة»<sup>(87)</sup>، فالأدب عند عمال الرابطة ليس إلا رسولاً بين نفس الكاتب ونفس سواه، والأديب الذي يستحق أن يدعى أديباً هو من يزود رسوله من قلبه ولبه»<sup>(88)</sup>.

وقد لخص مخائيل نعيمة الغرض من هذه المجموعة التي أصدرتها الرابطة القلمية إذ يقول: «إن الرابطة القلمية ما كانت لتقدم المجموعة إلى قراء العربية إلا لاعتقادها

(85) مخائيل نعيمة، مجموعة الرابطة القلمية لسنة 1921، المطبعة السورية الأمريكية، 1921، نيويورك، ص4.

(86) مخائيل نعيمة، جبران خليل جبران (حياته - أدبه)، ص180.

(87) مخائيل نعيمة، مجموعة الرابطة القلمية لسنة 1921، ص6.

(88) المرجع السابق، الصفحة نفسها.

بأنّها اتخذت من الأدب رسولاً لا معرضاً للأزياء اللّغوية والبهرجة العروضية؛ وقد تكون مخطئة فيما تعتقد، ولكن إخلاصها في الأقل يشفع بخطئها، فهي لا تدّعي لهذه المجموعة أكثر ما تستحق، فإن لم يكن لها غير تشويق بعض الأرواح الناشئة إلى طرق الأدب عن سبيل النفس لا عن سبيل المعجمات فحسبه ثواباً، فقد كفانا ما عندنا من المعجزات اللّغوية»<sup>(89)</sup>.

كل تلك التفسيرات للأدب عند شعراء «الرابطة القلمية» وأدبائها، تبين مدى اتصال الأدب عندهم بالحياة والإنسان الذي يعيش هذه الحياة مؤثراً فيها ومتأثراً بها.

وقد ضمت مجموعة «الرابطة القلمية» ألواناً من الأدب (الشعر والنثر)، وبدأ المجموعة عميد الرابطة جبران خليل جبران بقطعة من النثر الشعري الجميل جعل عنوانها «بين ليل وصباح»، يتحدث فيها عن نفسه وعن الحياة حوله، ويخاطب فيها قلبه، ويبدوها بقوله:

اسْكُتْ يَا قَلْبِي فَالْفَضَاءُ لَا يَسْمَعُكَ.

اسْكُتْ فَلَا تُثِيرِ الْمُثْقَلَ بِالنَّوْاحِ وَالْعَوِيلِ لَنْ يَحْمَلَ أَغَانِيكَ وَأَنَاشِيدِكَ.

اسْكُتْ فَاشْبَاحُ اللَّيْلِ لَا تَحْفَلُ بِهِمْسِ أَسْرَارِكَ. وَمَوَاقِبُ الظَّلَامِ لَا تَقْفُ أَمَامَ أَحْلَامِكَ.

اسْكُتْ يَا قَلْبِي، اسْكُتْ حَتَّى الصَّبَاحِ، فَمَنْ يَتَرَقَّبُ الصَّبَاحَ صَابِراً يَلَاقِي الصَّبَاحَ قَوِيّاً، وَمَنْ يَهْوَى النُّورَ فَالنُّورُ يَهْوَاهُ<sup>(90)</sup>.

وغير جبران، يتحدث رشيد أيوب في هذه المجموعة عن «أنفس الشعراء» وكم هي رقيقة حنون، تتأثر لأدنى العواطف وتُشابه أرقّ الكائنات، وفيها يقول:

يَا نَسْمَةً فِي مُرُوجِ الْحُبِّ نَافِحَةً \* حَيْثُ الْحَمَائِمُ لَا تَنْفُكُ نَائِحَةً

نَاشِدَتُكَ اللَّهُ بَاكَرَتْ سَائِحَةً \* عِنْدَ السَّوَاقِي بِجَوْ الرُّوحِ سَابِحَةً<sup>(91)</sup>

ويناجي نسيب عريضة نفسه وروحه في هذه المجموعة أيضاً بقوله:

لَا حَتَّ قُصُورُ الْخَيَالِ \* تَعْلُو مُتَوَنِّ الْغَمَامِ

يَا أُخْتُ رُوحِي تَعَالِي \* أَطْلُتْ فِيهَا الْمَقَامِ<sup>(92)</sup>

إنّ هذه النزعة التأملية التي سرت في شعر نسيب عريضة وفي بعض أشعار غيره من عمال الرابطة هي التي فاضت بها صفحات المجموعة، فالنفس والقلب والروح أشياء

(89) المرجع السابق، ص7.

(90) المرجع السابق، ص9.

(91) ميخائيل نعيمة، مجموعة الرابطة القلمية لسنة 1921، ص10.

(92) المرجع السابق، ص12.

محسوسة يُفَتِّنُ الشعراء في التعبير عنها وعما يخالجها من عواطف وأحاسيس وما يعترئها من قلق أو طمأنينة، وإلى جانب هذا فالأدب عندهم يجب أن يكون إنسانياً خالصاً فيه منفعة لبني الإنسان في كل العصور والأزمان؛ وفي إيضاح هذه الفكرة الإنسانية، يقول إيليا أبو ماضي:

مَاذَا يَفِيدُ الصَّوْتُ مُرْتَفِعاً \* إِنَّ لَمْ يَكُنْ لِلصَّوْتِ ثَمَّ صَدَى  
وَالنُّورُ مُنْبَثِقاً وَمُنْتَشِراً \* إِنَّ لَمْ يَكُنْ لِلنَّاسِ فِيهِ هُدًى  
إِنَّ الْخَوَادِثَ فِي تَتَابُعِهَا \* أَبْدَلْنَنِي مِنْ ضِلَّتِي رَشْداً<sup>(93)</sup>

وإن خير شاهد على نزعتهم التأملية الإنسانية، تجاربهم مع الطبيعة؛ فقد اندمجوا فيها لدرجة الاتحاد والفناء وخلعوا عليها صفات الأحياء، وتعلموا منها المبادئ، وصاحبوها في رحلاتهم للمعرفة والقيم الإنسانية<sup>(94)</sup>.

وبالرجوع للنظر في أهداف الرابطة، نلاحظ أنهم يتفقون في نزوعهم نحو التجديد والتخلص من قيود القديم؛ ومحور الأدب في رأيهم هو الإنسان وبقدر ما يرتبط الأدب بالإنسانية يكفل لنفسه البقاء، وفي ذلك يقول نعيمة: «فأنا ما أزال أقول إن محور الأدب هو الإنسان، فعلى قدر ما يتغلغل الأدب في حياة الإنسان في التفتيش عن أهدافها، وعن العقبات التي تقوم في وجه تلك العقبات، يكفل لنفسه البقاء وذلك أن الأدب - شعره ونثره - يجب أن يقيم بقدر ما فيه من قوى إنسانية ظاهرة أو باطنة لا بقدر ما فيه من الحذقة والبراعة في صقل الكلمات والعبارات»<sup>(95)</sup>.

ونخلص إلى أن مجموعة «الرابطة القلمية» في فترة وجيزة استطاعت بفضل مفكراتها وأدبائها وشعرائها أن تكون إطاراً ثقافياً مميزاً في المهجر، وأن تترك الأثر الفعال في الشرق العربي، كما أشاع مفكروها تياراً فكرياً وأدبياً خصباً، وتركوا بذوراً أينعت ثمارها في الشعر العربي الحديث.

ومن الإنصاف أن نذكر هنا أن من شاركهم في ذلك أدباء وشعراء المهجر الجنوبي من خلال روابطهم وجمعياتهم المتعددة وعلى رأسها «العصبة الأندلسية» (1933) التي قامت مقام الرابطة القلمية التي انقضت في الشمال؛ وقد كتب شفيق معلوف - الذي تولى رئاسة العصبة الأندلسية -، عن غاياتها قائلاً: «إن أركانها قد أجمعوا على النضال في سبيل الأدب من حيث هو فنٌ وجمال، دونما نظر إلى إطار أو مصدر»<sup>(96)</sup>.

(93) ديوان إيليا أبي ماضي، تحقيق عفيف نايف خاطوم، ص 165.

(94) صابر عبد الدايم، أدب المهجر، ص 38.

(95) ميخائيل نعيمة، المجموعة الكاملة، م 1، ط 1، 1975، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ص 476.

(96) محمد عبد المنعم خفاجي، حركات التجديد في الشعر الحديث، ط 1، 1992، دار الجيل، بيروت، ص 181.

## أثر المجموعة في المهجر وفي الشرق العربي:

كانت عقول أبناء الشرق العربي قد بدأت تتفتح نحو التجديد، ولو بصورة أولية، منذ بدء دخول المؤثرات الأجنبية والمبادئ التجديدية التي لاحت في بعض قصائد أحمد شوقي وحافظ إبراهيم، ثم مطران الشاعر الإبداعي، في مصر<sup>(97)</sup>، وعلى أيدي أحمد فارس الشدياق ومارون نقاش ونجيب الحداد وفرح أنطون وغيرهم من اللبنانيين؛ وعن بدايات المؤثرات التجديدية في الأدب العربي، قبل ظهور مجموعة الرابطة القلمية، يقول زكي مبارك: «ظهرت بداية التجديد مع أحمد شوقي، ثم خلفه حافظ إبراهيم فيما بعد؛ الذي لقب بشاعر النيل، وقيل عنه: أنه أديب لم تر مثله أندية الأدب منذ أجيال»<sup>(98)</sup>؛ وهذا التجديد الذي ظهرت بوادره مع شوقي وحافظ، وغيرهما، كان تمهيداً لظهور مدرسة الديوان .

فما أن وصلت مجموعة الرابطة القلمية إلى أبناء الشرق العربي حتى تقبلتها القلوب والعقول أحسن قبول، وسارع إلى قراءتها الأدباء والمتأدبون وأخذ أصحاب الصحف والمجلات العربية ينقلون بعض محتوياتها وخاصة ما كان من كتابات ميخائيل نعيمة وجبران خليل جبران وإيليا أبو ماضي؛ وأصدرت دار الهلال كتاب «العواصف» لجبران في طبعة جميلة أنيقة، ثم طبعت له مجموعة أخرى من كتبه، وصدرت له في مصر أيضاً ثنائياته الشعرية المعروفة باسم «المواكب»، ومجموعته المختارة «البدائع والطرائق».

إن مجموعة الرابطة القلمية، كانت ثورة على التقليد والجمود، ودعوة إلى التجديد والعكوف على مطالب اليوم والغد، وقد خضع لتأثيرها أعضاء الرابطة، فتألفت نزعاتهم وميولهم، والتقت أفكارهم ومواهبهم، ثم انتقل تأثيرهم إلى المهاجر الأمريكية الأخرى، ثم إلى الشرق العربي بعد ذلك»<sup>(99)</sup>.

وقد أحدثت الرابطة القلمية تأثيراً كبيراً في نهضة الشعر العربي بالمهجر، كما أحدثت ثورة عارمة من أنصار القديم عليها، ولكنّها شقت طريقها في عزم وإصرار، حتى أصبح لها أنصار في كل مكان<sup>(100)</sup>، واهتم بعض الأفراد من المعنيين بالأدب في مصر بجمع بعض القطع الشعرية والنثرية من أدب المهجر، مثل الذي فعله الأستاذ محي الدين رضا حين أصدر كتاب «بلاغة العرب في القرن العشرين» وهو عبارة عن مختارات بأقلام رسل البلاغة العربية - كما جاء في الكتاب - في أمريكا

(97) نادرة جميل سراج ، شعراء الرابطة القلمية ، ص 94 .

(98) زكي مبارك ، الشاعر حافظ إبراهيم ، ط1، دار الجيل ، بيروت ، لبنان ، 1991 ، ص 12 .

(99) حسن جاد حسن ، الأدب العربي في المهجر ، ص 63 .

(100) المرجع السابق، الصفحة نفسها .

الشمالية والجنوبية، وكتب له مقدمة توحى بعظمة كتابات مجموعة المهجر؛ يقول الأستاذ رضا، في مقدمة كتابه: «نستطيع أن نسمي هذه المناحي الكتابية والعلوم الإنشائية ( الأساليب الحية ) لأنها حقيقة تحيي في نفس قارئها روح الجمال، وعظمة الإبداع، وجلال المقصد»<sup>(101)</sup>؛ وما أن صدرت هذه المجموعة حتى نفذت من السوق بأقصى سرعة، وتتابع على نشرها كلمات الشكر والتأييد من أشهر أدباء الأقطار العربية مثل: عباس محمود العقاد، وإبراهيم عبد القادر المازني، والأنسة مي زيادة وغيرهم؛ فكان هذا مشجعاً له على إعادة طبع الكتاب في عام 1924م<sup>(102)</sup>.

وفي عام 1924م صدرت مجموعة أخرى من شعر المهجر ونشره في كتاب بعنوان «ما وراء البحار»، جمعها وأشرف عليها الأستاذ توفيق سعيد الراجحي، وقد جمع فيه مقتطفات من التراث الذي نشر في المهجر من مؤلفات أمين الريحاني، وجبران، وإيليا، ورشيد أيوب، ونسيب عريضة، وعبد المسيح حداد، ووليم كاتسفليس وغيرهم؛ وكتب في مقدمته: «إننا نغبط أنفسنا بنشر هذه الآثار، التي نرى فيها نفعاً كبيراً لجمهور أهل الأدب...»<sup>(103)</sup>.

فكان قبل أن يذاع الأدب المهجري في الشرق، ويتأثر الأدباء بروحه الحرة، كان أكثر الأدباء يتنافسون في تقليد الأساليب العتيقة، ليبنوا شخصياتهم على شخصيات سابقة معروفة، فكانت تأتي كتاباتهم على نمط واحد، أو مقارنة كما هو معروف. أما بعد انتقال الأدب المهجري إلى الشرق بطابعه المميز لكل شخصية، فقد تأثر به الشعراء هناك؛ وأصبحنا نرى في مصر - مثلاً - طابعاً خاصاً حديثاً لكل من: طه حسين، والعقاد، والحكيم، والمازني، والزيات، وأحمد أمين، وفي لبنان وسوريا نجد طابعاً لكل من إلياس أبي شبكة، وسعيد عقل، ومارون عبود، وعمر أبي ريشة، وبشارة الخوري، وهكذا»<sup>(104)</sup>.

وفي غير مصر ولبنان وسوريا من الأقطار العربية، وجد لمدرسة المهجر أنصار كثيرون ففي تونس شُغف أبو القاسم الشابي بأدب المهجر واستأثره منه أسلوب جبران خليل جبران خاصة، فكانت النزعة الجبرانية واضحة في تعابيره وخياله<sup>(105)</sup>، وفي الحجاز وجدت طائفة من الشعراء جنحت إلى شعر المهجر فتأثرت بأسلوب جبران ونعيمة ونسيب وغيرهم؛ كما نجد عند بعض الثائرين الحجازيين روحاً من نثر المهجر الذي يسميه الدكتور محمد مندور «النثر المهموس»<sup>(106)</sup>.

(101) محي الدين رضا، بلاغة العرب في القرن العشرين، (د.ط)، 1339 هـ، المطبعة الرحمانية، مصر، الصفحة ب.

(102) نادرة جميل سراج، شعراء الرابطة القلمية، ص 95.

(103) أمين الريحاني وآخرون، ما وراء البحار، تحقيق سعيد الراجحي، (د.ط)، 2020، مؤسسة هنداوي، القاهرة، ص 9.

(104) عيسى الناعوري، أدب المهجر، ص 66.

(105) مجلة الأديب، بيروت، لبنان، السنة الرابعة، العدد الأول، 1956، ص 49.

(106) مجلة الأديب، بيروت، لبنان، السنة الثالثة، العدد 12، 1955، ص 42.

ولكن ليس معنى هذا أن أدب الرابطة القلمية لم يجد له معارضاً لا في الشرق ولا في الغرب أو أن كل الأدباء كانوا يؤيدونه ويدعون له؛ فكل نزعة تجديدية أو فكرة مستحدثة، تجد نصيبتها من المعارضة، فقد وجد أدب الرابطة نصيبه من المعارضة في الشرق العربي وفي المهجر نفسه.

وحين نفتح سجل الشعر العربي الحديث يتضح لنا من النظرة الأولى أن شعراء الرابطة القلمية بالمهجر الشمالي، بجانب شعراء المهجر الجنوبي، قد لعبوا دوراً أساسياً في النهضة الشعرية التي عرفها العالم العربي مطلع القرن العشرين؛ بل إنهم كانوا رموز هذه النهضة وصانعيها وباعثيها، ونفضوا عن اللغة العربية غبار الماضي، وأتاحوا للشعر العربي الانفتاح على التجارب الأدبية الريادية، خصوصاً الغربية منها؛ وقد عاش هؤلاء تجارب مهمة على جميع المستويات أتاحت لهم أن يلعبوا هذا الدور التجديدي، وأن يضعوا هذه النهضة الشعرية والأدبية في عالم عربي كان لا يزال يعيش البؤس بالإضافة للاحتلال الأجنبي.

وقد أبدى الأستاذ «محمد يوسف نجم» رأيه بوضوح في أدب المهجر، فيقول: «... والذي يهمننا من هذه الحركة هو وجهها الأدبي، وهو وجه مشرق ناصع، فقد كُتِبَ للكثيرين من هؤلاء أن يبرزوا في عالم الأدب والفكر، كما برزوا في نواحي الحياة العملية؛ ومن منا ينكر المساهمة القيمة التي شارك بها المهجريون في نهضتنا الأدبية الحديثة، ومن يجهل «الرابطة القلمية» التي كان رئيسها جبران خليل جبران ومن أعضائها: ميخائيل نعيمة، وإيليا أبو ماضي، ونسيب عريضة و... وهذا لا يعني أن النشاط الأدبي في المهاجر الأمريكية انحصر في هاتين الجمعيتين (يعني بالثانية العصبة الأندلسية في أمريكا الجنوبية)؛ بل هنالك أدباء كثر لم ينتظموا في سلكهما...»<sup>(107)</sup>.

ومن خلال هذا الرأي وتلك الآراء، يتبين لنا قيمة شعر الرابطة الذي جمع ما بين الإنسانية والرومانسية والتأمل والتصوف؛ الناتج عن عمق التجربة، والتحرر من القيود والتقليد، وهذا في رأينا ما منح أشعار هذه المجموعة، صفة العالمية والذيع.

على أن من الإنصاف لتأريخ الحركة الأدبية في المهجر أن نشير إلى أن الذي بعثها وأحيائها ونقلها من جوها المحدود إلى الجو العربي في مشارق الأرض ومغاربها إنما كان أديب المهجر الأكبر جبران خليل جبران؛ يدعم ذلك ما رواه ميخائيل نعيمة في ثني كتابه النفيس «جبران خليل جبران»<sup>(108)</sup>.

### تأثر أعضاء الرابطة القلمية بالغرب:

يجدر بنا الرجوع قليلاً إلى الوراء قبل أن نتناول هذا الجزء لكي نتساءل:

(107) محمد يوسف نجم، القصة في الأدب العربي الحديث، (د.ط.)، 1952، القاهرة، مصر، ص 86.

(108) ينظر: ميخائيل نعيمة، جبران خليل جبران، ط 13، 2009، بيروت، لبنان، 2009.



ما الذي أوحى إلى تلك العصابة من الأدباء المهجريين بتأسيس هذه الجمعية التي سموها «الرابطة القلمية»؟ ومن الذي نفخ فيها أول ما نفخ من روحه وعزمه؟ ومن الذي هداها إلى هذه المثل والنزعات الجديدة التي اختطتها لنفسها في عالم الأدب وسارت في طريقها حتى لاقت ما لاقت من نجاح وانتشار؟

إنَّ جُبران معروف أنَّه كان المحرك الأوَّل والداعية الأكبر لتأسيس «الرابطة القلمية»، بدليل انتخابه رئيساً لها من قَبْل جميع الأعضاء، وبدليل هذا الاهتمام الشديد البادي منه نحو كل خطوة يخطوها الأعضاء في طور تأسيس الرابطة وكل اجتماع يجتمعون من أجلها؛ ولو ذهبنا أبعد قليلاً لوجدنا جبران كان على صلة وثيقة ببعض الشعراء الأمريكيين وشاعراتهم في ذلك الحين، فهو في أوائل عام 1918م قدَّم لصديقه ميخائيل نعيمة، عدداً من مجلة «الفنون السبعة» «The Seven Arts»، التي كانت تصدر في حلَّة جميلة، وكان اسم جبران خليل جبران بين أسماء مديريها ومحرريها أيضاً؛ فهذه المجلة شجعت جبران على الكتابة بالإنجليزية وأعطته نماذج يعرضها في شعره في الأندية الأدبية ومكنته من الاتصال بجمعية الشعر النيويوركية التي أتاحَت له أنَّ يلقي في اجتماع من اجتماعاتها شيئاً من نتاج قلمه؛ فهذا دليل على أنَّ جبران كان على صلة، وعلى صلة وثيقة بعدد لا بأس به من المنتديات الأدبية الأمريكية، وكان بينه وبين بعض شاعرات أمريكا وأديباتها صداقة تبلغ حد المتانة والإخلاص في بعض الأحيان؛ كتلك الصداقة الروحية التي كانت بينه وبين الأنسة «ماري هاسكل» مديرة إحدى مدارس البنات، ومثل التي كانت بينه وبين الأنسة «بربارا يونج»<sup>(109)</sup> التي كتبت فيما بعد كتاباً عن جبران كما عرفتُه وعن ذكرياتها معه وعن آرائه وأفكاره. كان جبران قد عُرف بفنه وشُهر برسومه الدقيقة في الأوساط الأمريكية المختلفة، كما أنَّه كان على جانب من الثقافة يتيح له الاطلاع على كل ما وصلت إليه يده من الآثار الأدبية الأمريكية، وربما وجد في بعض هذه الآثار ما يستحق التقليد والاحتذاء؛ فأدب جبران خليط من تفاعل روحي وفكري، استمدَه من «وليم بليك»<sup>(110)</sup>، و«رودان»<sup>(111)</sup>، وغيرهما<sup>(112)</sup>.

(109) - بربارا، شاعرة أمريكية، كانت صديقة لجبران عاشت معه في محترفه آخر سبع سنوات، وكتبت أدق التفاصيل عن يومياته، وكيف

أمل عليها آخر مؤلفاته، وبعد وفاته سافرت إلى لبنان حيث وضعت كتابها الشهير " هذا الرجل من لبنان " THIS MAN FROM LEBANON

ARABIC ترجمة سعيد عفيف بابا، دار الأندلس للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، 1964.

(110) - وليم بليك (1757 - 1827) شاعر إنجليزي ورسام صحف، يعد أول شاعر رومانطيقي في إنجلترا (ينظر: قصائد وليم بليك، ترجمة

وتقديم ماجد الحيدر، على موقع واي باك مشين، شبكة الإنترنت).

(111) أوغست رودان (1840 - 1917) فنان ونحات وكاتب فرنسي، يعد أحد رواد النحت في القرن التاسع عشر، من أعماله البارزة: المفكر،

وأبواب الجحيم (ينظر: الموسوعة الحرة، ويكيبيديا، شبكة الإنترنت).

(112) الربيع جفابة، جماليات الشعر المهجري "إيليا أبو ماضي أنموذجاً"، ص29.

فإنَّ جبران خليل جبران استمد من «وليم بليك» إنسانيته، التي تؤكد الإخاء الروحاني والمساواة لذلك نجده يتمرد على الظلم، والتمييز بين الناس، وضد ظلم النظام، وضد الملوك الطغاة، ويتعصب للإنسان العفوي العادي كالرعاة والفلاحين، وهم أبطال قصصه الإيجابية<sup>(113)</sup>.

ومما لا شك فيه أنَّ الرجل الثاني في مجموعة الرابطة القلمية وهو ميخائيل نعيمة، الذي التحق بجامعة واشنطن عام 1912 لدراسة الحقوق فيها، وظل فيها أربع سنوات حتى نال شهادة الحقوق سنة 1916؛ فلم يفتُ مدة دراسته الاطلاع على أسس الثقافة الأمريكية والأدب الأمريكي بمراحله المختلفة.

وأغلب الظن أنَّ بقية عمال الرابطة ممَّنُ أحسنوا اللغة الإنجليزية - أو عرفوها على الأقل كتابة وقراءة - قد اطلعوا هم الآخرين على ذلك الأدب الأمريكي والحركات الأدبية المعروفة في تاريخه، وعلى آثار رجاله المعروفين وشاعراته المعروفات؛ وليس من الممكن أنَّ تعيش جماعة أدبية كهذه الجماعة المفكرة المجددة في بلد أجنبي اللغة والآداب ولا تطلع على ما لهذا البلد من آثار أدبية هي في صميم موضوع اهتمامها؛ ولكن رغم ذلك كانت الروح العربية تهيم على نتائجهم والاهتمام باللغة العربية الهدف الأهم من أهدافهم<sup>(114)</sup>.

وقد كانت الثقافة والتاريخ و الحضارة الشرقية أقوى من كل ما عداها في تكوين أدبهم، وأنهم عملوا بقول غاندي: «لا أريد لبيتي أن يكون مستوراً من جميع الجهات ولنوافذي أن تكون مغلقة، أريد أن تهبَّ على بيتي ثقافات كل الأمم بكل ما أمكن من حرية، ولكني أنكر عليها أن تقتلني من أقدامي»<sup>(115)</sup>.

ولا نشك في أنَّ للبيئة الأمريكية أثر واضح على أدب المهجر بوجه عام، وعلى شعراء الرابطة القلمية على وجه خاص؛ فالذين كتبوا عن الرابطة قد لمحوا في آثار أعضائها بعض التأثير بالمدرسة الرومانسية، وهم يعترفون أيضاً بوجود شبه كبير بين الرابطة القلمية وبين تلك المدرسة الرومانسية؛ وليس غريباً مطلقاً أن يكون شعراء العرب في أمريكا الشمالية قد اطلعوا على هذه الآداب وفهموا مذهبها وأهدافها، وراقتهم أفكارها وآراؤها فاحتدوا حذوها وعملوا مثلها، فقد كان للبيئة الأمريكية فضل على أدبائنا المهاجرين، هو غير الثقافة والحرية وما أشبه ذلك؛ فهذا الفضل هو عزلهم عن دنيا الإقطاعية الفكرية وعن الأوساط الرجعية التي كانت تعتقد أنَّ اللغة العربية لا تنتصر<sup>(116)</sup>.

(113) فصل سالم العيسى، النزعة الإنسانية في شعر الرابطة القلمية، ص 59.

(114) جورج صيدح، أدبنا وأدبائنا في المهاجر الأمريكية، ص 66.

(115) المرجع السابق، ص 67.

(116) المرجع السابق، ص 116.

وقد تأثر الأدباء المهجريون بالأدب الإنجليزي أيما تأثر، وقلّده في بعض أنواعه مثل: الشعر المرسل، والشعر الحر، وترسموا خطى «والت ويطمان»<sup>(117)</sup> الأمريكي في ديوانه الذي أودعه شعره الحر، وسماه «أوراق العشب»، وقلّده كذلك في كثرة الحديث عن النفس وتأملاتها وفي الكلام عن الضمير والوحدة وفي نزعتة الصوفية»<sup>(118)</sup>.

ونجد ميخائيل نعيمة يعترف بأنّ الأدب العربي الحديث قد أخذ عن الغرب أمثلة جعلها حجر الزاوية في نهضته الأدبية، فيقول: «أدركنا - بفضل الغرب - أنّ نظم الشعر ممكن في غير الغزل والنسيب، والمدح والهجاء، والوصف والرثاء، والفخر والحماسة»<sup>(119)</sup>.

فإنّ معظم ممّن كتبوا عن «الرابطة القلمية»، قد لمحوا في آثار أعضائها بعض التأثير بالنزعة الرومانسية الأوروبية؛ وهم يعترفون أيضاً بوجود شبه كبير بينها وبين تلك المدرسة الرومانسية التي نشأت في فرنسا؛ حتى في أسباب تكونها، فهناك الثورة الفرنسية وهنا الحرب العظمى؛ وحتى في الفن والتصوير فهما متشابهان، إلّا أنّ المدرسة الرومانسية كان لها أكثر من مصور بينما للرابطة القلمية مصور واحد هو جبران؛ ويذهب البعض إلى أكثر من هذا فيقولون: «إنّ ميخائيل نعيمة ناقد الرابطة القلمية يأخذ نفس المكانة فيها كتلك التي أخذها «سنت بيف» ناقد المدرسة الرومانسية»<sup>(120)</sup>.

والمطلع على أدب الرابطة القلمية يلاحظ أنّ غالبه جاء إنعكاس لتفاعل روحي وفكري، مستمد من بعض أدباء الغرب، كولين بلايك، ونيتشه، ورودان، وغيرهم، خاصة أدب جبران خليل جبران. وعلى الرغم من أنّ أدباء الرابطة تعمقوا في الآداب الغربية واستمدوا منها بعض صورهم، وتأثروا ببعض مدارسهم الأدبية، لكنهم لم يذوبوا فيها، ومن الثابت أنّ الرابطة القلمية لم تتأثر خطى أي رابطة عربية قديمة في الشرق أو الغرب، بل على العكس، لقد كان من أهدافها أن تكون جديدة في بابها، طريفة في أسلوبها، لم يسبق لها مثيل في الأدب العربي»<sup>(121)</sup>.

(117) والت ويطمان (1819 - 1892) شاعر وكاتب وصحفي أمريكي، أحد أهم شعراء أمريكا وأكثرهم تأثيراً في القرن التاسع عشر، وكثيراً ما يوصف بأنه أبو الكتابة الحرة، أشهر دواوينه "أوراق العشب" (ينظر: ديوان أوراق العشب لوالث ويطمان، ترجمة سعدي يوسف، ط1، منشورات الجمل، بيروت، 2010، ص1 وما بعدها).

(118) عمر الدسوقي، في الأدب الحديث، ج2، ط1، 1950، دار الفكر، القاهرة، ص232.

(119) ميخائيل نعيمة، الغريال، ط15، 1991، مطبعة نوفل للنشر، بيروت، لبنان، ص84.

(120) نادرة جميل سراج، شعراء الرابطة القلمية، ص101.

(121) نادرة جميل سراج، شعراء الرابطة القلمية، ص99.

## المبحث الثاني أعلام الرابطة القلمية

أنشئت الرابطة القلمية في نيويورك عام 1920 - كما مرّ في المبحث الأوّل من هذا الفصل- على يد نخبة من أدباء وشعراء المهجر الشمالي، بهروا بأعمالهم الإبداعية العالم العربي شرقاً وغرباً من الأمريكتين، وقد تركوا لنا تراثاً أدبياً راقياً فيه نغمة التجديد، وروح الشرق، ومظاهر إنسانية نبيلة؛ إذن منّ أعلام هذه الرابطة؟ وكيف كانت نشأتهم وحياتهم؟ وما أعمالهم وآثارهم الأدبية التي خلّوها لنا ولأجيال الأمة العربية؟

فيستحسن أن نخصّص هذا المبحث لعرض نبذة تعريفية لكل من أعلام الرابطة القلمية وأعضائها العشرة؛ متناولين في ذلك: نشأتهم، وحياتهم، ومراحلهم التعليمية، وأعمالهم الأدبية؛ معتمدين في كل ذلك، على كتب التراجم ومؤلفات الأدباء، ودواوين شعراء الرابطة القلمية أنفسهم، وبعض كتابات الباحثين المحدثين في العالم العربي.

### جبران خليل جبران (1883 - 1931)

هو جبران بن خليل بن ميخائيل بن سعد، عميد الرابطة القلمية، ولد في بلدة (بشرى) في شمال لبنان في السادس من يناير سنة 1883م، والده خليل المكلف بجباية الرسوم على الماشية، أمّا أمه فهي «كامّلا» ابنة الخوري اسطفان رحمة، وقبل زواجها من خليل كانت أرملة حنا عبد السلام، ومات عن ولد اسمه بطرس ولما عادت إلى أبيوها تزوجها خليل فرزق منها جبران وأختاه سلطانة ومريانا، وكانت امرأة ذات ثقافة محدودة، غير أنّها كانت تتحلّى بإرادة وهمة قويتين ساعدتاها على تدبير شؤون المنزل<sup>(122)</sup>.

كان لأمّ جبران تأثير بليغ في نشأته وتوجيهه في الحياة، قال عنها في رسالة موجهة إلى الكاتبة «مي زيادة» في 1920م: «كانت محبوبة في محيطها ما عهدتها في أدنى درجاتها أقل من شقيقة، ولا أعلى في درجاتها أقل من سيدة، لقد أفهمتني، وأنا بعد في الثالثة أنّ الرابطة بينا هي كما بين صديقين رابطة حبّ متبادل، وأننا كائنات مستقلتان جمعتهم يد الحياة الشريفة، كانت أعجب كائن عرفتها في حياتي»<sup>(123)</sup>.

وما أن بلغ سن الخامسة من عمره ألحق بمدرسة قريته «بشرى» فتلقّى مبادئ القراءة والكتابة، ولم ينعم طويلاً في حديثه إذ ضاقت أسباب الحياة أمام عائلته،

(122) جبران خليل جبران، المجموعة الكاملة، ص 11.

(123) جبران خليل جبران، المجموعة الكاملة، ص 6.

لأنَّ الأب أتهم باختلاس ما كان يجنيه من الرسوم فسجن وحجزت أملاكه، فما كان من الأم إلا أن غادرت الوطن ومعها أولادها الأربعة، قاصدة الولايات المتحدة الأمريكية حيث نزلوا في مدينة «بوسطن» سنة 1895م ناشدين العمل والحرية، فعملت «كاملا» وابنها الأكبر «بطرس» في التجارة<sup>(124)</sup>.

وأدخل جبران في مدرسة مجانية وكان آنذاك في الثانية عشر من عمره، وكان جبران يقضي معظم أوقاته في الرسم ومطالعة الروايات الإنجليزية التي كانت تختارها له معلمته، ولما اكتشفت معلمته هوايته في الرسم، أوصت به إلى «فريد هولاند التري» الذي كان يشجع الفنانين الناشئين، ولما رأى مواهبه أعجب به فتنباه فنياً<sup>(125)</sup>.

وفي معرض لـ «فريد هولاند التري»، التقى جبران سنة 1898م شاعرة فنية اسمها «جوزيف بيودي» فأعجب بها وهناك خفق قلبه لأول مرّة في هذه المرحلة، وأصبح أيضاً يتقن فنّ التصوير<sup>(126)</sup>؛ ثم أرسل جبران إلى بلده «لبنان» ليدرس اللغتين العربية والفرنسية، فالتحق بمعهد «الحكمة» في بيروت حيث تلقى دروسه على يد مشاهير الأساتذة أمثال: الخوري يوسف حداد، وأمضي في معهد «الحكمة» ثلاث سنوات تبلورت من خلالها مواهبه في الرسم والكتابة<sup>(127)</sup>.

وفي عام 1908م سافر جبران إلى باريس ليكمل الموهبة الفنية فيه، فأقام فيها ثلاث سنوات حصل بعدها على إجازة عالية في التصوير من معهد «الفنون الجميلة» وفاق بالسبق والتقدم مئات من المتقدمين معه لهذه الإجازة الرفيعة من شعوب شتى<sup>(128)</sup>.

وفي مدينة العلم والنور (باريس) بفرنسا اتصل جبران بالنحات العالمي «رودان» وزاره في محترفه، وسمع منه حديثاً عن الشاعر الفنان «وليام بليك» وكيف التقى فيه الشعر والتصوير، ومن هنا فتن جبران بالشعر، وتمنى لو اجتمع فيه الفنان والشاعر كما اجتمعاً في «وليم بليك»؛ يقول محمد عبد الغني حسن في كتابه «الشعر العربي في المهجر»: «وما خابت أمنية جبران، فقد التقى فيه الفن الجميل والشعر، وإن كان شاعراً تحرر من قيود الوزن والقافية إلى أبعد الحدود، فإنه يغلب على كتاباته النثر الشعري أو الشعر المنثور، أما الشعر المقفى الموزون فقد كان مقلداً فيه؛ ولكن له مع ذلك قصيدته «المواكب» التي اجتمع فيها شعره ورسمه»<sup>(129)</sup>. ومطلعها :

(124) ربعة براخلية، شعيرة السرد القصصي عند جبران خليل جبران، ص 24.

(125) بريك نزار هنيدي، الأجنحة المتكسرة لجبران خليل جبران، ص 14.

(126) ربعة براخلية، مرجع سابق، ص 27.

(127) بريك نزار هنيدي، مرجع سابق، ص 10.

(128) محمد عبد الغني حسن، الشعر العربي في المهجر، ص 210.

(129) المرجع السابق، ص 212.

الْخَيْرُ فِي النَّاسِ مَصْنُوعٌ إِذَا جُبِرُوا \* وَالشَّرُّ فِي النَّاسِ لَا يَفْنَى وَإِنْ قُبِرُوا  
وَأَكْثَرُ النَّاسِ آلَاتٌ تُحَرِّكُهَا \* أَصَابِعُ الذَّهْرِ يَوْمًا تُمْ تَنْكَسِرُ<sup>(130)</sup>

قرر جبران في العام 1912م أن يبدأ الكتابة باللغة الإنجليزية لكي لا تقتصر مجموعة قراءه على متحدثي العربية فقط، فكانت أولى منشوراته بالإنجليزية مجموعة نصوص من قصة «المجنون the madman»<sup>(131)</sup>؛ فقد كان جبران من أحد الأدباء العرب القليلين الذين كان لهم إنجازات باللغتين العربية والإنجليزية حيث حقق نجاحاً كبيراً في التأليف باللغة الإنجليزية، وأصدر عدد من الكتب وصل إلى الثمانية، وذلك خلال ثمانية أعوام<sup>(132)</sup>.

وكان للمرأة دور كبير في حياة جبران خليل جبران؛ بل وتكوين شخصيته الفكرية والفنية، وقد تجلّى ذلك واضحاً في جميع مؤلفاته، إذ تعددت العلاقات الغرامية التي أقامها جبران خليل جبران أبرزها كان مع «جوزفين بيبودي»، و«حلا الظاهر»، و«سلطانة ثابت»، و«ماري هاسكل»، و«إميلي ميشال»، و«شارلوت تايلر»، و«ماري قهوجي»، و«ماري خوري»، و«جيتريد باري»، و«بربارة يونج»، و«ماريتا لوسن»، و«هيلانة غسطين»، و«مي زيادة»<sup>(133)</sup>؛ وموقف جبران يلتقي مع موقف الشاعر الهندي «رابندرانات طاغور إزاء المرأة، يقول وفيق غريزي: «يقف جبران مع طاغور ووليم بليك وغيرهما على ضفة واحدة من قضية المرأة، وكانت المرأة بالنسبة له رمز الأم الكبرى - الأرض - معدن العطاء، وأنّ الإنسان بدون حب يبقى كائناً حياً لا يتعدى مادية اللحم والدم»<sup>(134)</sup>؛ وخير من عبّر عن هذا المفهوم أبو ماضي في قصيدته «كن بلسماً»، عندما قال:

أَحِبِّبْ فَيَعْدُو الْكُوْحُ كَوْنًا نَيْرًا \* وَابْغُضْ فَيَمْسِي الْكُوْنُ سَجْنًا مُظْلِمًا  
مَا الْكَاسُ لَوْلَا الْحَمْرُ إِلَّا زُجَاجَةٌ \* وَالْمَرْءُ لَوْلَا الْحُبُّ إِلَّا أَغْطَمًا<sup>(135)</sup>

والمطلع على مؤلفات جبران خليل جبران، يجد أنّه لم يلتزم بلون أدبي وحيد فكتب في جميع الألوان الأدبية، حيث نظم الشعر وألّف الرواية والقصة وكتب المقالة؛ أمّا بالنسبة لجبران الشاعر فإنّه لم يتبع الأسلوب الشعري التقليدي، فأسلوبه الشعري يُلاحظ منه تأثره بالثقافة والأدب الغربي، وقد ترجمت مؤلفاته إلى عشرات اللغات؛

(130) جبران خليل جبران، المجموعة الكاملة (الشعر)، ص19.

(131) إسكندر نجار، قاموس جبران خليل جبران، 2008، ص213.

(132) السيد مرسي أبو ذكري، المقال وتطوره في الأدب المعاصر، ط1، 1981، دار المعارف، مصر، ص196.

(133) وفيق غريزي، نساء في حياة جبران وأثرهن في أدبه، ط1، دار الطليعة للطباعة والنشر، 1992.

(134) المرجع السابق، ص10.

(135) زهير ميززا، ديوان إيليا أبو ماضي شاعر المهجر الأكبر، دار العودة، بيروت، لبنان، ص657.

ومن مؤلفاته التي ترجمت إلى اللغة الصينية، رمل وزبد، والنبي، ودمعة وابتسامة، والمواكب، والأجنحة المتكسرة، وفي عام 1999م نشرت دار الجيل ببيروت المجموعة الشعرية الكاملة لجبران خليل جبران جمعها وقدم لها أنطوان القوّال<sup>(136)</sup>.

ولعل ترجمة ميخائيل نعيمة لـ «جبران خليل جبران» هي أبداع ما في كتب التراجم في الأدب العربي، فقد صور فيها نشأته وحياته وموته، وفنه وأدبه تصويراً حياً نابضاً، وصور لنا هذه الروح الأدبية المفكرة التي أطلت على سماء الدنيا.

توفي جبران خليل جبران في أبريل عام 1931م في مدينة نيويورك، وكانت أمنيته أن يُدفن في لبنان، وفي أغسطس من السنة نفسها نُقل جثمانه إلى لبنان، حيث شيع في موكب رهيب إلى بلدته «بشري» وهناك دفن في ثرى الأرض التي وهبته إلى العالم الجديد، ثم استردته إلى أحضانها من جديد<sup>(137)</sup>.

### ميخائيل نعيمة (1889 – 1988)

أديب وشاعر لبناني ولد عام 1889م بقرية «بسكنتا» بجبل لبنان، تلقى تعليمه الأولي في قريته «بسكنتا»، وأظهر نجاحه وتفوقه، فأرسل إلى مدينة الناصرة بفلسطين لمتابعة دراسته، وبعدها في عام 1906م أُوفد إلى معهد «بولتافا» في روسيا، فمكث هناك ما يقارب خمس سنوات، فتعلم الروسية ونظّم الشعر ثم عاد إلى وطنه (لبنان)<sup>(138)</sup>، وعن هذه الفترة التي قضاها ميخائيل نعيمة في بولتافا الروسية يقول محمد عبد الغني حسن في كتابه «الشعر العربي في المهجر»: «وتزود جبران من الأدب الروسي بزاز خصب، حتى برع في الكتابة بالروسية والنظم فيها، وما قصيدته «النهر المتجمد» إلا أثر من آثاره الفكرية باللغة الروسية، نقلها بعد حين إلى لغة الضاد»<sup>(139)</sup>. وفي عام 1911م شدّ ميخائيل نعيمة الرحال مهاجراً إلى الولايات المتحدة الأمريكية، فدرس الحقوق في جامعة واشنطن، ثم جُنّد عام 1918م مع الجنود الأمريكيين، وألقت به الأقدار إلى جبهة فرنسا، وأُتيحت له بعد الحرب بعثة تعليمية في جامعة «ربن» الفرنسية، فدرس تاريخ الآداب والفنون، والتاريخ السياسي لفرنسا وفي عام 1919م عاد ميخائيل نعيمة إلى مدينة نيويورك بالولايات المتحدة الأمريكية، وساهم في إنشاء الرابطة القلمية، وصار مستشاراً لها، وظل في نيويورك ثلاثة عشر عاماً حيث غادرها إلى لبنان سنة 1932م ليعيش في ذرا «صنين»، وفي أكناف بسكنتا الهادئة، وفي ظلال الشخروب حيث مزرعة له ورثها عن آبائه<sup>(140)</sup>. ومن الإنصاف

(136) جبران خليل جبران، المجموعة الكاملة (الشعر) ، 1999 .

(137) محمد عبد الغني حسن، الشعر العربي في المهجر، ص214 .

(138) محمد بوزواوي ، موسوعة الشعراء العرب، (د.ط.)، 2010، دار هومة ، الجزائر، ص512.

(139) محمد عبد الغني حسن ، مرجع سابق، ص157.

(140) محمد عبد الغني حسن ، الشعر العربي في المهجر، ص158 .

أنْ نذكر سيرة حياة ميخائيل نعيمة كما سردها بنفسه شفاهة للشاعر المهجري جورج صيدح، فيقول صيدح: «أوجز ميخائيل سيرة حياته في حديث شافهنا به فقال: «أنا الولد الثالث بين خمسة أخوة وأخت واحدة من عائلة بسيطة كادحة، غادرت بسكنتنا عام 1902م ولي من العمر ثلاثة عشر عاماً والتحقت بمدرسة المعلمين الروسية في الناصرة، وبعد أربع سنوات اختارتني إدارة المدرسة لتحصيل العلم على نفقتها في روسيا، فسافرت إلى بولتافا ودرست في كليتها خمس سنوات، ثم توجهت إلى الولايات المتحدة الشمالية عام 1911م بعد أن قضيت الصيف في لبنان، ونزلت ولاية واشنطن حيث يقيم أخوأي في مدينة صغيرة اسمها «والوالا»، ودرست الحقوق والآداب في جامعتها إلى عام 1916م وجعلت أنشر في مجلة «الفنون» مقالات نقدية وقصصاً، فراسلني صاحب المجلة نسيب عريضة ودعاني بإصرار للقدوم إلى نيويورك. وهناك تعرفت إلى الأدباء الذين تكوّنت منهم «الرابطة القلمية». وفي عام 1918م انخرطت في الجندية تحت اللواء الأمريكي وذهبت إلى ساحة الحرب في فرنسا، وبعد انتهاء الحرب مكثت شهوراً في جامعة «ربن» في فرنسا ثم تركت الجندية وعدت إلى نيويورك وأقمت فيها ثلاثة عشر عاماً، أسهمت في خلالها في نشاط الرابطة الأدبي بينما كنت اشتغل موظفاً في متجر براتب متواضع؛ وبعد أن توفي جبران عولت على مغادرة المهجر فحملت كتبني المخطوطة وعدت إلى لبنان عام 1932م»<sup>(141)</sup>. ونلاحظ أن سيرة حياة ميخائيل نعيمة التي دونها مؤرخو الآداب والباحثون تتطابق تماماً مع سيرة حياته الموجزة التي حكاها بنفسه شفاهة للشاعر والكاتب السوري جورج صيدح<sup>(142)</sup> دون أي اختلاف.

أمّا عن مؤلفات ميخائيل نعيمة في مجال الأدب فقد تخطت الثلاثين مؤلفاً؛ ففي مجال القصة نشر نعيمة مجموعته القصصية الأولى سنة 1937م بعنوان «كان ما كان» وفي عام 1956م نشر مجموعته القصصية الثانية «أكابر» ثم المجموعة الثالثة «أبو بطة» في العام 1958م و «هوامش» في العام 1965م. وفي مجال المسرح وضع نعيمة مسرحيته «الآباء والبنون عام 1918م، تلتها مسرحية «أيوب» في عام 1967م. أمّا إنتاج نعيمة في الشعر، فكان مجموعته الوحيدة ديوان «همس الجفون» الذي يحتوي على قصائد منظومة باللغة العربية وأخرى معربة، كان قد نظمها بالإنجليزية وصدرت المجموعة عام 1945م في بيروت. وفي مجال الرواية فقد كتب نعيمة عدد من الروايات منها: لقاء (1948م)، ومذكرات الأرقش (1949م)؛ أمّا عن أشهر مؤلفاته كتابه الفريد «الغريبال» (نيويورك 1922م)، وهو أحد المؤلفات النقدية له، وكتاب

(141) جورج صيدح ، أدبنا وأدباؤنا، ص260

(142) جورج بن ميخائيل بن موسى صيدح (1893-1978)، ولد بدمشق، اتجه إلى أوروبا عام 1927 ثم سافر إلى فنزويلا فأقام فيها عشرين عاماً، ثم انتقل عام 1947 إلى الأرجنتين وأسس فيها الرابطة الأدبية (1949-1951)، من أشهر مؤلفاته: أدبنا وأدباؤنا في المهاجر الأمريكية، ويعد ضمن شعراء المهجر الجنوبي. (شموع في الضباب لعيسى فتوح ، ط1، 1992، دار المنارة، بيروت ودمشق).



جبران خليل جبران: حياته - موته - أدبه - فنه (1934م)؛ وعن كتابه الفريد «الغربال»، يقول جورج صيدح: «ستجري مياه كثيرة في الغدران قبل أن يظهر في الأدب العربي كتاب يماثل «الغربال» في النقد الأدبي، إنَّه وضع الأشياء في موضعها ووزن القيم بميزانها الصحيح»<sup>(143)</sup>.

وفي عام 1960م أتحت نعيمة الأدب العربي بترجمة حياته في كتابه «سبعون» في ثلاثة أجزاء؛ أمَّا سائر مؤلفاته في نظره هي أهم ما أنتج قلمه- وإنَّ لم نذكرها جميعها؛ فهي بلا شك من دعائم النهضة الأدبية، فإنَّ مؤلفاته التي أنتجها في صومعة الشخروب في لبنان: «هي سلسلة من التعاليم الروحانية والتحليل الفلسفية الرامية إلى إصلاح المجتمع البشري بقوة الروح، وتربية النفوس على فضائل الحب»<sup>(144)</sup>.

تابع ناسك الشخروب<sup>(145)</sup> (ميخائيل نعيمة) مسيرته الأدبية في وطنه (لبنان) حتى رحيله في 29 من فبراير عام 1988م، عن تسعة وتسعين عاماً<sup>(146)</sup>.

### إيليا أبو ماضي ( 1889 - 1957 )

هو إيليا بن ضاهر أبي ماضي شاعر لبناني من كبار شعراء المهجر، ولد في قرية «المحيثة» ببلدان سنة 1889م، غير أنَّ الأستاذ محمد قره في مقالته المنشورين في جريدة «الحياة» اللبنانية على أثر وفاة الشاعر، يقول إنَّه قد سأل أبا ماضي عن تاريخ مولده حين زار لبنان سنة 1948م،

فأجابته بأنَّه ولد عام 1980م - وهذا خطأ طباعي واضح، وهو حتماً يقصد سنة 1890م -، وقد ذكر محقق ديوان إيليا أبو ماضي الدكتور عفيف نايف حاطوم في مقدمة الديوان التي جعلها عن سيرة أبي ماضي، أنَّه وُلد سنة 1890م<sup>(147)</sup>؛ ويكون بذلك وافق ما ذكره الأستاذ محمد قره، وهناك رواية أخرى ذكرها جورج صيدح في كتابه «أدبنا وأدباؤنا»<sup>(148)</sup>، يقول فيها: إنَّ أبا ماضي ولد سنة 1891م، ثم تجيء رواية رابعة: فحين نعت جريدة (الحياة) أبا ماضي في 24/11/1957م، ذكرت أنَّه وُلد عام 1894م وأنه قد توفي عن أربعة وستين عاماً.

(143) جورج صيدح ، أدبنا وأدباؤنا في المهجر الأمريكية، ص 262.

(144) المرجع السابق، ص 268.

(145) ناسك الشخروب : لقب أطلقه الكاتب اللبناني توفيق يوسف عواد على ميخائيل نعيمة في مقالة كتبها عنه في جريدة البرق عام 1932م . ( مجلة القافلة الإلكترونية ، الأستاذة لوركا حيدر ، المملكة العربية السعودية ، 2018 ) .

(146) بوابة فيتو الإخبارية الإلكترونية، شركة الأحرار للنشر، مصر، الأربعاء 27 فبراير 2013.

(147) ديوان إيليا أبو ماضي ، تحقيق وشرح الدكتور عفيف نايف حاطوم، ص 7 .

(148) - عيسى الناعوري، أدب المهجر، ص 333 .

نلاحظ أنّ هناك اختلاف غير قليل في السنة التي رأى فيها أبو ماضي نور الوجود، ولكن نرى الصواب فيما ذكرته جريدة «السائح» في عددها الممتاز لعام 1927م تذكر أنّه وُلد عام 1889م، وهي حتماً لم تأت بهذا التاريخ اعتباطاً، لعضو من أبرز أعضاء الرابطة القلمية التي كانت «السائح» لسانها الرسمي، وندوتها الفكرية، فلا بدّ أنّها أخذته من الشاعر نفسه، ولذلك ظل تاريخ «السائح» هو التاريخ الذي يعتمد عليه كل من يكتب عن إيليا، ويتعرض لتاريخ مولده»<sup>(149)</sup>.

ويستغرب الباحثون لهذا التضارب في مولد الشاعر إيليا، فيقول عيسى الناعوري: «وغيرب جداً أن تتضارب الروايات إلى هذا الحد في مولد شاعر عظيم كأبي ماضي، كان إلى الأمس القريب ملء السمع والبصر والقلب، وليس غريباً إذن أن تتضارب الروايات في التاريخ لإنسان مّمن عاشوا في العصور المتقدمة»<sup>(150)</sup>.

وحينما بلغ أبو ماضي الثامنة من عمره أرسله والده برفقة شقيقه الأكبر مراد إلى مدرسة اليسوعية في «بكفيا»، فكان أثناء عودته إلى منزله عند المساء يتسلّق حائطاً في الطريق ويأخذ يخطب في رفاقه منتقداً بعض أقربائه أو وجهاء ضيعته، وكان فيما يبدو صاحب قريحة شعرية منذ صغره؛ فمن شعره - مثلاً - وهو في سن الثامنة من عمره ، يقول بلهجة عربية لبنانية:

عَنَّا جُرْدُونُ<sup>(151)</sup> يَا أَخْوان \* بِيَطْلَع قَنْطَار بِالْقَبَّانِ  
لَمَنْ يَجِي سَاعَةٌ بِاللَّيْلِ \* يَبْقَى يَصْهَلُ مِثْلَ الْخَيْلِ  
كَانَ عِنَّا مِنَ الْقَمْحِ كَيْلٌ \* رَوْحُهُمْ بِلَيْلَةٍ دَحَّانُ<sup>(152)</sup>

فكان أهل المنطقة يستظرفون حديثه فيطلبون منه أن يحدثهم عن ذلك الجردون الكبير الضخم الذي لم يكن يتورّع عن إقلاق مضجعتهم كلّ مساء خلال رقادهم في منزلهم، فكان ينشدهم مثل تلك الأبيات، ويقول دكتور عفيف حاطوم عن مصدر تلك الأبيات: «ذكرت لي هذا الشعر جارة أبي ماضي السيدة «جميلة عفيش»، وذلك لدى قيامي بزيارتها بتاريخ 10 ابريل سنة 1964م في منزلها الذي أقعدتها فيه الشيوخة»<sup>(153)</sup>. وحينما بلغ أبو ماضي الحادية عشرة من عمره رحل إلى مصر سنة 1902م بهدف التجارة مع عمه الذي كان يمتهن تجارة التبغ (السجائر)،

(149) ميرغنى حمد ميرغني، النزعة الإنسانية في شعر إيليا أبو ماضي، ص 180.

(150) عيسى الناعوري، أدب المهجر، ص 334.

(151) الجردون: الجرد (الفأر) جنس من القوارض. (ينظر: المعجم الوسيط: مجمع اللغة العربية، ط5، القاهرة، 2011).

(152) ديوان إيليا أبو ماضي، مرجع سابق، ص 8.

(153) ديوان إيليا أبو ماضي ج 2، تحقيق وشرح الدكتور عفيف نايف حاطوم، ص 8.

وهناك التقى بأنطون الجميل<sup>(154)</sup>، الذي كان قد أنشأ مع أمين تقي الدين<sup>(155)</sup> مجلة «الزهور» فأعجب بذكائه وعصاميته إعجاباً شديداً ودعاه إلى الكتابة بالمجلة، فنشر أولى قصائده وتوالى نشر أعماله، إلى أن جمع بواكير شعره في ديوان أطلق عليه «تذكار من الماضي» وقد صدر في سنة 1911م عن المطبعة المصرية، وكان أبو ماضي يبلغ من العمر اثنين وعشرين عاماً آنذاك<sup>(156)</sup>.

وقبل أن تنتقل مع أبي ماضي إلى بلاد المهجر الأمريكي، نقف ليذكر لنا بإسهاب في قصيدته «الميمية» شيئاً مهماً عن إقامته في مصر، فيتضح لنا منها ذاك الحنين الصامت لأيام جميلة قضاها هناك؛ فلنستمع إليه متحدثاً عن ذكرياته في مصر في بعض من أبياتها، فيقول :

لَيْسَ الْوُقُوفُ عَلَى الْأُطْلَالِ مِنْ خُلُقِي \* وَلَا الْبُكَاءُ عَلَى مَافَاتٍ مِنْ شَيْمِي  
لَكِنْ (مُضْراً) وَمَا نَفْسِي بِنَاسِيَةٍ مُلْكِيَةٍ \* الشَّرْقِ ذَاتَ النَّيْلِ وَالْهَرَمِ  
صَرَفْتُ شَطْرَ الصَّبَا فِيهَا فَمَا حَشِيْتُ \* نَفْسِي الْعَثَارَ وَلَا نَفْسِي مِنَ الْوَصَمِ  
فِي فَتْيَةٍ كَالنَّجُومِ الزُّهْرِ أَوْجُهُمْ \* مَا فِيهِمْ غَيْرَ مَطْبُوعٍ عَلَى الْكَرَمِ  
لَا يَقْبِضُونَ مَعَ الْأَلْوَاءِ أَيْدِيَهُمْ \* وَقَلَمًا جَادًا ذُو وَفَرٍ مَعَ الْأَرَمِ<sup>(157)</sup>

وفي عام 1912م انتقل أبو ماضي إلى المهجر الشمالي، وهناك أقام أربع سنوات في مدينة سنسناتي بولاية (أوهايو) يعمل في التجارة مع أخيه مراد، ويقول جورج صيدح عن إقامته في سنسناتي<sup>(158)</sup>: «إنَّ هذه السنوات الأربع التي قضاها بعيداً عن دنيا الأدب، كان لها تأثير على شاعريته، فقد تطورت بسرعة عجيبة، حتى غاب عن قصائده المنظومة في خلالها ذلك الشاعر المقلد الذي يقول في ديوانه الأول:

بَيْضُ تَرَائِبُهَا سُودٌ ذَوَائِبُهَا \* زُجٌّ حَوَاجِبُهَا كُحْلٌ مَاقِيهَا  
دُهِشْتُ حَتَّى كَأَنِّي لَمْ أَرَهَا \* وَكَدْتُ وَاللَّهِ أَنْسَى أَنَّ أَحْيَهَا<sup>(159)</sup>

(154) أنطون باشا بن جميل (1887 - 1948) كاتب وصحفي لبناني ثم مصري، ولد في بيروت هاجر إلى مصر طلباً للحرية وأصدر مجلة الزهور عام 1910م مع أمين تقي الدين. (ينظر: أنطون الجميل العاشق الذي مات أعزب، بقلم: واسيني الأعرج، جريدة المدينة المنورة، دار العلم للطباعة والنشر، أغسطس، 2017)

(155) أمين بن سعيد بن حسين تقي الدين (1884 - 1937) كاتب وشاعر ومحامي لبناني أكمل دراسته في بيروت ثم سافر إلى مصر وأصدر مجلة الزهور مع أنطون الجميل. (ينظر: أمين تقي الدين الشاعر والنائر، لنجيب البعيني، دار العلوم العربية للنشر، القاهرة، مصر، 1990).

(156) زهير ميرزا، إيليا أبو ماضي شاعر المهجر الأكبر، الصفحة ج.

(157) إيليا أبو ماضي، الأعمال الشعرية الكاملة، ص 383.

(158) جورج صيدح، أدبنا وأدبنا في المهاجر الأمريكية، ص 272.

(159) إيليا أبو ماضي، ديوان تذكار الماضي، ص 44.

وأبو ماضي نفسه في رده عن سؤال محمد قره: «هل ألهمتكم التجارة عن الشعر؟»  
يجيب قائلاً: «كلا، بل ازدادت شاعريتي وتطورت تطوراً عجيباً»<sup>(160)</sup>.

وقد ذكر الأستاذ «نجدة فتحي صفوة» سبب هجرة أبي ماضي إلى أمريكا فيرجح أنه واحد من ثلاثة: أولها- مهاجمة ديوانه «تذكار الماضي» في مصر مما أزعجه وأقلق باله وأظلم الدنيا في عينيه، وثانيها- فشله في تجارته بمصر، وأمّا السبب الثالث - فهو أنه منذ البداية كان قد اتخذ السفر إلى مصر خطوة أولى تمهد للهجرة الثانية، إلى العالم الجديد<sup>(161)</sup>؛ وترى الدكتورة نادرة سراج أن السبب الثالث عند الأستاذ صفوة سبب صحيح ثابت منذ أول الأمر، فكثير من اللبنانيين والسوريين كانوا يجيئون إلى مصر ومنها يذهبون إلى سفرهم إلى أمريكا في أحيان كثيرة ولأنهم كانوا فقراء لا يملكون أجور السفر إلى أمريكا رأساً حتى إذا جمعوا بعض الثروة شدّوا رحالهم إلى العالم الجديد<sup>(162)</sup>.

وفي سنة 1916م انتقل إيليا أبو ماضي من سنسناتي إلى نيويورك، وعن انتقاله إلى نيويورك، يقول دكتور عفيف حاطوم<sup>(163)</sup>: «وقد صادف وصول إيليا إلى نيويورك الاحتفال بيوم عيد اكتشاف القارة الأمريكية على يد كرستوفر كولبس حتى وجد نفسه يهتف بعدما وقع نظره على تمثال الحرية المنتصب على مدخل ميناء نيويورك قائلاً:

نَفْسِي اخْلُدِي وَدَعِي الْحَنِينَ فَإِنَّمَا \* جَهْلٌ بَعِيدُ الْيَوْمِ أَنْ نَتَشَوَّقَا  
أَصْبَحْتُ حَيْثُ النَّفْسُ لَا تَخْشَى أَدَى \* أَبَدًا وَحَيْثُ الْفِكْرُ يَغْدُو مُطْلَقًا<sup>(164)</sup>

وهناك في نيويورك اجتمع بجران خليل جبران وميخائيل نعيمة ونسيب عريضة ورشيد أيوب ووليم كاتسفليس وعبد المسيح حداد وأضرابهم، ليؤلفوا جميعاً فيما بعد «الرابطة القلمية»، والتي كان لها فضل نشر مذهب المهاجرين في الأدب كما مرّ؛ وقد مارس أبو ماضي العمل الصحفي، فحرر في عدد من الصحف، ثم انفرد بإصدار مجلة «السمير» مجلة نصف شهرية استمرت لمدة سبع سنوات، ثم حولها إلى جريدة يومية، وظلت كذلك إلى حين وفاته<sup>(165)</sup>، وبعد ثلاث سنوات من انتقاله إلى نيويورك أصدر الجزء الثاني من ديوانه بعنوان «ديوان إيليا أبو ماضي» ليكون

(160) عيسى الناعوري، أدب المهجر، ص 378 .

(161) نجدة فتحي صفوة، إيليا أبو ماضي والحركة الأدبية في المهجر، ص 59.

(162) نادرة جميل سراج، شعراء الرابطة القلمية، ص 320 .

(163) ديوان إيليا أبو ماضي ج 2، ص 10 .

(164) المرجع السابق.

(165) عيسى الناعوري، أدب المهجر، ص 382 .

الديوان الثاني له بعد ديوان «تذكار الماضي»، وطبع في نيويورك على مطابع جريدة «مرآة الغرب» سنة 1919م، وكتب مقدمته جبران خليل جبران جاء فيها: «إيليا أبو ماضي شاعر وفي ديوانه هذا سلال بين المنظور وغير المنظور، وحبال تربط مظاهر الحياة بخفاياها وكؤوس مملوءة بتلك الخمرة التي إن لم ترشفها تظل ظمآن حتى تملّ الآلهة البشر فتغمرهم ثانية بالطوفان»<sup>(166)</sup>؛ وهذه شهادة عالية، نحسب أنّها لم ينلها شاعر غير مطبوع أو غير مجدد في الكلمة الشعرية لجعلها تتسع لمضامين الحياة الاجتماعية والفكرية.

وعن طباعة وإصدار ديوان «إيليا أبو ماضي» يقول الدكتور عفيف حاطوم الذي جمع وحقق وشرح هذا الديوان: «لقد أسعف الحظّ أبا ماضي، ويسرت له الأقدار مهاجراً مفضلاً تبرّع له مجاناً بنفقات طبع قسم من هذا الديوان، فأصدره أبو ماضي وطبعه مفتخراً كلّ الافتخار بمقدمته التي قدم بها جبران خليل جبران هذا الديوان؛ أما ذلك التاجر المفضال الذي أنعم عليه بنفقة طبع ديوانه فكان حظّه منه نشر صورته على أول صفحة من صفحاته مشفوعة بهذين البيتين:

أَنْتَ امْرُؤٌ صَاغَ الْمُهِمِّينَ رُوحَهُ \* مِنْ جَوْهَرَيْنِ اللَّطْفِ وَالْحَرِيَّةِ  
لَكَ هِمَّةٌ مِثْلَ الزَّمَانِ كَبِيرَةٌ \* وَيَدُنْكَ سَكَبُ الْعَمَامِ سَخِيَّةٌ<sup>(167)</sup>

وفي عام 1927م أصدر إيليا أبو ماضي ديوانه «الجدال» وهو ثالث دواوينه، الذي طبع في مطبعة «مرآة الغرب» في نيويورك، وكتب مقدمته ميخائيل نعيمة قائلاً فيها: «فبين هذه الجدال ما تنسكب معه روعي متفرقة، مترنمة، مطمئنة جذلة بنور في عينيها، وجمال في جانبيها؛ مرحلة بحرية لا أرصاد عليها ولا قيود، ومدى لا آفاق له ولا حدود»<sup>(168)</sup>؛ وهكذا كانت أصدق وأكرم تحية من شاعر إلى شاعر، ويقول ميخائيل نعيمة أيضاً في مقدمته لديوان إيليا أبو ماضي: «والذي أحاوله الآن هو القول: «إنّي أنس قرابة روحية بيني وبين صاحب «الجدال» ما كنت أشعر بمثلها بيني وبين ناظم الجزء الأول والثاني من ديوان إيليا أبو ماضي؛ ترى أتغير أبو ماضي إلى هذا الحد في السنوات الثماني الأخيرة، أم تراني تغيرت؟»<sup>(169)</sup>.

إنّ أبا ماضي نحسبه هو الذي تغير، وآراءه هي التي تغيرت وأفكاره تجددت، ونظرته إلى الحياة نفسها قد تحولت؛ فالدارس لديوان «الجدال»، يجده يمثل حياة أبي ماضي وشعره في سنيه الأولى من انضمامه للرابطة القلمية، بعكس ديوانيه الأولين،

(166) إيليا أبو ماضي، ديوان تذكار الماضي، ينظر: المقدمة، ص. 2.

(167) ينظر: ديوان إيليا أبو ماضي ج. 2، ص. 11. وكتاب "سبعون" ص 071 .

(168) إيليا أبو ماضي ، ديوان الجدال، ص. 3 .

(169) إيليا أبو ماضي ، ديوان الجدال، ص. 3 .

فهو هنا قد اندمج في الرابطة القلمية، وأتقن مبادئها وفهم أهدافها؛ فإنه قد تخلّى عن مدرسة التقليد في الشعر التي كان يعدّ من أخلص تلاميذها في أول نشأته الأدبية، لينخرط في سلك مدرسة تجديدية تحريرية، وقد عدّل عن البحور الطويلة والأوزان المعقدة، كما تخلّى عن المطالع الفخمة؛ والدليل على ذلك واضح في فاتحة ديوانه «الجداول»، حيث يقول إيليا أبو ماضي :

لَسْتُ مَنِّي إِنْ حَسِبْتُ الشَّعْرَ أَلْفَاظاً وَوَزْناً

خَالَفْتُ دَرْبَكَ دَرْبِي وَانْقَضَى مَا كَانَ مِنَّا

فَانْطَلَقَ عَنِّي لَيْلًا تَقَنَّنِي هَمًّا وَحُزْناً

وَاتَّخَذَ غَيْرِي رَفِيقاً وَسَوَى دُنْيَايَ مَغْنَى (170)

يقول عيسى الناعوري في كتابه «أدب المهجر» عن ديوان «الجداول»: «وفي هذا الديوان بلغ أبو ماضي قمة مجده الشعري، فقد جاء فيه بعدد كبير من القصائد الملأى بالغنى والدسم والجمال؛ فكان ثروة كبيرة للرابطة وللشعر المهجري، وكسباً عظيماً للشعر العربي» (171).

ويقول جورج صيدح في كتابه «أدبنا وأدباؤنا» عن ديوان «الجداول» أيضاً: «فيه تجلّى منتهى نضجه الشعري، وندر أن يجتمع في ديوان واحد ما اجتمع في «الجداول» من القصائد الرائعة، الغنية بالشعور الإنساني، المؤارة بجمال الصور وعذوبة الأنغام، فضلاً عن جلال المواضيع وطرافة التخيّلات» (172).

وكرّت الأعوام حتى قاربت العشرين، و«الجداول» تجري، وأبو ماضي لا يرفدها بمعين جديد، حتى ظنّ الناس أنّه نام على أمجاده، إلى أن أصدر ديوان «الخمائل» سنة 1946م ليصبح رابع دواوينه، فدعم تليد الشهرة بالطريف؛ وكان لأزهار الخمائل روعة تضاهي روعة الأنغام في «الجداول» ولكنّها لا تزيدها، ولقي من الإشادة والترحيب ما اقتضى إعادة طبعه في زمن يسير؛ وقد صدر في نيويورك عن مطبعة «مرآة الغرب»، ويعدّ امتداداً لديوان «الجداول» من حيث الأسلوب والفكر والموضوعات التأملية والإنسانية، كما تلمح فيه إلحاحاً شديداً على الدعوة إلى التفاؤل والتمتع بالحياة؛ فنقول دكتورة نادرة سراج عن ديوان «الخمائل» (173): «فجاء صورة من صور التطور ودرجة من درجات التقدم في الشاعرية، وإن يكن ديوان «الجداول»

(170) إيليا أبو ماضي، الأعمال الشعرية الكاملة، ص 555.

(171) عيسى الناعوري، أدب المهجر، ص 183.

(172) جورج صيدح، أدبنا وأدباؤنا في المهاجر الأمريكية، ص 772.

(173) نادرة جميل سراج، شعراء الرابطة القلمية، ص 723.

قد حظي بصيت أكبر وبشهرة أوسع وأعم؛ ولا أبعد أن قلت إنَّ في ديوان «الخمائل» قطعاً شعرية تخيلية روحية تنقل القارئ إلى عالمٍ من الخيال الروحي السامي، كما في قصته الشعرية «أمنية الآلهة»، حيث يقول<sup>(174)</sup>:

أُرِيدُ دُنْيَا فِيهَا شُعَاعٌ \* يَبْقَى إِذَا غَابَتِ النُّجُومُ  
أُرِيدُ دُنْيَا تَحْسُ نَفْسِي \* فِيهَا نَفُوساً بِلا جُسُومٍ<sup>(175)</sup>

ويجئ ديوانه الخامس، بعنوان «تبر وتراب» وقد عثر عليه أبنائه بعد وفاته كما يقول محمد خفاجي في كتابه «قصة الأدب المهجري»<sup>(176)</sup>، وصدر عام 1960م عن مطبعة دار العلم للملايين ببيروت التي تكفلت بطباعته<sup>(177)</sup>؛ والمتأمل لديوان «تبر وتراب» يجد فيه قصائد عظيمة تحمل بصمة أمير شعراء المهجر إيليا أبو ماضي، وفيه أيضاً قصائد - على ما يبدو - ما قد يكون الشاعر نشرها في مناسبات عامة أو قالها في ارتجال عابر ولم يكن أنْ يضمناها ديوانه، فمعروف أنْ إيليا ينتخب مما كتب ما يراه الأكثر إبداعاً شعرياً، وقد لاحظنا ذلك في كل دواوينه آنفة الذكر، وذلك دأبه ودأب كثيرٍ من الشعراء. وفي أواخر عام 1948م أتيح لأبي ماضي أنْ يعود إلى وطنه الأصلي، لبنان، لفترة قصيرة - قبل أن يرجع إلى مهجره - ليمثل هو والأستاذ حبيب مسعود، رئيس تحرير مجلة «العصبة» في البرازيل، صحافة المهجر في مؤتمر اليونسكو، الذي عقد حينذاك في بيروت، فيقول عفيف حاطوم عن زيارة إيليا لموطنه لبنان<sup>(178)</sup>: «أما أسعد لحظةٍ من لحظات حياته فقد كانت تلك اللحظة التي وجد نفسه فيها يكحل عينيه برؤية مدينة بيروت، وقد شعر بالحزن الشديد لدى وصوله إلى منزله القديم في «المحيثة» وهو المنزل الذي أبصر فيه نور الحياة لأول مرة، ثم وقف أمام منزله مخاطباً بعزة وكرامة وطنه الحبيب لبنان في قصيدته «وطن النجوم»، التي تغنى بها الفنان السوداني الراحل المقيم الأستاذ أحمد المصطفى (1922-1999)، وهذا يدل على مدى الأثر الثقافي والبعد الاجتماعي، الذي أحدثه الشعر المهجري في نفوس الشعراء والمغنيين في العالم، فيقول فيها:

وَطَنُ النُّجُومِ أَنَا هُنَا \* حَدِّقْ أَتَذْكُرُ مَنْ أَنَا؟  
أَنَا ذَلِكَ الْوَلَدُ الَّذِي \* قَدْ كَانَ مَوْطِنُهُ هُنَا<sup>(179)</sup>

(174) عيسى الناعوري، أدب المهجر، ص 381.

(175) إيليا أبو ماضي، الأعمال الشعرية الكاملة (الخمائل)، ص 096.

(176) محمد عبد المنعم خفاجي، قصة الأدب المهجري، ص 415.

(177) خذاري محمد، مجلة فصل الخطاب، جامعة ابن خلدون، الجزائر، فبراير 7102، ص 291.

(178) ديوان إيليا أبو ماضي، ج 2، تحقيق دكتور عفيف نايف حاطوم، ص 12.

(179) المرجع السابق، ص 22.

وفي هذه الزيارة منحت الحكومة اللبنانية أبا ماضي وسامي الاستحقاق والأرز، وأقيمت له في السادس من فبراير 1949م حفلة كبرى في دمشق بسوريا برعاية الرئيس «شكري القوتلي»<sup>(180)</sup> الذي علّق على صدره وسام الاستحقاق الممتاز<sup>(181)</sup>.

وبعد مضي تسع سنوات على هذه الرحلة المجيدة أدرك الموت شاعر الحياة إيليا أبو ماضي، وكانت وفاته في نيويورك يوم الأحد الثالث والعشرين من نوفمبر عام 1957م، الموافق الثاني من جمادي الأولى عام 1377هـ، فحزن العالم لوفاته<sup>(182)</sup>. غادر أبو ماضي هذا العالم الفاني، ولكنّه ترك فيه مجداً شعرياً، لا يقل بحال من الأحوال عن المجد الشعري الذي تركه كبار الشعراء الأفاضل في أدبنا العربي الخالد، إذ يعتبر أكثر شعراء الرابطة القلمية إنتاجاً شعرياً، حيث ترك لنا خمسة دواوين شعرية، بالإضافة إلى عدد كبير من الآراء والموضوعات الأدبية والفنية .

### نسيب عريضة (1887 - 1946)

ولد الشاعر السوري نسيب عريضة في مدينة حمص في سوريا عام 1887م<sup>(183)</sup>، والده هو أسعد عريضة، وأمّه سليمة حداد، وتلقّى تعليمه الأولى بمدرسة حمص الروسية المجانية، وعندما ظهر تفوقه في الدراسة اختارته الجمعية الروسية ليكمل دراسته في مدرسة المعلمين الروسية في الناصرة (فلسطين)، عاش نسيب عريضة في القسم الداخلي لمدرسة الناصرة منذ سنة 1900م، حيث التقى بعد عامين قضاها في مدرسة الناصرة بتلميذ جديد، أصبح فيما بعد صديقاً وزميراً له مدى حياته، هو ميخائيل نعيمة، كما التقى بزميل آخر هو الشاعر عبد المسيح حداد. أمضى نسيب عريضة في مدرسة الناصرة خمس سنوات أنهى خلالها تعليمه الثانوي، وأغرم بالقراءة والتأمل في الطبيعة والحياة، فقرأ أمهات الكتب في الأدب العربي خاصة دواوين الشعراء، ثم بدأ يقرض الشعر في مختلف موضوعات الحياة وغلب على شعره التأمل، وكان يجيد اللغة الروسية إذ كان قد تلقى تعليمه في مدرسة المعلمين الروسية بالناصرة، وفي ذلك سار في طريق واحد مع نعيمة وعبد المسيح حداد، وغيرهما. هاجر نسيب عريضة إلى الولايات المتحدة الأمريكية عام 1905م، وقصد مدينة (نيويورك) وكان عمره لا يتجاوز سبع عشرة سنة، واشتغل في المتاجر والمصانع المختلفة، وكانت الحياة شاقة لا يخفف عنه آلامها إلا عالم الشعر الذي أحبه<sup>(184)</sup>. في سنة 1912م أسس نسيب عريضة مطبعة وأصدر فيها مجلة «الفنون» التي احتلت

(180) شكرى بن محمود بن عبدالغني القوتلي (1981-1976)، رئيس الجمهورية السورية بين 1941-1949 ثم 1959-1959.

(181) عيسى الناعوري، أدب المهجر، ص 383.

(182) محمد عبد المنعم خفاجي، قصة الأدب المهجري، ص 515.

(183) محمد عبد المنعم خفاجي، قصة الأدب المهجري، ص 856.

(184) المرجع السابق، ص 856.



مكاناً محترماً في الجالية العربية بأمريكا والعالم العربي في الشرق، وظلت تصدر حتى سنة 1918م، ثم توقفت بسبب الظروف المادية فاشتغل في التجارة مع أبناء عمه، ثم ترك التجارة وتسلم رئاسة تحرير جريدة «مرآة الغرب» لصاحبها نجيب دياب، ثم انتقل إلى جريدة «الهدى» لصاحبها نعوم مكرزل؛ وفي أثناء الحرب العالمية الثانية عُيِّن كمحرر في القسم العربي في مكتب الاستعلامات الحربية الأمريكية وعمل فيها نحو سنتين، ثم شارك في تأسيس «الرابطة القلمية» بنيويورك سنة 1920م.

وبعد عامين من تأسيس الرابطة تزوج عريضة، السيدة نجيبة حداد شقيقة الشاعرين عبد المسيح حداد وندرة حداد ولم ينجبا أطفالاً<sup>(185)</sup>.

توفي نسيب عريضة في 25 مارس سنة 1946م في «بروكلين» إحدى بلدات نيويورك بالولايات المتحدة الأمريكية؛ فبكاه الأدب في وقته، وتفجع عليه الأدباء والشعراء في حفلة الذكرى التي أحيها له نسيباه ندره حداد وعبد المسيح حداد، في اليوم الأربعين لوفاته<sup>(186)</sup>. وكانت أمنية الشاعر نسيب عريضة، أن يُدفن في بلدته «حمص»، وقد وردت أمنيته هذه في قصيدته «حمص أم الحجارة السود»، حيث يقول فيها:

يَا دَهْرُ قَدْ طَالَ \* الْبُعَادُ عَنِ الْوَطَنِ  
عُدْ بِي إِلَى حِمص \* وَلَوْ حَسُو الْكَفَنِ  
وَأَجْعَلْ ضَرِيحِي \* مِنْ حِجَارَةِ سُود<sup>(187)</sup>

وخرج للوجود بعد وفاته بأيام معدودة ديوان شعر، وفي هذا الديوان تجمعت أشواق ومزايا عالية من تلك الروح الفنية، التي فاضت بعد أن قطعت من عمر الحياة نحو تسعة وخمسين عاماً، ذلك الديوان هو ديوان شعره الوحيد بعنوان «الأرواح الحائرة».

وله مؤلفات وروايات وقصص أخرى منها: ديك الجن الحمصي، والصمصامة؛ وهما قصتان تاريخيتان منشورتان في مجموعة «الرابطة القلمية»، كما كان على اطلاع واسع بأدب الغرب عن طريق الأدب الروسي، تشهد بذلك روايته «أسرار البلاط الروسي» (1933)<sup>(188)</sup>.

وعن ديوان شعره الوحيد «الأرواح الحائرة»؛ كتب «عيسى الناعوري» يقول: يقع ديوان «الأرواح الحائرة» في نحو 285 صفحة من القطع الكبير، ويحتوي على خمس

(185) محمد عبد المنعم خفاجي، قصة الأدب المهجري، ص 658.

(186) جورج صيدح، أدبنا وأدباؤنا في المهاجر الأمريكية، ص 203.

(187) نسيب عريضة، ديوان الأرواح الحائرة، ص 34.

(188) محمد عبد المنعم خفاجي، قصة الأدب المهجري، ص 856.

وتسعين قصيدة، منها مطوّلتان، إحداهما بعنوان «على طريق إرم»، والأخرى بعنوان «احتضار أبي فراس»<sup>(189)</sup>، وقد طبع الديوان بعد أيام معدودة من وفاة نسيب عريضة بمطبعة جريدة الأخلاق في مدينة نيويورك سنة 1946م<sup>(190)</sup>.

يقول الشاعر المهجري جورج صيدح في حق نسيب عريضة: «كان نسيب عريضة - رحمه الله - ركناً متيناً من أركان «الرابطة القلمية» وموضع ثقّتها، عُرف بالإخلاص والغيرة عليها، وأحبه الجميع لدماثة أخلاقه ونباله روحه وعفّة قلمه ولسانه، امتلأ قلبه الكبير بالحب الإنساني حتى لا موضع فيه للبغض والحسد والكبرياء»<sup>(191)</sup>.

ويقول ميخائيل نعيمة من مقال نشره في مجلة الأديب البيروتية عن نسيب عريضة: «حسبك أن تقرأ قصيدة أو قصيدتين من نظم نسيب عريضة لتشعر أنك في حضرة شاعر فذ رحب الخيال مرهف الحس رفيع الذوق خفيف الظل صافي النبعة صادق النبوة، ولأنّه كذلك تراه يتنكب السبل المطروقة والقوالب المألوفة، وترفّع عن كل مبتذل في اللون واللحن وفي المبنى والمعنى، فلا يتملق ولا يماري ويتصنع ولا يتحذلق، بل هو يبتث شعوره بالحياة بثاً أشبه ما يكون برذاذ المطر يتساقط في سكونة الليل على البقاع العطشى فيؤنسها ولا يزعجها»<sup>(192)</sup>.

#### نُدرة حداد ( 1881 - 1950 )

هو ندره بن رشيد حداد شاعر سوري ولد في مدينة «حمص» بسوريا عام 1881م، وتلقى تعليمه في مدارسها، ثم هاجر إلى أمريكا الشمالية عام 1897م، فعمل بالتجارة، ثم مال إلى الصحافة والأدب، فراح يساعد شقيقة عبد المسيح حداد في تحرير جريدة «السائح»، ثم عمل بعدها في أحدا المصارف؛ وكن واحداً من الأعضاء المؤسسين البارزين لمجموعة «الرابطة القلمية» عام 1920م<sup>(193)</sup>.

جاء في كتاب الأعلام للزركلي عن ترجمة نُدرة حداد: «ندرة الحداد الحمصي، كاتب صحفي، له شعر؛ من المهجريين، ولد وتعلّم بحمص وهاجر إلى نيويورك 1897 وعمل مع أخيه عبد المسيح في جريدة السائح وانتسب إلى الرابطة القلمية، وتوظف في بنك لبناني؛ توفي مغترباً له ديوان شعر «أوراق الخريف»<sup>(194)</sup>.

وغير ديوان شعره «أوراق الخريف» الذي طبع عام 1941م، له قصائد أخرى عديدة

(189) عيسى الناعوري، أدب المهجر، ص 904.

(190) المرجع السابق، ص 204.

(191) جورج صيدح، أدبنا وأدباؤنا في المهجر الأمريكية، ص 892.

(192) محمد عبد المنعم خفاجي، قصة الأدب المهجري، ص 166.

(193) عيسى الناعوري، أدب المهجر، ص 814، وينظر: معالم وأعلام ج 1 ص 682، وأعلام الأدب والفن ج 1 ص 901.

(194) ينظر: الأعلام للزركلي: ج 7، خير الدين الزركلي، ط 5، 2002، دار العلم للملايين، بيروت، ص 343.

نشرت في مجلة «المعرض» - نقلاً عن جريدة «السائح» - مثل: قصيدة «أحلى الحب ما يجمع»<sup>(195)</sup>.

وقد وضّمن ندرّة حداد ديوانه «أوراق الخريف» خلاصة شعره: في الحب، والألم، والحنين إلى الماضي وإلى الأهل والوطن، كما ضمنه شعر الطبيعة ومراثٍ تفيض باللوعة، وفيه عدا ذلك قصيدة طويلة هي «الراهبة» ذات مئة وعشرة أبيات.

يقول جورج صيدح عن شعر ندرّة حداد: «شعره مرآة نفسه عذوبة وبساطة ونعومة وصفاء، وقد جرى بعضه مجرى الأمثال في الدعوة إلى الإيثار والصفح عن الإساءة وفي رقة الحنين إلى الوطن، وأولع بالبحور القصيرة المجزأة، كقول له في الحنين<sup>(196)</sup>:

مَا قِيلَ لِي مَرْحَباً \* فِي كُلِّ أَسْفَارِي  
إِلَّا وَقَلْبِي صَبَا \* لِلْأَهْلِ وَالْأَدَارِ  
رَاجَعْتُ بَعْدَ الشَّبَابِ \* فِي التَّيِّبِ أَلْوَاغِي  
فَلَمْ أَجِدْ فِي الْحِسَابِ \* بَاباً لِأَرْبَاجِي<sup>(197)</sup>

كانت وفاته فجأة في حفلة عرس عام 1950م، كما يقول أدهم الجندي في كتابه «أعلام الأدب والفن»، وأقيم حفل لتأبينه في مسقط رأسه (حمص) تحت رعاية رئيس الجمهورية السورية «هاشم الأتاسي»<sup>(198)</sup> آنذاك<sup>(199)</sup>.

### عبد المسيح حداد (1890 – 1963)

هو شقيق الشاعر «ندرة حداد» وصنوه في المجد الأدبي، ما ذكر المجاهدون الرواد في حقل الصحافة والأدب في المهجر الأمريكي إلا ذكر في طليعتهم اسم صاحب جريدة «السائح» عبدالمسيح حداد، وما دار حديث عن «الرابطة القلمية» إلا تخلل ثناء على عبد المسيح حداد، الذي احتضن الرابطة ورباها ومزج روحه بروح عميدها<sup>(200)</sup>.

ولد عبد المسيح بن رشيد حداد في مدينة «حمص» بسوريا سنة 1890م، وتلقى

(195) مجلة المعرض، العدد الثامن، بيروت، 1923.

(196) جورج صيدح، أدبنا وأدباؤنا في المهجر الأمريكية، ص403.

(197) ندرّة حداد، ديوان أوراق الخريف، ص12.

(198) هاشم خالد الأتاسي (5781-0691)، الملقب أبو الجمهورية، ثاني رئيس للجمهورية السورية، وتوسع حاكم لسوريا منذ الاستقلال عن الدولة العثمانية، تعتبر عائلة الأتاسي التي ينتمي إليها من أشهر عائلات حمص. (سوريا صنع دولة وولادة أمة، وديع بشور، ط1، دار البازنجي، دمشق، 4991 سوريا، ص304).

(199) ينظر: أعلام الأدب والفن، ج1، أدهم آل جندي، ط1، 4591، مطبعة مجلة صوت سوريا، دمشق، ص901.

(200) جورج صيدح، مرجع سابق، ص903.

علومه الابتدائية في المدرسة الأرثوذكسية، ثم انتقل إلى دارالمعلمين الروسية في بلدة «الناصر» وتابع دراسته في المدرسة الإنجليزية ودرس اللغة الإنجليزية، وعمل في تدريس اللغة الإنجليزية في مدارس «حمص»<sup>(201)</sup>.

هاجر عبد المسيح حداد من سوريا إلى الولايات المتحدة الأمريكية سنة 1907م بعد هجرة أخيه نذرة حداد بعشر سنوات، وفي عام 1912م أصدر جريدة «السائح»؛ منبراً عربياً حراً رفيعاً، للعرب ولغة الضاد في أرض كولومبوس الجديدة<sup>(202)</sup>، واستمر في إصدارها حتى سنة 1959م مع زملائه أعضاء «الرابطة القلمية».

وعن دوره ونشاطه في «الرابطة القلمية»، يقول أحمد زكي أبو شادي في مقال له أذاعه من محطة صوت أمريكا، ثم نشره في مجلة «القلم الجديد» الأردنية سنة 1953م: «كان عبد المسيح - مؤسس تلك الرابطة الفذة - أصغر أعضائها سناً، ولكنه كان أنشطهم، ومن ألمهم تفكيراً، وأقواهم أصالة، وكان يدعى «مارك توين العرب» في أمريكا، لذكائه الخارق، وروحه الفكاهة الحلوة النيرة التي يتذوقها الكثيرون في باب «ألحان وأشجان» بجريدة «السائح»؛ ولا تزال «السائح» من المراجع الهامة عن روح «الرابطة القلمية»، وهي الروح التي تقمصتها شخصية عبد المسيح حداد»<sup>(203)</sup>.

ألّف عبد المسيح حداد كتابه المشهور «حكايات المهجر»، وله في مجموعة «الرابطة القلمية» قصتان هما: «الله يسعده ويبعده» و«وفي ست الميت»، ضمهما إلى كتابه هذا الذي طبع عام 1921م في مئتين وخمسين صفحة، مشتملاً على إحدى وثلاثين حكاية<sup>(204)</sup>.

غير أنّ هذا لا يعني أنّ عبد المسيح حداد لم يكتب شيئاً غير هذه الحكايات، فقد ألّف كتاب «انطباعات مغترب»، بالإضافة إلى ذلك ظلّ محرر جريدة «السائح» نحواً من خمسة وأربعين عاماً، ويكتب الكثير من افتتاحياتها الرائعة التي تمثل هرمّاً فنياً؛ وكتبت ياسمين أشرف في مجلة «حكاية كاتب»، تقول: «وطّد عبد المسيح حداد العزم على نشر ما انطوى من آثار الرابطة القلمية، وأنّ يكتب ذكرياته عن زملائه لكن لم تتحقق أمنيته، فتوفي في مساء الخميس 17 كانون الثاني (يناير) 1963م ودفن غريباً كما عاش غريباً في نيويورك، وأقامت له الجالية العربية حفل تأبين حضره دكتور «جورج طعمة» القنصل العام لسوريا وممثل الجامعة العربية بنيويورك، وأدباء المهجر آنذاك»<sup>(205)</sup>.

(201) عيسى الناعوري، أدب المهجر، ص 324.

(202) محمد عبد المنعم خفاجي، قصة الأدب المهجري، ص 491.

(203) أدب المهجر، مرجع سابق، ص 424.

(204) قصة الأدب المهجري، مرجع سابق، ص 291.

(205) ياسمين أشرف، مجلة حكاية كاتب الإلكترونية، أكتوبر، 1202.

## رشيد أيوب (1871 - 1941)

ولد رشيد أيوب في بسكنتا بجبل لبنان - قرية ميخائيل نعيمة - سنة 1871م، ثم انتقل إلى باريس سنة 1889م ومكث بها ثلاث سنوات، وانتقل بعدها إلى مانشستر (انجلترا) ثم عاد إلى بلدته «بسكنتا» ومع بدايات حركة الهجرة من سوريا ولبنان إلى أمريكا شدَّ

رشيد أيوب الرحال إلى هناك، واستقر في مدينة «نيو أورلينز» الأمريكية، حيث عمل في التجارة، ثم وصل إلى نيويورك سنة 1905م بحثاً عن مناخ أدبي يحفز طاقته الإبداعية؛ وقد وجد رشيد أيوب ضالته في نيويورك بالفعل، حيث التقى عدداً من خيرة أدباء المهجر، واشترك مع زملائه في تأسيس «الرابطة القلمية» وفي تغذية بعض الصحف والمجلات بالمقالات النثرية والقصائد الشعرية<sup>(206)</sup>.

سُمي رشيد أيوب «الشاعر الشاكي»، لكثرة ما شكّا من الزمان وبكى حظّه المتأرجح بين العسر واليسر وردّد زفرات الحنين إلى الوطن، وعلى الرغم من ذلك كان فاكهة المجالس بين الأدباء؛ كما يقول جورج صيدح في كتابه «أدبنا وأدباؤنا في المهاجر الأمريكية»: «كان رشيد أيوب بهجة المجالس وواسطة العقد بين الندامى، لم أعرف بين الأدباء أفكه منه حديثاً ولا ألطف ظلاً ولا أكثر حيوية<sup>(207)</sup>».

واختار رشيد أيوب لنفسه لقب «الدرويش» إعلاناً عن زهده في الغنى وفي السعي وكرس هذا اللقب بتسمية ديوانه الثاني «أغاني الدرويش» الذي صدر عام 1928م، وقبله أصدر ديوانه الأول «الأيوبيات» عام 1916م، وصدر ديوانه الأخير «هي الدنيا» عام 1939م؛ توفي بعد ذلك بعامين في تمام السبعين من العمر في بروكلين (نيويورك) منتصباً على الدنيا، على حد قوله في قصيدته، «هي الدنيا»:

وَمَا رَأَيْتُ الْمَالَ يَسْتَعْبِدُ الْوَرَى \* وَأَمَالَ نَفْسٍ الْخُرَّ تَقْضِي بَأْنَ يَحْيَا  
عَكَفْتُ عَلَى الْإِقْلَالِ عُلْماً بِأَنَّهُ \* يَلْذُ لِنَفْسِي الْإِنْتِصَارُ عَلَى الدُّنْيَا<sup>(208)</sup>

والذي يطالع ديوانه الأول «الأيوبيات» الذي صدر في نيويورك عام 1916م يلاحظ غلبة موضوع الحنين على معظم ما أنتج الشاعر من قصائد، فهو فيها هائم بحب لبنان وسماء لبنان<sup>(209)</sup>، وقد صدر الشاعر مجموعته الشعرية في هذا الديوان بهذين البيتين:

(206) حنا الفاخوري، الجامع في تاريخ الأدب العربي، ط1، 1986، دار الجيل، لبنان، ص212.

(207) المرجع السابق، ص212.

(208) رشيد أيوب، ديوان أغاني الدرويش، ص78.

(209) نادرة جميل سراج، شعراء الرابطة القلمية، ص243.

قَضَيْتُ الْعُمْرَ أَبْحَثُ عَنْ أُمُورٍ \* وَقِسْتُ غَدِي عَلَى مِقْيَاسِ أَمْسِي  
فَلَمْ أَرْ غَيْرَ نَفْسِي مِنْ صَدِيقٍ \* وَلَمْ أَرِ مِنْ غَدَوْ غَيْرَ نَفْسِي<sup>(210)</sup>

وكثيراً ما كان يحزنُ لأيام الصبا، وأيام عشقه، ويتأوّه لفقدتهما تعبيراً عن توجعه وشكواه، يقول في قصيدته «آه وا شوقي لأيام الصبا»:

آه وا شَوْقِي لأيام الصَّبَا \* كَشْعَاعِ الشَّمْسِ كَانَتْ صَافِيَةً  
كُنْتُ إِنْ أَحْدَقَ بِي جَيْشٌ \* الضَّنَى أَلْتَقِيهِ بجِيوشِ الْعَافِيَةِ<sup>(211)</sup>

أمّا خلاصة شعره فقد لخصها عيسى الناعوري في ثلاث كلمات، حيث يقول: «أمّا خلاصة شعره: حب، وألم، وخمر؛ فهو كثير التشبيب والشكوى والنواح، كثير الحنين إلى عهد الشباب والحب»<sup>(212)</sup>.

ولعلنا لا نعدو الصواب إذا قلنا إنّ رشيد أيوب قد جمع شعار حياته في فقرة نثرية ضمنها ديوانه المسمى بـ «هي الدنيا»، فقال: «إنّ الحياة تارة فرح، وتارة حزن، وطوراً يأس، وآونة رجاء؛ ولكن الآلام وجدها تحتفظ بها النفس، والسرور يضمحل ويتلاشى، لأنّ النفس التي لا تتألم لا جمال فيها ولا تقترب من الله، ولعلّ في معنى هذه الفقرة سر انصراف رشيد أيوب إلى الشعر الباكي الكئيب.

**إلياس عطا الله ، وديع باحوط ، وليم كاتسفليس:**

حقاً إنّ أعضاء الرابطة القلمية العشرة لم يكونوا جميعاً على مقياس واحد من الكفاية الأدبية، ولكنهم كانوا جميعاً متفقيين من ناحية الذوق الفني والفهم الأدبي، وعلى عقيدة واحدة في سعيهم للنهوض بالأدب العربي؛ وقد تكاتفوا للقيام بهذا العبء جميعاً، فكان لهم فضل الساعين المخلصين<sup>(213)</sup>.

فإذا كانت الرابطة قد توصلت إلى أن تعمل شيئاً كثيراً للأدب العربي، وتفتح أعين الناس على مقاييس جديدة للأدب، واعتبارات جديدة لمعناه وقيّمته، وأنّ تأثير في نفوسهم الطموح إلى التجديد، ومحاولة خلق أدب حر قويّ، فما استطاعت ذلك إلا بفضل تكاتف سائر الأعضاء وسعيهم معاً؛ ولذا من الإنصاف أن نذكر بقية أعضاء الرابطة القلمية، لأنّه لو لم يكن لهم سوى فضل الإسهام في إنشاء الرابطة في الوقت الذي أنشئت فيه، لكفاهم ذلك تأدية لرسالتهم الأدبية إلى أمتهم وإلى الحياة؛ وهؤلاء

(210) رشيد أيوب ، ديوان الأيوبيات، ط نيويورك ، 1916، ص53.

(211) المرجع السابق.

(212) عيسى الناعوري ، أدب المهجر ، ص414.

(213) عيسى الناعوري ، أدب المهجر ، ص428 .

هم: وليم كاتسفليس، و وديع باحوط، و إلياس عطا الله؛ فهؤلاء الثلاثة هم أقل أعضاء الرابطة شهرة في ربوع الشرق، لأنهم أقل إنتاجاً، وأقلهم محاولة للظهور.

فإلياس عطا الله - مثلاً - لا نعرف أنه كتب شيئاً طيلة مدة انتسابه إلى الرابطة، مع أنه كان قبل هجرته يعالج الكتابة أحياناً، وهذا ما يؤكد الناعوري، بقوله: «أخبرني الأستاذ ميخائيل نعيمة في إحدى رسائله بأن إلياس عطا الله لم يكتب شيئاً منذ تأسيس الرابطة، ولكن كان له بضع مقالات قبل انخراطه في الرابطة»<sup>(214)</sup>.

ولد إلياس عطا الله في لبنان، وعن ترجمة سيرته يقول جورج صيدح: «والذي نعلمه عنه أنه أصدر في نيويورك جريدة «بريد المهاجر» بأربع لغات لفائدة الجاليات المهاجرة من مختلف الجنسيات، وأنه عاد إلى لبنان عام 1927م، وأسس في بيروت أول مكتب للترجمة تخرج فيه مئات المترجمين، وتوفي عام 1943م»<sup>(215)</sup>.

أما وديع باحوط فقد كان مثل إلياس عطا الله انعزلاً عن حقل الإنتاج الأدبي، فلا يُعرف له أكثر من مقال واحد بعنوان «البرغشة» منشور في «مجموعة الرابطة القلمية»، وعن ذلك يقول جورج صيدح: « وديع باحوط من أعضاء الرابطة القلمية المؤسسين، لم نعثر إلا على أثر أدبي واحد له هو «البرغشة» في مجموعة الرابطة. وقد أكد ذلك ميخائيل نعيمة، بقوله: «ليس له من الإنتاج سوى مقال بعنوان «البرغشة»؛ وهو مقال حوارٍ فيه فلسفة اجتماعية وتأمل إنساني، والحوار يدور فيه بين الكاتب والبرغشة، ولكنه يتوصل منه إلى أن البرغشة - على أذاها - ليست أكثر ضرراً وأذى من الإنسان؛ توفي وديع باحوط عام 1952م»<sup>(216)</sup>.

بقي وليم كاتسفليس، وعن ترجمة سيرته كتب جورج صيدح، في كتابه «أدبنا وأباؤنا في المهاجر الأمريكية»، يقول: «ولد وليم كاتسفليس في طرابلس الشام عام 1879م من أسرة عريقة نسباً وأدباً، وتعلّم في مدرسة «عينطورة» وكلية «الآباء اليسوعيين» في بيروت، ثم غادر طرابلس عام 1902م متجهاً إلى نيويورك؛ مزوداً بالعلم والثقافة وبعض الخبرة التجارية، ولاقى نجاحاً مرموقاً في ميدان الأعمال بعد ما مرّ في أدوار مختلفة من العسر واليسر»<sup>(217)</sup>.

ولوليم كاتسفليس مشاركة غير قليلة في الإنتاج الأدبي، وقد كان خطيباً بارعاً، وكاتب مقالات مجيداً، ولكنه لم يجمع شيئاً من خطبه ومقالاته في كتاب؛ والكتاب الوحيد

(214) - المرجع السابق، ص 428.

(215) - جورج صيدح، أدبنا وأباؤنا في المهاجر الأمريكية، ص 963.

(216) - عيسى الناعوري، أدب المهجر، ص 824.

(217) - جورج صيدح، مرجع سابق، ص 863.

الذي ذُكر له هو بعنوان «حضارة العرب»، وقد وضعه باللغة الإنجليزية<sup>(218)</sup>؛ وقد نُشر له في مجموعة الرابطة القلمية ثلاثة فصول هي: «البترون» عام 1920م، و «اجعلوا الحلم جميلاً» و «القلوب الجائعة»، واشتهرت هذه الفصول، ونقلتها بعض كتب المختارات الأدبية.

والذي يطالع ديوان «أوراق الخريف» لنُدرة حداد، يجد لوليم كاتسفليس مقدمة طويلة رائعة، كتبها تعريفاً بالشعر الصحيح والشاعر الحق؛ نختطف منها قوله: «الأدب، في عرفي، هو خدمة الحياة، بتعريفها إلى نفسها، أو ترجمة الحياة لأبناء الحياة، فالرسام والنحات والموسيقي والخطيب والكاتب والشاعر جميعهم يصورون الحياة كما يرونها، أو كما هي، أو كما يريدونها أن تكون؛ هم الأصوات المتصاعدة من أعماق الإنسانية، ومن هذه الأصوات، الجميل والوسط والقبيح»<sup>(219)</sup>.

ووليم كاتسفليس من أدباء الرعيل الأول البارزين، ومن أعضاء الرابطة القلمية المؤسسين؛ احتفلت الجالية العربية بعيده السبعيني عام 1949، بمهرجان أدبي كبير، وتوفاه الله في العام التالي<sup>(220)</sup>.

انتقل وليم كاتسفليس إلى الرفيق الأعلى في الولايات المتحدة عام 1951م، بعد أن تجاوز الثانية والسبعين من عمره، فلحق برفاقه وزملائه الخالدين من أعضاء الرابطة الذين سبقوه إلى الأبدية، وكان قد مرّ على هجرته إلى أمريكا أكثر من تسعة وأربعين عاماً<sup>(221)</sup>.

ونخلص إلى أن أدباء وشعراء الرابطة القلمية ربطت بينهم العروبة، والتاريخ المشترك والجغرافية والثقافة العربية، كما وحدت بينهم الغربية، فتألفت نزعاتهم، وتوافقت أفكارهم، فأصبحت وكأنّها شخصية أدبية واحدة، ففتحو باب التجديد الشعري العربي، وشاركوا في نهضتنا الأدبية الحديثة بذلك الإنتاج الأدبي الغزير، وحافظوا على اللغة العربية وآدابها في تلك الديار النائية.

(218) - عيسى الناعوري، أدب المهجر، ص 228.

(219) - ندرة حداد، مقدمة ديوان أوراق الخريف، ط1، 7691، المؤسسة المصرية العامة، القاهرة، ص 4.

(220) - جورج صيدح، أدبنا وأدباؤنا في المهاجر الأمريكية، ص 053.

(221) - عيسى الناعوري، مرجع سابق، ص 234.



## المبحث الثالث

### العناصر البارزة في شعر الرابطة القلمية

بين سائر المدارس التي عرفها تاريخ الأدب العربي، على طوله، تمتاز المدرسة المهجرية بوفرة ما فيها من العناصر الجديدة القوية، في قالب وفي الجوهر معاً، مما يجعل سائر المدارس السابقة تكاد تتضاءل أمامها.

فقد استطاعت المدرسة المهجرية على وجه العموم ومنهم شعراء الرابطة القلمية خاصة أن يقفزوا بالأدب العربي قفزة واسعة جداً أوصلت الكثير من إنتاجهم إلى مستوى أرقى الآداب العالمية الحيّة؛ يقول عيسى الناعوري: «كان الأدب العربي قبلهم يزحف زحفاً سلحفائياً، وهو ينوء بما يجرجروه من ركام الألفاظ والأساليب القديمة البالية، التي تكبله وتثقله فتعوق سيره وتكاد تشل حركته»<sup>(222)</sup>.

ولعل أبرز العناصر الحيّة التي تميزت بها مدرسة المهجر الأدبية ومن ضمنهم شعراء «الرابطة القلمية» تتلخص في تسع مزايا كبرى: اثنتان منها في القالب التعبيري، وهما: التحرر من قيود القديم، والطابع الشخصي المتميز، والسبع الباقية هي في الموضوع، أو جوهر العمل الأدبي، وهي: الحنين إلى الوطن، والتأمل، والنزعة الإنسانية، وعمق الشعور بالطبيعة، وبراعة الوصف والتصوير، والغنائية الرقيقة في الشعر، والحرية الدينية؛ وقد تكون هناك عناصر وميزات أخرى تسجل إلى مدرسة المهجر غير تلك العناصر، إلا أن الباحث يرى أن هذه العناصر التسعة هي الخصائص الكبرى الرئيسة التي تميزت بها مدرسة المهجر الشمالي ولا سيما شعراء «الرابطة القلمية» منهم، لذا سيجتزئ الباحث بما تقدم، فهو حسبنا في هذا البحث.

#### التحرر من قيود القديم:

كان الأدب العربي قبل أن يطلع علينا المهجريون بأدبهم القوي العميق المشرق، يسير على أنماط من الأساليب القديمة التي يهملها اللفظ أكثر مما يهملها المعنى، وكان الكتاب والأدباء يتبارون في تقليد القدماء في ما يطرقونه من المواضيع: شعراً ونثراً، ويجرون على نفس الأساليب التي درج عليها أولئك القدماء، والتي لا تلائم إلا عصورهم الماضية؛ فهذا هو ميخائيل نعيمة يقول: «فقد كشف لنا فقرنا الفاضح إلى أدب ينبع من الحياة وأدباء لا يتلهون بالقشور عن اللباب»<sup>(223)</sup>.

فلما ظهرت مدرسة الرابطة القلمية في المهجر الشمالي بخصائصها الجديدة وعناصرها

(222) عيسى الناعوري، أدب المهجر، ص 63.

(223) ميخائيل نعيمة، أبعد من موسكو ومن واشنطن، ط 3، 1966، دار صادر، بيروت، لبنان، ص 68.

الحياة، وثورتها الجريئة على كل قديم لا يصلح للحياة ولمسايرة العصر، تطلعت إليها الأبصار، فرأت فئة من ذوي الأقلام الفتية قد تحررت من عبودية التقليد، ونفضت عنها مذلة الجمود على ما اصطاح عليه الأقدمون من أساليب وتعايير، وحررت إنتاجها الأدبي من قيود الألفاظ، بينما رأت الفئة الأخرى تمسكها بالقديم وتقليد القدماء إلى حد ينالون معه إعجاب إخوانهم المقلدين<sup>(224)</sup>؛ وفي هذه المعركة أخذ شعر الرابطة القلمية يشق طريقه بأقدام راسخة في الشرق؛ فتأثر به الشعراء والكتاب، أولئك الذين وجدوا فيه المثل الأعلى للأدب الجديد الذي يؤمنون به.

وبلغ من تأثر شعراء الشرق بهذا الشعر المهجري لدرجة أنهم طبقوا أساليبه في الثورة على قيود القافية، ولم يكن التأثير في الأسلوب فحسب، بل تعداه إلى المعاني، فقد وجد شعراء الشرق في شعر المهجر آفاقاً أرحب، ووجدوا فيه نزوعاً إلى التأمل والفلسفة والمثالية، والحب، والخير، والإنسانية، فحذوا حذو شعراء المهجر، وأنتجوا شعراً شقيقاً في مولده وفي مكانه، مهجرياً في أسلوبه ومبناه<sup>(225)</sup>. ونذكر من الشعراء الشرقيين الذين تأثروا بالشعر المهجري:

• التيجاني يوسف بشير السوداني.

• عبد المعطي الهمشري المصري.

• أبو القاسم القاسم الشابي التونسي.

وهؤلاء من الشعراء الشباب الذين ماتوا في ريعان شبابهم، وغيرهم أكثر ممن تأثروا بشعر المهجريين.

ولنأخذ مثلاً يبين مدى تأثر شعراء الشرق بالشعر المهجري، ولتكن قصيدة أبي القاسم الشابي «في ظل وادي الموت»، فإنه يقول:

نَحْنُ نَمْشِي وَحَوْلَنَا هَاتِهِ \* الْأَكْوَانُ تَمْشِي لَكِنْ لِأَيَّةِ غَايَةٍ  
نَحْنُ نَشْدُو مَعَ الْعَصَافِيرِ \* لِلشَّمْسِ وَهَذَا الرُّبَيْعُ يَنْفُخُ نَائِيَهُ<sup>(226)</sup>

إلى أن يقول :

جَفَّ سِحْرُ الْحَيَاةِ يَا قَلْبِي \* الْبَاكِ فَهَيَّا نُجَرِّبِ الْمَوْتَ هَيَّا

نلاحظ كيف أن الشابي قد تحرر من قيود القافية وأساليب الشعراء القديمة، متأثراً في ذلك بما

(224) عيسى الناعوري ، أدب المهجر، ص46 .

(225) نادرة جميل شراج ، شعراء الرابطة القلمية ، ص542 .

(226) أبو القاسم الشابي ، ديوان الشابي ، ط4، 5002 ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ص471.

نهجه شعراء المهجر؛ وملاحظة أخرى إلى معاني القصيدة ترينا من وراء كل بيت روح أبي ماضي الفلسفية، وتشاؤم نسيب عريضة في عاطفياته.

وقد مضى المهجريون في أدبهم الجديد الجريء بلا تردد، متحررين من كل ما لا يصلح للحياة الجديدة، وانصرفوا عمّا وضعه الأقدمون من السنن الأدبية، وما فرضوه من الأغراض الشعرية؛ تقول نادرة سراج: «ويمكننا أن نعد أول مبادئ الرابطة القلمية: الثورة على موضوعات الشعر التقليدي التي سار عليها الشعراء منذ عهد امرئ القيس الكندي حتى عصر شوقي وحافظ ومطران في مصر، وناصر اليازجي في لبنان، والرصافي والزهاوي في العراق»<sup>(227)</sup>.

ومن الإنصاف أن نذكر هنا أنّ هذه الثورة التجديدية في المهجر بدأت من الكتاب والشعراء المهجريين أنفسهم قبل إنشاء الرابطة القلمية؛ فإنّ البذور الأولى لتلك الثورة المهجرية، كانت قد غرست قبل تأسيس الرابطة القلمية، وذلك حين هبّ الكاتب المهجري «أمين الريحاني» مطالباً الشعراء بنبذ موضوعات الشعر التقليدي وعدم السير في ركاب الأقدمين من ابتداء القصائد بالبكاء على الأطلال وتذكر الأحبة ممن غادروا الديار»<sup>(228)</sup>، يقول أمين الريحاني في إحدى وصاياه للشعراء المهجريين: «حرروا صناعته من «قفا نبك» و «سائق الأظعان»، إنّ عندكم اليوم الطيارات لتسوقوا النجوم»<sup>(229)</sup>.

وإذا كان أمين الريحاني<sup>(230)</sup> واضح بذور الثورة على الشعر التقليدي في المهجر، فإن جبران خليل جبران - رئيس الرابطة القلمية - هو باعثها وناfix بوقها ومغذي روحها، فنجدته يقول مخاطباً الشعراء والكتاب: «ليكن لكم من قصائدكم الخصوصية مانع من اقتفاء أثر المتقدمين، فخير لكم ولغة العربية أن تبنوا كوخاً حقيراً من ذاتكم الوضيعة من أن تقيموا صرحاً شاهقاً من ذاتكم المقتبسة»<sup>(231)</sup>.

فالشعر عنده يجب أن يكون تعبيراً عما في نفس صاحبه وما ينفع به هو عينه لا غيره ممن تقدمه من الشعراء. وها هو جبران طول حياته الفنية والأدبية لا تعرف له قطعة في مدح رئيس أو رثاء صديق؛ وعلى هذا النهج الذي انتهجه

(227) نادرة جميل سراج، شعراء الرابطة القلمية، ص 114.

(228) المرجع السابق، ص 113.

(229) أمين الريحاني، أنتم الشعراء، ط 1، 2012، مؤسسة هنداوي، القاهرة، مصر، ص 47.

(230) هو أمين بن فارس الريحاني (1876-1940) ولد في قرية الفريكة في لبنان وتوفي فيها، بدأ ظهوره الأدبي في المهجر قبل أن يعرف الناس جبران ورفاقه، له عدد كبير من المؤلفات العربية والإنجليزية، وبهذه المؤلفات لا يزال أكبر مرجع عربي في تعريف العرب ببلادهم، ومنها "ملوك العرب" وتاريخ نجد الحديث وقلب لبنان وقلب العراق، المغرب الأقصى، الريحانيات، وأنتم الشعراء... إلخ (ينظر أدب المهجر: لعيسى الناعوري، ص 347).

(231) محي الدين رضا، بلاغة العرب في القرن العشرين، ط 1، 1339هـ، المكتبة التجارية، القاهرة، ص 83.

جبران سار جميع أعضاء الرابطة القلمية من الشعراء والكتاب، فنرى ميخائيل نعيمة يمتدح هذا النهج الجديد في الأدب الحديث، وخاصة أنه يبتعد عما اعتاد أن ينظمه الأقدمون من شعر تقليدي لا يمثل حياة اليوم ولا يمت إليها بصلة، ويعترف بأن الأدب العربي الحديث أخذ عن الغرب أمثلة جعلها حجر الزاوية في نهضته الأدبية؛ فيقول نعيمة: «أدركنا - بفضل الغرب - أن نظم الشعر ممكن في غير الغزل والنسيب، والمدح والهجاء، والوصف والرثاء، والفخر والحماسة، لذلك أطربتنا نغمة بعض شعرائنا الحديثين الذين تجاسروا أن يتعدوا هذه الحدود المقدسة»<sup>(232)</sup>.

وهكذا جاء ديوان ميخائيل نعيمة (همس الجفون)، كله خواطر نفسية وتأملات فلسفية وأفكار في الزهد والصوفية؛ ومن هنا جاء اسم ديوانه مطابقاً لمضمونه، هي همسات بينه وبين نفسه، وبينه وبين الطبيعة الصامتة حوله.

ونجد «أبا ماضي» يقول في نفس المضمون، مؤيداً لرأى نعيمة، وداعياً لنبذ أغراض الشعر المألوفة لدى الأقدمين:

أَنَا مَا وَقَفْتُ لِكَي أُشَبِّبَ بِالطَّلَا \* مَا لِي وَلِلتَّشْيِيبِ بِالصَّهْبَاءِ  
لَا تَسْأَلُونِي الْمَدْحَ أَوْ وَصْفَ الدُّمَى \* إِنِّي نَبَذْتُ سَفَاسَفَ الشُّعْرَاءِ  
بَاغُوا لِأَجْلِ الْمَالِ مَاءَ حَيَاتِهِمْ \* مَذْحًا وَبِتُّ أَصُونُ مَاءَ حَيَاتِي<sup>(233)</sup>

ومن هنا نلاحظ أننا بمجرد النظر إلى عناوين الدواوين الشعرية التي صدرت عن أعضاء «الرابطة القلمية» في نيويورك، نجدها تعطينا فكرة واضحة عن ماهية الشعر وأغراضه عندهم، فهي إما أسماء مستقاة من الطبيعة بمظاهرها المختلفة كالجدال والخمائل وأوراق الخريف، وإما أسماء معبرة عن حالات نفسية وأفكار فلسفية تأملية مثل: الأرواح الحائرة، وهي الدنيا، وأغاني الدرويش.

إذن فالشعر عند مدرسة الرابطة القلمية ليس ذلك الذي يُقال في أغراض قديمة مملولة تأبأها النفس المتحررة، وليس بغريب هذا على قوم عاشوا في بلاد متحررة لا تعترف بالقيود والأغلال، وأنهم هاجروا من بلاد تئن من وطأة القيود السياسية والدينية والاجتماعية؛ وهم إلى جانب هذا أفراد مثقفون عشقوا القراءة والمطالعة، وتعلموا لغة البلاد التي حلوا بها، فأمكنهم هذا من الاطلاع على بعض الآداب الأجنبية التي وجدوا ميلاً نحوها<sup>(234)</sup>.

(232) ميخائيل نعيمة، الغريال، ص 84.

(233) إيليا أبو ماضي، الأعمال الشعرية الكاملة، ص 332.

(234) - نادرة جميل سراج، شعراء الرابطة القلمية، ص 118.

## الطابع الشخصي:

من أبرز ما يتميز به أدباء وشعراء المهجر أنَّ لكلٍ منهم طابعاً خاصاً يمتاز بيسر وسهولة عن طبائع الآخرين، وتظهر فيه شخصية صاحبة قوية بخصائصها على الرغم من وحدة المنبع ووحدة الغاية لدى الأكثرين.

فأغلب شعراء «الرابطة القلمية» يغترفون من مناهل واحدة، ويهدفون إلى غاية واحدة أو غايات متقاربة؛ ولكن بقدر اشتراك هؤلاء الشعراء جميعهم من مناهل واحدة، والسعي لغاية واحدة، فنلاحظ تباين شخصياتهم الأدبية، بحيث يظهر كل منهم مستقلاً عن الآخرين، بطابعه الخاص في التفكير أو في التعبير، أو في كليهما معاً، وقد نكون في حاجة إلى بعض الشواهد على تميز الطوابع الأدبية لدى هؤلاء المهجريين؛ فلذلك نرى أنَّ نستشهد بعدد من أعلام الرابطة القلمية، لأنَّ المجال لا يتسع للجميع.

فإذا أخذنا الآن جبران خليل جبران، فقد كان من أسبق المهجريين إلى الظهور وإلى التأثير في الأدب العربي الحديث بأسلوبه الجديد في التعبير، وقد بهر العالم العربي بخيالاته الجميلة وبيانه المترقق بأبسط الألفاظ وأعذبها، وأوقعها في النفوس، فنجدته في «المجنون» و «السابق»، حكيماً يخاطب العقول بالأمثال، وفي «آلهة الأرض» يتحدث بالرموز، وفي «المواكب» يتحدث بطريقة الحوار التمثيلي، وفي «النبى» نجده معلماً ومرشداً؛ ففي كل هذه الأساليب المتنوعة، تميز في طابعه الأدبي عن كل أديب آخر<sup>(235)</sup>؛

أمَّا ميخائيل نعيمة في كل ما يكتبه، فأسلوبه هو لا يتنوع، ولغته البسيطة الجميلة الواضحة هي هي، وروحه هي هي، ونوع تفكيره العاطفي الخيالي هو هو؛ وبهذا كله يتميز طابع ميخائيل نعيمة الأدبي عن سواه<sup>(236)</sup>.

أمَّا مزايا الطابع الشخصي لأبي ماضي، أو لنسب عريضة، أو غيرهما من شعراء الرابطة القلمية، فهي أوضح من أنَّ نحاول إيضاحها وتحديدها؛ حيث نلاحظ أنَّ لكلٍ منهم طابعه الخاص به من خلال إنتاجهم الأدبي، حيث يولي كل شاعر أهمية التعبير عما بداخله، متأثراً بما يحيطه، فمثلاً أبو ماضي يلجأ أحياناً إلى الرمز، ففي قصيدته «الضفادع والنجوم»، هي رمز للثرثار الكذاب المتطاول على أقدار الأعلياء، وقصيدته «التينة الحمقاء»، فهي رمز للبخيل الشحيح الذي لا يعطي مما تعطيه الحياة، فيكون جزاؤه الموت محروماً، وكذلك قصيدته «الغدير الطموح»، فهي رمز للطامع الذي يطلب من الأيام ما ليس في طبعها؛ أمَّا نسب عريضة

(235) عيسى الناعوري، أدب المهجر، ص 69.

(236) المرجع السابق، ص 27.

فنجده في طابعه الخاص لا يميل إلى الغموض، فشعره واضح معبر عن الحياة في صدق، ونلاحظ ذلك في قصيدته «النهاية»، حيث يقول:

كَفَنُوهُ! اذْفِنُوهُ! أَسْكِنُوهُ  
هُوَ اللَّحْدِ الْعَمِيقُ  
وَاذْهَبُوا لَا تَنْدُبُوهُ، فَهُوَ شَعْبٌ  
مَيِّتٌ لَيْسَ يَفِيقُ<sup>(237)</sup>

وقد كتب الأديب العربي المعروف الدكتور محمد مندور في كتابه «الميزان الجديد» عن أسلوبهم الفني المتميز، الذي يضيف عليه الشعراء المهجريون طابعهم الشخصي، وحل عدداً من القصائد والقطع النثرية المهجرية في فصول متتابعة تحت عنوان «الأدب المهموس»، اهتم فيها كثيراً ببيان قوة الألفاظ في الدلالة على معانيها، وفي جمال مواقعها، وإبراز الطابع الشخصي لكل منهم<sup>(238)</sup>.

وعلى الرغم من تميز الشخصية عند بعضهم، والطابع الخاص الذي يميز كل منهم، إلا أنه كان للرابطة القلمية تأثيرها الثوري القوي في الفكر والبيان على أعضائها المنضوين تحت لوائها، فتألفت نزعاتهم، وتوافقت أفكارهم، وتقاربت مراميهم، واتحدت أهدافهم، بحيث التقت فيها قرابة النسب العربي، وشيجة الغربة، بقرابة الهدف الفكري والغيرة على إنقاذ الأدب العربي من جموده، واجتماع الكلمة على تجديده<sup>(239)</sup>.

من هنا نرى أن هذه الجماعة أصبحت وكأنها شخصية أدبية واحدة، لأنها تشابهت ظروفها، وتوحدت مبادئها، وتألفت أرواحها، واتفقت في معظم خصائص الشعر ومميزاته، من حنين وحب وتأمل وبراعة في الوصف والتصوير، ثم انطلقت تؤدي رسالة واحدة، تجاه الأدب العربي الحديث، وأمة العرب قاطبة في الشرق، والعالم ككل.

### الحنين إلى الوطن:

بالرغم من ابتعاد شعراء «الرابطة القلمية» عن موطنهم وموطن آبائهم في الشرق، فإنهم ظلوا مرتبطين به بعوامل شتى، فهناك الأهل الذين لم يكن من السهل نسيانهم، وهناك الأرض وطبيعة بلادهم الجميلة التي كانوا دائماً يحنون إليها، ثم

(237) نسيب عريضة، ديوان الأرواح الحائرة، ص23.

(238) ينظر: عيسى الناعوري، أدب المهجر، ص71.

(239) حسن جاد حسن، الأدب العربي في المهجر، ص423.

هناك أحداث سوريا ولبنان والشرق العربي التي كانت تهتز لها قلوبهم فتفيض على ألسنتهم شعراً ونثراً. يقول الدكتور أنيس المقدسي في حديثه عن الأدب المهجري: «ومنذ إعلان الدستور العثماني 1908م إلى الحرب العالمية الأخيرة وما أعقبها من الاعتراف باستقلال أكثر الأقطار العربية وما يتصل بذلك، كان للأدب المهجري شعراً ونثراً يد تذكّر في المدافعة عن حقوقنا وإذكاء نار الحمية في نفوسنا»<sup>(240)</sup>؛ وهكذا ظلّ شعرهم مرتبطاً بالأوطان. وقد قست الحياة على بعض شعراء المهجر ومنهم شعراء الرابطة القلمية، فزاد ذلك من نغمت حنينهم إلى أوطانهم، على أن الميسورين منهم لم تنسهم النعمة شقاء أوطانهم الأولى، ولم تشغلهم الوفرة عن تذكرها والحنين إليها، فهم دائمو النزوع إليها كما قال شوقي:

وطني لو شغلت بالخلد عنه \* نازعتني إليه في الخلد نفسي<sup>(241)</sup>

وما غاب الوطن لحظة عن ضمير شعراء المهجر، فهو ماثل دائم الحضور في ضمائرهم؛ وقد عبر عن ذلك، إيليا أبو ماضي بقوله:

لبنان فيكم ماثل إن كنتم \* في مصر أو في الهند أو في الصين  
إن ينتمو عنه فما زال الهوى \* يذني منكم منه كما يذني  
وحرأككم لعلائه وسكونكم \* وإلى ثراه حنينكم وحنيني<sup>(242)</sup>

ويقول أيضاً:

الأرض: سوريا أحبّ ربوعها \* عندي ولبنان أعزّ جبالها  
والناس أكرمهم عليّ عشيرها \* روجي الفداء لرهطها ولآلها<sup>(243)</sup>

ويقول ندره حداد متلهفاً إلى الربوع السورية وإلى خمائل حمص:

أيها الآتي من الأوطان والأوطان حلوها  
لم أجد عنها وإن طال زمان البعد سلوه  
وطن أوجد مذ فارقت في القلب جدوه<sup>(244)</sup>

فإنّ الحنين المشبوب يتجلى في أدب الرابطة القلمية وفي أدب المهجريين جميعاً، فها

(240) أنيس الخوري المقدسي، الاتجاهات الأدبية في العالم العربي الحديث، ط 1، 1952، بيروت، لبنان، ص 62.

(241) أحمد شوقي، ديوان الشوقيات، تحقيق أحمد الحوفي، ج 1، (د.ط)، 1978، دار نهضة مصر، ص 205.

(242) إيليا أبو ماضي، ديوان الخمائل، ص 107.

(243) إيليا أبو ماضي، الأعمال الشعرية الكاملة، ص 234.

(244) ندره حداد، ديوان أوراق الخريف، ص 23.

هو جبران خليل جبران يبرز لنا صورة بارعة مؤثرة من الحنين إلى الوطن، حيث يقول: «نجانني الله وإياك من المدنية والمتمدنين، ومن أمريكا والأمريكيين، وسننحو بإذن الله، وسنعود إلى قمم لبنان الطاهرة، وأوديته الهادئة، ولن أستعيد عزة نفسي وحرية فكري وراحة جسمي إلا في لبنان»<sup>(245)</sup>.

إنَّ الحنين إلى الأوطان ليس جديداً على الأدب العربي، فقد كان منذ كان الإنسان، على حد قول أبي تمام:

نَقْلُ فُؤَادِكَ حَيْثُ شِئْتَ مِنَ الْهَوَى \* مَا الْخُبُّ إِلَّا لِلْحَبِيبِ الْأَوَّلِ  
كَمْ مَنْزِلٍ فِي الْأَرْضِ يَأْلَفُهُ الْفَتَى \* وَحَيْنُهُ أَبَدًا لِأَوَّلِ مَنْزِلٍ<sup>(246)</sup>

ولكن جدته في أدب المهجر تظهر:

أولاً: في أنَّه ظاهرة شائعة لم تعهد من قبل في أدب العرب حيث كان مجرد ومضات خاطفة، ولحats قليلة، تبدو عند بعض الشعراء.

ثانياً: في عمقه وحرارته، وصدقه وقوته.

ثالثاً: في رفته العاطفية، وجرسه الساحر المؤثر.

ويرجع ذلك - في رأي الباحث - إلى أنَّ المهجريين الذين شكلوا منظومة الرابطة تركوا وراءهم بلاد ساحرة بما فيها من جمال الأنفس وجمال الطبيعة كانت مرتع صباهم وأمالهم، إلى جانب ما شاهدوه من قسوة وظلم، وعنّت ومشقة، في بلد المهجر، ما أشعل في نفوسهم جذوة الحنين، ونار اللّهُفة الموجهة إلى أوطانهم؛ فيقول أبو ماضي:

اِثْنَانِ أَعْيَا الذُّهْرَ أَنْ يَبْلِيَهُمَا \* لُبْنَانُ وَالْأَمَلُ الَّذِي لِذَوِيهِ  
نَشْتَاقُهُ وَالصَّيْفُ فَوْقَ هَضْبِهِ \* وَنُحْبَهُ وَالتَّلْجُ فِي وَادِيهِ<sup>(247)</sup>

ونري كيف هي عاطفة الحنين إلى الوطن إذا تأملنا قول أبي ماضي يوم زار لبنان بعد غيابه عنه نحواً من نصف جيل؛ غادره صغيراً وعاد إليه بعد أن اكتهل، فراح يناجيه بهذا اللحن الجميل، فيقول:

وَطَنَ النَّجُومِ أَنَا هُنَا حَدِّقْ أَتَذْكُرُ مَنْ أَنَا  
أَنَا ذَلِكَ الْوَلَدُ الَّذِي دُنْيَاهُ كَانَتْ هُنَا

(245) عيسى الناعوري، أدب المهجر، ص76.

(246) ديوان أبي تمام، شرح الخطيب التبريزي، ط4، 1994م، دار الكتاب العربي، ص65.

(247) إيليا أبو ماضي، ديوان الخمائل، ص70.



أَنَا مِنْ مِياهِكَ قَطْرَةٌ \* فَاضَتْ جَدَاوِلَ مِنْ سَنَا  
أَنَا مِنْ تُرابِكَ ذَرَّةٌ \* مَا جَتْ كَوَاجِبَ مِنْ مُنَى  
أَنَا مِنْ طَيُورِكَ بَلْبُلٌ \* غَنَّى بِمَجْدِكَ فَاغْتَنَى<sup>(248)</sup>

وليس من الغرابة في شيء أن يأتي الأدب المهجري مصبوغاً بالشوق والحنين؛ وهو الذي ينبع من قلوب قضى عليها الدهر بالهجران والحرمان، على أن الجديد في الأمر هو أن هذا الحنين راح ينسرب في ثلاثة روافد ليستقر أخيراً في بحيرة الحياة العذبة؛ فهناك الحنين للأم وللوطن الأم، والحنين إلى الطبيعة، وهناك الحنين إلى الطبيعة<sup>(249)</sup>.

ولنستمع الآن إلى ميخائيل نعيمة ليحدثنا عن مدى تعلقهم بأوطانهم وحنينهم إليها، فيقول: «في صيف تلك السنة اتفقنا أنا وجبران ونسيب عريضة وعبدالمسيح حداد أن نقضي عطلة قصيرة في البرية، فانطلقنا في أواخر حزيران إلى مزرعة صغيرة تبعد نحو مئة ميل عن نيويورك اسمها «كوهنزي»، في تلك العزلة المعطرة بالسكينة المحللة بالجمال قضينا عشرة أيام مرت كعشر دقائق، جلسنا على تلك الصخرة ومع أنه لم يكن بيننا ولا واحد يحسن الغناء فما شعرنا إلا ونحن نغني أغنيات كلها من الأغاني القومية الوطنية المعروفة في لبنان وسوريا»<sup>(250)</sup>.

#### التأمل :

هناك ميزات يتميز بها مهجريو الشمال، وميزات أخرى يتميز بها مهجريو الجنوب، وميزات ثالثة يشتركون فيها جميعاً، ولو على مقاييس متفاوتة؛ ففي حديثنا عن الحنين إلى الوطن - مثلاً - لاحظنا كيف أن المهجريين قد اشتركوا كلهم في ذلك، لأنهم جميعاً عانوا لواعج الغربة، واكتووا بنيران الشوق إلى الحياة البسيطة، بعد أن صدمتهم مادية الغرب ومدنيته صدمات قاسية.

ونأتي الآن إلى ميزة اختص بها - في الغالب - شعراء وأدباء الرابطة القلمية، ومنهم في المكان الأول، جبران، ونعيمة، ونسيب عريضة، وأبو ماضي؛ يقول عيسى الناعوري: «لم يشترك في ميزة التأمل من مهجري الجنوب إلا الأقلون، وعلى مدى ضيق»<sup>(251)</sup>.

وميزة التأمل هذه هي من أبرز ما يميز أدب الرابطة القلمية، بنوع خاص، على سواه من آداب العرب جميعاً، في القديم والحديث - باستثناء القليل منها، كأدب المعري مثلاً - لأنها بعض طابعهم الجديد، وبعض الخصائص التي أدخلوها على الأدب العربي

(248) إيليا أبو ماضي، ديوان تبر وتراب، ط5، 1986، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ص363.

(249) وديع أمين ديب، الشعر العربي في المهجر الأمريكي، ط1، 5591، دار ربحاني للطباعة والنشر، بيروت، ص77.

(250) المرجع السابق، ص08.

(251) عيسى الناعوري، أدب المهجر، ص38.

الحديث، وتفوقوا فيها، وسموا إلى جواء عالية؛ والذي يقرأ أدبهم التأملي: الشعري والنثري، يرى أنَّ هؤلاء الأدباء، كأنما كانوا في تأملاتهم يتجردون من طبيعة الطين، ويسمون فوق الحياة وفوق البشر، ويحلقون بأخيلتهم في عوالم مجهولة، يحللون النفس الإنسانية ويصورونها بدقة، ويحاولون إماطة اللثام عن أسرار الحياة، وأسرار ما وراء الحياة، وفي كثير من هذه التأملات العميقة يحدوهم الشك؛ ولكنَّه الشك الباحث عن الحقيقة، المتطلع إلى تحقيق مُثل إنسانية عليا خالدة»<sup>(252)</sup>، يقول وديع ديب: «التأمل في الشعر المهجري من أبرز خصائصه، وبهذا كان الشعر المهجري عميقاً في أحاسيسه»<sup>(253)</sup>.

إنَّ الأدب العربي لم يعرف الأدب التأملي قط كما عرفه في أدب المهجر، بشكل جديد رائع، فيه عمق ورحابة وشمول، وفيه قوة وحيوية وجمال، فنلاحظ أنَّ أغلب مؤلفات جبران، مثل: يسوع ابن الإنسان، وآلهة الأرض، والنبى، والمجنون، والمواكب، وأشياء من العواصف، وغيرها، يمتد من خلالها الخيال الجموح في أدب الرابطة القلمية، وندرک فيها مدى انفساح الآفاق النفسية؛ وكذلك مؤلفات نعيمة: زاد المعاد، والمراحل، والبيادر، وهمس الجفون، ومرداد؛ والقسم الأكبر من شعر أبي ماضي، ولا سيما «الطلاسم»، ومثله من شعر نسيب عريضة؛ يقول عيسى الناعوري عن شعر نعيمة<sup>(254)</sup>: «نعيمة شعره كله من النوع التأملي، وكذلك أغلب نثره؛ فانظر إلى قصيدته «الخير والشر» التي يقول فيها:

سَمِعْتُ فِي حُلْمِي وِيَا لِلْعَجَبِ \* سَمِعْتُ شَيْطَانًا يِنَاجِي مَلَكَ  
يَقُولُ: أَيُّ بَلِّ أَلْفِ أَيِّ يَا أَخِي! \* لَوْلَا جَحِيمِي أَيْنَ كَانَتْ سَمَاكَ؟  
أَلَيْسَ أَنَا تَوَآمَانِ اسْتَوَى \* سِرِّ الْبَقَا فِينَا وَشَرِّ الْهَلَاكَ<sup>(255)</sup>

أمَّا جبران خليل جبران، فليس ثمة من يجهل «مواكبه»، التي تجمع في أبياتها المئتين والثلاثة خلاصة فلسفة الحياة؛ وفيها يقول في «العدل» على لسان الشيخ:

وَالْعَدْلُ فِي الْأَرْضِ يُبْكِي الْجَنِّ لَوْ سَمِعُوا \* بِهِ وَيَسْتَضِحُّ الْأَمْوَاتُ لَوْ نَظَرُوا  
فَالسَّجْنُ وَالْمَوْتُ لِلْجَانِيَيْنِ إِنْ صَغُرُوا \* وَالْمَجْدُ وَالْفَخْرُ وَالْإِثْرَاءُ إِنْ كَبُرُوا

وعلى لسان الفتى يقول:

(252) المرجع السابق، ص 38.

(253) وديع أمين ديب، الشعر العربي في المهجر الأمريكي، ص 89.

(254) المرجع السابق، ص 48.

(255) المرجع السابق، ص 58.

لَيْسَ فِي الْغَابَاتِ عَدْلٌ لَا وَلَا فِيهَا الْعُقَابُ  
فَإِذَا الصَّفْصَافُ أَلْقَى ظِلَّهُ فَوْقَ التُّرَابِ  
لَا يَقُولُ السَّرُّو : هَذِي بَدْعَةٌ ضَدَّ الْكِتَابُ  
إِنَّ عَدَلَ النَّاسِ تَلْجُحُ إِنَّ رَأْتَهُ الشَّمْسُ ذَابٌ<sup>(256)</sup>

وعلى هذه الطريقة من الحوار بين الشيخ والفتى يمضي جبران في تحليل أمور الحياة والمجتمع الإنساني.

وإذا قرأنا «تلاسم» إيليا أبو ماضي، فنراه يبذرها بقوله:

جِئْتُ لَا أَعْلَمُ مِنْ أَيْنَ ، وَلَكِنِّي أَتَيْتُ  
وَلَقَدْ أَبْصَرْتُ قُدَّامِي طَرِيقًا ، فَمَشَيْتُ  
وَسَأَبَقِي مَاشِيًا إِنْ شِئْتُ هَذَا أَمْ أَبَيْتُ

ثم يختمها بقوله :

إِنِّي جِئْتُ وَأَمْضِي ، وَأَنَا لَا أَعْلَمُ  
أَنَا لَعَزُ ، وَذَهَابِي كَمَجِيئِي طَلَسُمُ  
لَا تُجَادِلْ ذَا الْحِجَا مِنْ قَالٍ : إِنِّي!  
لَسْتُ أَدْرِي!<sup>(257)</sup>

فالقصيدة في مجملها واضحة في معانيها وتعبيراتها وصياغتها، إلا أنها عميقة في مدلولاتها وأفكارها والتي تحمل من الأبعاد التأملية الفلسفية ما يقف عنده القاريء باهتمام، وتدور حول عدة أفكار وأسئلة فلسفية حول الوجود وحول الحياة، ولكنه لا يستطيع لها جواباً إلا في « لست أدري » التي ينهى بها تساؤلاته؛ والتي تعنى على الصعيد الفلسفي الجواب أو اللا أدريّة الفلسفية<sup>(258)</sup>.

وهذه القصيدة من ضمن قصائد ديوان «الجدال» وتعتبر من أطول القصائد في الديوان فتتكون من نحو 340 بيتاً، نظمت على بحر مجزوء الرمل، وتتوزع إلى

(256) المجموعة الكاملة لمؤلفات جبران خليل جبران (الشعر) ، جمع وتقديم أنطوان القدال ، ص 22.

(257) ديوان إيليا أبي ماضي ، ج2، جمعه وحققه وشرحه الدكتور عفيف نايف حاطوم ، ص 78 .

(258) اللا أدريّة أو الأغنوستية (AGNOSTICISM) مصطلح مشتق من الإغريقية، وهي توجه فلسفي يؤمن بأن القيم الحقيقية للقضايا الدينية أو الغيبية غير محددة ولا يمكن لأحد تحديدها، عُرفت في القرنين الأولين من العهد المسيحي بخاصة، تمزج الفلسفة بالدين ، وتستند إلى المعرفة الحسية العاطفية للوصول إلى معرفة الله .

عدة أقسام: (المقدمة، البحر، في الدير، بين المقابر، القصر، الفكر، صراع وعراك)<sup>(259)</sup>، وقد أشارت كثيراً من الجدل وحفزت شهية عدد من النقاد لتناولها، ودفعت بعض الشعراء لمعارضتها والإجابة عن تساؤلات شاعرها، ومن أوائل من عارضها وأجاب عن تساؤلاتها الفلسفية التأملية الشاعر محمد الجواد الجزائري حيث نظم قصيدة طويلة من نحو 238 مقطعاً على شكلتها وبنفس الوزن مقسمة إلى أبواب بنفس عناوين القصيدة الأصل، بحيث يذكر الأصل ثم المعارضة، وسمّاها «حل الطلاس» وطبعت في كتاب أول مرة في بيروت سنة 1946م، جاء في مقدمتها:

أنا في جوهرِي الفقرُ إليه ، وهو حسبي  
أنا في الكونِ، ولكنْ أنا سارٍ وهو دربي  
وكلانا فيضُهُ، والفيضُ فضلُ

أمّا صاحب ديوان «الأرواح الحائرة» نسيب عريضة، نلاحظ من تسمية ديوانه، أنّها تدل على حيرة روحه الباحثة عن الحقيقة خلف كل شيء؛ فلنسمعه في قصيدته «على الطريق» يتساءل وهو يبحث نفسه على المسير:

لِمَاذَا وَقَفْتُ بِخَوْفٍ وَحَيْرَةٍ أَيَا نَفْسٍ عِنْدَ الطَّرِيقِ الْآخِرِ ؟  
أَلَا أَمْشِي فَإِنَّ الْحَيَاةَ قَصِيرَهُ أَلَا أَمْشِي !<sup>(260)</sup>

وإذا كانت الخطرات التأملية قد خامرت أذهان الكثيرين من الفلاسفة والأدباء قبل المهجريين، فإنّ الجديد في هذا الطابع عندهم هو غلبته عليهم واستغراقه لعقولهم وأفكارهم، وكثرته في أدبهم، وعرضه في شكل جديد رائع من الأسلوب والصياغة، واتسامه بالعمق والشمول، والقوة والحيوية والجمال<sup>(261)</sup>؛ ومن ذلك قول نسيب عريضة:

يَا نَفْسُ مَا لِكَ وَالْأَيْنِ تَتَأَلَّمِينَ وَتُؤَلِّمِينَ  
عَذَّبَتْ قَلْبِي بِالْحَيْنِ وَكَتَمْتِهِ مَا تَقْصِدِينَ<sup>(262)</sup>

وهكذا نرى أنّ هذا النوع من الأدب التأملي، يكتشف المجهول، ويستنطق الغيب، ويحلل الأشياء ويعللها، ليصل إلى حقائقها الخالدة؛ وهو كما يقول الناعوري: «أدب أفاضته أرواح حرّة، ورتلته ضمائر صريحة، لا تجد ما يحدها ويكبلها دون البحث عن الحقيقة»<sup>(263)</sup>.

(259) ينظر: الموسوعة الحرة، حل الطلاس .

(260) نسيب عريضة ، ديوان الأرواح الحائرة ، ص 23.

(261) حسن جاد حسن ، الأدب العربي في المهجر ، ص 683.

(262) ديوان الأرواح الحائرة ، مرجع سابق ، ص 30.

(263) عيسى الناعوري ، أدب المهجر ، ص 87 .

## عمق الشعور بالطبيعة:

سحرت الطبيعة شعراء العربية من العصر الجاهلي وما تلاه من العصور، وراعتهم مشاهدتها، وبهرتهم مناظرها، فحلّق خيالهم في أجوائها وآفاقها، وانطلق بين جداولها ومروجها، وجنح فوق رباهها وخمائلهما، مأخوذاً بما أودعه الله تعالى فيها من جمال وفتنة وحسن، وراحوا يصدحون في مجالها العديدة، ومغانيتها الجميلة، بأعذب الألحان، وأروع الأنغام؛ هكذا يقدم دكتور محمد حسين هيكلكتاب «شعر الطبيعة في الأدب العربي» لمؤلفه «سيد نوفل»، الذي ذهب إلى أنّ كل مظاهر الطبيعة بأنواعها المختلفة، هي التي أثّرت في شاعرية كل شاعر، وإبداع كل فنان وأديب<sup>(264)</sup>.

ولكننا نلاحظ أنّ كثيراً من شعراء العربية في تلك العصور، كان شعوره بالطبيعة يقف عند ألوانها الزاهية ومفاتها الحسية، فلا يعدّو أنّ يصف الألوان ونقوش الجدران، أي أنّه يتناول الطبيعة وكأنّها دمية جامدة صامتة لا حسّ فيها ولا شعور ولا حياة، كما في قول ابن خفاجة في وصف نهر:

مُنْعَطَفٌ مِثْلَ السَّوَارِ كَأَنَّهُ \* وَالزَّهْرُ يَكْنُفُهُ مَجْرُ سَمَاءٍ<sup>(265)</sup>

ولعلنا نلاحظ التشبيه تلو التشبيه (مثل) (كأنّ) دون أنّ يكون هناك تشخيص لهذه الصور ليمنحها الحياة والإحساس والشعور الذي يخرج بها من نطاق الجمود إلى مجال الحركة والحيوية<sup>(266)</sup>؛ ولعلّ هذا ما نجده عند معظم الشعراء الأقدمين الذين تناولوا الطبيعة في شعرهم، وقليل منهم من كان يميل إلى بث الروح والحياة في الطبيعة.

أمّا الناظر إلى شعر شعراء المهجر عامة وشعراء «الرابطة القلمية» بوجه خاص، فيجدهم أنّهم ارتبطوا بالطبيعة ارتباطاً شعورياً وثيقاً خلق بينهم وبينها ارتباطاً وجدانياً، جعلهم يختلفون عن غيرهم من الشعراء في تناولهم للطبيعة؛ وقد صور لنا ميخائيل نعيمة، في حياة جبران، مدى شعور المهجريين بالطبيعة بصورة دقيقة، إذ قال: «... فالإنسان والثعبان، والقنفذ والغزال، والملاك والشيطان، أبناء الغاب الواحد، والغاب منهم غاية واحدة، وله فيهم مشيئة واحدة، من عرفها لم يعاندها، بل استسلم لها، ومن جهلها فعاندها، سحقته فأشقته»<sup>(267)</sup>؛ فنعيمه إذ يقول هذا القول، إنّما ينظر إلى الوجود كله على أنّه وحدة كاملة، تتنوع مظاهرها ولكن جوهرها واحد لا ينفصل.

(264) ينظر: شعر الطبيعة في الأدب العربي، سيد نوفل، ط1، 1945، مطبعة مصر، القاهرة، ص4.

(265) ديوان ابن خفاجة، تقديم دكتور عمر الطيّاع، (دط)، 4991، دار القلم، بيروت، لبنان، ص21.

(266) فوزي يوسف، شعر المهجر قضايا ومميزات، رسالة دكتوراه، جامعة الجزيرة، السودان، 2013، ص87.

(267) ميخائيل نعيمة، جبران خليل جبران، ص67.

والغاب عند المهجريين هو رمز البساطة والجمال، كما يقول نسيب عريضة: «الغاب كتاب مقدس، كلماته تعاويذ تشفي من لذعات فلسفة الحياة» (268).

ولعل «الغاب» هو المسرح الذي وجد فيه المهجريون جمال الطبيعة في فطرتها، وصفائها ومساواتها التامة بين الأحياء، فهي أبو ماضي يصور لنا الغاب، وما فيه من لهو وجمال وعطف، في قصيدته «الغابة المفقودة»، فيقول:

لله في الغَابَةِ أَيَّامُنَا \* مَا عَابَهَا إِلَّا تَلَاشِيَهَا  
طَوْرًا عَلَيْنَا ظِلُّ أُنُوحِهَا \* وَتَارَةً عَطْفُ دَوَالِيهَا  
وَتَارَةً نَلْهُو بِأَعْنََابِهَا \* وَتَارَةً نُحْصِي أَقَاحِيهَا (269)

وهذا ميخائيل نعيمة يكر إلى الغاب قائلًا في قصيدته «صدى الأجراس»:

أَشْجَارُ الْغَابِ تَحْيِيْنَا \* وَطُيُورُ الْغَابِ تَنَاجِيْنَا  
وَرُؤُوسُ الْغَابِ تَصَافِحُنَا \* وَنَصَافِحُهَا وَتَهْنِيْنَا (270)

ويقول جبران خليل جبران في قصيدته «المواكب»:

لَيْسَ فِي الْغَابَاتِ حُرْنٌ \* لَا وَلَا فِيهَا الْهُمُومُ (271)

فالغاب التي يقصدها الشاعر جبران، فليست غاباً بمعناها الضيق؛ بل هي الطبيعة بأسرها كما قال أنطوان القوّال في مقدمته التي كتبها للمجموعة الكاملة لمؤلفات جبران خليل جبران الشعرية (272).

ويعبر شعراء الرابطة القلمية عن الحياة الطبيعية السهلة غير المعقدة بألفاظ أخرى غير الغاب منها: القفر والنور والضياء؛ فهذا إيليا أبو ماضي في ديوانه «الجدول» يكتب قصيدة بعنوان «في القفر» ويعني به نفس ما عناه جبران خليل جبران بكلمة الغاب ويبدوها بقوله:

سَمَّمْتُ نَفْسِي الْحَيَاةَ مَعَ النَّاسِ \* وَمَلَّتُ حَتَّى مِنْ الْأَحْبَابِ (273)

وقد خرج شعراء المهجر من أوطانهم يحملون معهم خصائص الشعر العربي، وفي

(268) نادرة جميل سراج ، شعراء الرابطة القلمية ، ص 261 وما بعدها.

(269) الأعمال الكاملة لأبي ماضي، تقديم عبدالكريم الأشتر، ص 387.

(270) ميخائيل نعيمة، ديوان همس الجفون، ط 6، 4002، مؤسسة نوفل، بيروت، لبنان، ص 83.

(271) المجموعة الكاملة لمؤلفات جبران (الشعر)، جمع وتقديم أنطوان القوّال، ص 91.

(272) المرجع السابق ، ص 7.

(273) إيليا أبو ماضي، ديوان (الجدول) ، ط 1، 8891، دار كاتب وكتاب، بيروت، ص 84.

أخيلتهم تلك الطبيعة الجميلة التي طالما عاشوا فيها ومعها أجمل مراحل عمرهم؛ مرحلة الطفولة والصبا، وعندما وصلوا إلى بلاد المهجر وعاشوا في العالم الجديد جعلوا من الطبيعة أدباً جديداً مبتكراً، فكانت الطبيعة عندهم أفسح من أن تكون مستودعاً لا يرى فيه الشاعر إلا صورة اعتدال القوام واهتزاز الخصر وابتسام الثغر<sup>(274)</sup>. وقد منح شعراء المهجر الطبيعة الحياة وخلقوا فيها الشعور والإحساس، مما خلق نسباً وثيقاً وتجاوباً شعورياً بينهما، فعانقوها عناقاً روحياً لا ينقسم فهي بما فيها من قلب نابض وحياة شاملة تساجلهم العطف وتجازبهم المودة، مما جعل الطبيعة في شعرهم تختلف عن الطبيعة في شعر غيرهم على مرّ مراحل الشعر العربي، فهذا الإحساس العميق بالطبيعة الذي نجده في أدب المهجريين وأصحاب الرابطة القلمية منهم بنوع خاص جديد في طريقته، جديد في روحه؛ فهذا نعيمة في قصيدته «صدى الأجراس» يهتف بالغاب ويتجاوب مع كل شيء فيه شجرة وزهره وطيّره وشمسه ونهره حتى يصبح كل العالم ملكه، ويتخيل الغاب بأشجاره وطيوره وأزهاره، كلها تصافحهم وتهنئهم بسلامة الوصول، فيقول:

النَّاسُ تَسِيرُ إِلَى الْقَدَاسِ وَنَحْنُ نَكِرُّ إِلَى الْغَابِ  
أَشْجَارُ الْغَابِ تُحَيِّنَا وَطُيُورُ الْغَابِ تُنَاجِنَا  
وَزُهُورُ الْغَابِ تُصَافِحُنَا وَنَصَافِحُهَا وَتُهْنِنَا  
وَالشَّمْسُ بِلُطْفٍ تَلْتَمُّ أَوْجُهَنَا وَتَذَرُّ لَنَا ذَهَبًا<sup>(275)</sup>

وفي قصيدته «النهر المتجمد»، يقول:

يَا نَهْرُ هَلْ نَضَبْتُ مِياهُكَ فَانْقَطَعْتَ عَنِ الْخَرِيرِ؟  
أَمْ قَدْ هَرِمْتَ وَخَارَ عِزُّكَ فَاثْنَيْتَ عَنِ الْمَسِيرِ؟  
بِالْأُمْسِ كُنْتُ مُرْتَمًا بَيْنَ الْحَدَائِقِ وَالزُّهُورِ<sup>(276)</sup>

وفي عالم الحيوان والطيور يصور لنا إيليا أبو ماضي الفراشة المحتضرة، وقد علتها الكآبة لما أصابها، فيخاطب الرياح قائلاً:

فَيَا رِيَّاحَ الْخَرِيفِ الْغَاتِيَّاتِ كَفَى \* عَصْفًا فَقَدْ كَثُرَتْ فِي الْأَرْضِ قَتْلَاكُ  
كَيْفَ اغْتِذَارُكَ إِنْ قَالَ إِلَهُ غَدًا \* هَلْ الْفَرَّاشَةُ كَانَتْ مِنْ صَحَايَاكَ؟<sup>(277)</sup>

(274) فوزي يوسف إبراهيم، شعر المهجر قضايا ومميزات، ص 89.

(275) ميخائيل نعيمة، ديوان همس الجفون، ص 14.

(276) المرجع السابق، ص 43.

(277) أبو ماضي، الأعمال الشعرية الكاملة، تقديم دكتور عبدالكريم الأشتر، ص 107.

ولا شك أنّ هذا الإحساس العميق بالطبيعة هو إحساس جديد في طريقته، جديد في روحه، يترك في النفس أثراً عميقاً يتعالى فوق قيود المادة!

واتخذ شعراء المهجر الطبيعة رمزاً للأمال ومعلماً مثالياً، وكتاباً مفتوحاً لتعلّم المبادئ والمثل؛ وها هو أبو ماضي في قصيدته «الطلاسّم» يناجي البحر ويوظف الطبيعة لجعل منها بؤرة الوجود، فيقول:

أَيُّهَا الْبَحْرُ أَتَذَرِي كَمْ مَضَتْ أَلْفٌ عَلَيْكَ

وَهَلِ الشَّاطِئُ يَذَرِي أَنَّهُ جَآثٍ لَدَيْكَ

وَهَلِ الْأَنْهَارُ تَذَرِي أَنَّهَا مِنْكَ إِلَيْكَ

مَا الَّذِي الْأَمْوَاجُ قَالَتْ حِينَ ثَارَتْ ؟ (278)

والذي يطلع على الإنتاج الأدبي لشعراء الرابطة القلمية يرى أنّ للطبيعة حظاً وافراً من هيامهم، وتأملاتهم وهمساتهم، ويرى أنّ حب الطبيعة قد جرى في نفوسهم مجرى الدم في المفاصل، حتى أنّ أغلب دواوينهم الشعرية جاءت موشحة بعناوين الطبيعة: أوراق الخريف، الجداول، الخمائل، تبر وتراب، وغيرها؛ وهكذا الأدب عند شعراء الرابطة القلمية ليس مشاركة وجدانية لبنى الإنسانية فحسب؛ ولكنه مشاركة وجدانية - أيضاً - لمظاهر الطبيعة بأشكالها وألوانها المختلفة.

### براعة الوصف والتصوير:

ليس الوصف شيئاً جديداً في الأدب العربي، ولا في أدب أي أمة من أمم الأرض، فهو من العناصر الأساسية التي يعتمد عليها الأدب، يقول عيسى الناعوري: «في الشعر العربي كثيراً جداً من نماذج الأدب الوصفي والتصويري البارِع، كأوصاف الرياض، ومجالس الطرب، والأوصاف الوجدانية الغنية بالشعور والعاطفة»<sup>(279)</sup>، ويقول أبو هلال العسكري: «وإنّما كانت أقسام الشعر خمسة: المديح، والهجاء، والتشبيب، والمراثي، والوصف»<sup>(280)</sup>.

ولما ظهرت المدرسة المهجرية ومنهم شعراء الرابطة القلمية، اعتمدت على حد كبير على جمال التصوير في الشعر والنثر على السواء، ولكن على مدى كبير من رحابة الأفق الإنساني، ودقة الإحساس بشتى نواحي الحياة والمجتمع؛ وإذا كان التصوير في الأدب عامة، دعامة كبرى من دعائمه، تسبغ عليه أفانين من الرقة واللفظ والجمال،

(278) أبو ماضي، ديوان الجداول، ص 931.

(279) عيسى الناعوري، أدب المهجر، ص 911.

(280) أبو هلال العسكري، الصناعتين، تحقيق علي البجاوي، ط 1، 2591، دار إحياء الكتب العربية، ص 131.



فهو في الأدب المهجري خاصة إحدى مزاياه الجميلة التي برع فيها، وقدم منها ألواناً عجباً في مختلف صور الحياة، ونوازع النفس البشرية، والفكر الإنساني<sup>(281)</sup>.

ومن هذه الصور البوارع، وصف جبران «للقبلة الأولى» فقد صور روائع من الخيال البعيد الانطلاق، حيث يقول: «هي الرشفة الأولى من كأس ملأها الآلهة من كوثر الحب، هي الحد الفاصل بين شك يراود القلب فيحزنه، ويقين يفعمه فيغبطه، هي مطلع قصيدة الحياة الروحية، والفصل الأول من رواية الإنسان المعنوي»<sup>(282)</sup>؛ ويشترك نعيمة مع جبران في هذه المزايا، فقلمه ريشة رسام عبقرى قبل أن يكون مرقماً لكتابة الألفاظ، ومن شاء أن يعرف إلى أي مدى بلغت براعة نعيمة التصويرية، فليقرأ كتابه عن حياة جبران، وليقف خاصة عند وصفه لمدينة نيويورك؛ وفي كتابه «البيادر» نجد قطعة من رسومه النثرية، عجيبة الألوان، ساحرة الظلال والخطوط، يقول فيها: «ففي الصيف ما ينفك البحر يغمر بأنفاسه وجه صنين، فأنساً سحب، وأونة ضباب، وأنساً ندى ما أظن جنة عدن عرفت ألطف أو أخف منه...»<sup>(283)</sup>، وفي قطعة نثرية أخرى له بعنوان «سحر الوجود» يتجلى جمال التصوير، يقول فيها: «تأكل الأرض بنيتها، ويأكلها بنوها، فلا هي بالشكلي ولا هم باليتامى، وتزدرد الفصول الفصول، وتدور الشمس على محورها موزعة نارها على الأكوان، فلا محورها يبرى ولا نارها تخبو»<sup>(284)</sup>؛ وفي شعر أبي ماضي، نطالع سلاسل متواصلة الحلقات من الصور الرائعة، يستمدّها الشاعر من الحياة والطبيعة، ومن خياله الخصب، وإذا أخذنا قصيدته «الحكاية الأزلية» مثلاً، فنرى أماننا سلسلة من الصور العميقة الإحساس، البارة الخيال، فكل صورة منها تتألف من مجموعة من الصور الشعرية الزاهية، ففي عتاب الجارية لربها يقول:

أَنْ أَخْطَأَ الْخَزَافُ فِي جَبَلِهِ الطِّينَ فَأَيُّ الذَّنْبِ لِلْإِنِّيهِ؟

وفي قول الفتى الشاكي يقول:

عَبءٌ عَلَى نَفْسِي هَذَا الصَّبَا الْجَائِشُ الْمُسْتَوْفِرُ الطَّامِي  
يَزْدَرُغُ حَوِي زَهْرَاتِ الْمُنَى وَشَوْكُهَا فِي قَلْبِي الدَّامِي

وفي قول الحسناء يقول:

(281) أدب المهجر، مرجع سابق، ص 120.

(282) المرجع السابق، ص 121.

(283) ميخائيل نعيمة، البيادر، ص 811.

(284) ميخائيل نعيمة، البيادر، ص 14.

وَجْهِي سَنِي مُشْرِقٌ إِنَّمَا \* مَرَعَى عِيونِ الخَلْقِ وَجْهِي السَّني  
حَظِّي مِنْهُ حَظٌّ وَرَدَ الرُّبَا \* مِنْ عِطْرِهِ الفَوَاحِ وَالسُّوسَن  
وَمِثْلَ حَظِّ السَّرْوِ مِنْ فَيْئِهِ \* وَالطَّيْرِ مِنْ تَغْرِيدِهَا الْمُتَّقِنِ<sup>(285)</sup>

وإذا قرأنا لأبي ماضي «السجينة» أو «فلسفة الحياة» أو «الطلاسم» أو «المساء»، أو ما شئتُنا مِنْ قصائده الكثيرة في دواوينه الخمسة، التي تزخر بالإبداع، فإننا نجد لديه كنوزاً غالية مِنَ اللوحات الفنية، ونلاحظ كذلك في شعره نسيب عريضة<sup>(286)</sup> نماذج عديدة مِنَ الصور الحية وخيال متفجر لا ينضب معينه، وبنوع خاص قصيدته «النعامي» وسائر شعره الذي يصور حيرته فيه وحنينه إلى المجهول، ولرشيدي أيوب أيضاً نماذج عديدة<sup>(287)</sup> في الوصف التصويري البارِع؛ منها قصيدته «المهاجر».

إنَّ الصور الشعرية الجمالية في أدب «الرابطة القلمية» كثيرة جداً، بحيث يفقد القدرة على المفاضلة، والاختيار؛ فشعرهم حديقة ملأى بأجمل الورد الناضرة، والصور العميقة البارعة، لذا اكتفى الباحث بما قدمه من نماذج، ولا يشك في أنَّ هناك الكثير مما يفوقها جمالاً ورقة وصدقاً على جمال التصوير.

### البساطة في التعبير والرقعة الغنائية:

في الوقت الذي كان فيه الشعراء الكبار في الشرق - مِنْ أمثال شوقي، وحافظ، ومطران، والرصافي، وأمثالهم، لا يستطيعون أَنْ يفوزوا برضى القارئ الشرقي وإعجابه إلا عن طريق الجزالة اللفظية، والقوالب الشعرية العباسية، والقصائد الدالة على التمكن مِنَ العروض واللغة، في ذلك الوقت نفسه كان الكبار المتمازون مِنْ شعراء المهجر يتغنون مِنْ بعيد بشعر رقيق الألفاظ، لا أجراس فيه ولا طبول<sup>(288)</sup>، فإنَّ شعراء المهجر عامة وشعراء الرابطة القلمية منهم بوجه خاص، قد رسخ في عقيدتهم أنَّ الشعر فنُّ الحياة، لا تكلف فيه ولا تقليد؛ وهذا ما وضح جلياً مِنْ خلال العرض السابق للخصائص العامة في شعرهم؛ لذلك سرعان ما وجد شعرهم والكثير مِنْ نثرهم، الطريق سهل إلى نفوس القرَّاء في الشرق وفي المهاجر على السواء.

ولقد منح المهجريون أنفسهم الحرية التي كانت تعوز أدباء الشرق وشعراءه، ولهذا كان أدبهم شيئاً جديداً، وصحَّ في مذهبهم أنَّ بساطة العبارة والرقعة الغنائية هي عماد الجمال في الشعر وفي الفنِّ؛ وفي ذلك يقول نظمى عبد البديع: «وجدنا المهجريين

(285) ديوان إيليا أبي ماضي، تحقيق دكتور عفيف حاطوم، ص 134.

(286) ينظر: ديوان الأرواح الحائرة لنسيب عريضة،.

(287) ينظر: دواوين رشيد أيوب، " الأيوبيات 6191 " و " أغاني الدرويش 8291 " و " هي الحياة 9391 " .

(288) عيسى الناعوري، أدب المهجر، ص 89.

يعبرون بألفاظ هي عين الجمال والرقّة والغنائية وكان لها بالغ الأثر في رشاقة العبارة التي تميزت بالبساطة بحيث تؤدي المعنى في أبسط صورة وأيسرها»<sup>(289)</sup>.

ومن الشعر الغنائي الرقيق لدى شعراء الرابطة القلمية، نأخذ - مثلاً - مقتطفات من قصيدة أبي ماضي بعنوان «شاعر الشهور» يقول فيها:

أَيَّارُ ، يَا شَاعِرَ الشُّهُورِ \* وَبَسْمَةَ الحُبِّ فِي الدَّهْورِ  
وَحَالِقَ الزَّهْرِ فِي الرُّوَابِي \* وَحَالِقَ العِطْرِ فِي الزُّهُورِ  
وَبَاعِثَ المَاءِ ذَا خَرِيرٍ \* وَمُوجِدَ السَّخْرِ فِي الخَرِيرِ  
وَعَاسِلَ الأفقِ والدَّرَارِي \* وَالأَرْضِ بالنُّورِ والعَبِيرِ  
لَقَدْ كَسَوْتَ الثَّرَى لِبَاساً \* أَجْمَلَ عِنْدِي مِنَ الخَرِيرِ<sup>(290)</sup>

والواضح من هذه الأبيات المقتطفة أنّه ليس حتماً أن يتجرد الشعر من الوزن الواحد والقافية الواحدة لكي يكون غنائياً رقيقاً؛ وإنما الأصل فيه جمال الخيال، وبساطة التعبير، والذوق المرفه الذي يعرف كيف يضع اللفظة الشاعرة المعبرة، بدون تكلف أو جهد.

وقد نادى بعض النقاد بأن تكون «لغة الشعر هي لغة الناس، ولا يقصد هنا ما تستخدمه العامة من كلمات وتراكيب، بل القصد هو روح اللغة المتمثلة في كلماتهم، ويكمن إبداع الشاعر في اللغة البسيطة، بأن يجعلها ذات طاقة تعبيرية مصفاة ومكثفة»<sup>(291)</sup>.

فنرى نسيب عريضة، شاعر الحيرة الأكبر بين المهجريين، يتحدث عن حيرة قلبه بملء البساطة المعبرة، فيقول في قصيدة بعنوان «مركب الفؤاد»:

قَلْبِي بِلا شَرَاخِ يَطُوفُ فِي البَحَارِ  
قَدْ قَارَبَ التَّدَاعِي مِنْ كَثْرَةِ الأسْفَارِ

\*\*\*

سَفِينَةُ حَقِيرَةٍ لَيْسَ لَهَا رَبَانُ  
فِي ظُلُمَاتِ الحِيرَةِ مَنَارُهَا الإِيْمَانُ<sup>(292)</sup>

وفي قصيدة ميخائيل نعيمة «أوراق الخريف»، نلاحظ تلك الرقة الغنائية الموشحة بالبساطة، حيث يقول:

(289) نظمي عبد البديع ، أدب المهجر بين الأصالة وفكر الغرب، ص 109 .

(290) ديوان إيليا أبي ماضي ، تحقيق عفيف نايف حاطوم ، ص 200.

(291) المرجع السابق، ص 154.

(292) - ينظر: ديوان الأرواح الحائرة ، نسيب عريضة ، ط نيويورك ، 1946.

## تَنَازَّرِي تَنَازَّرِي \* يَا بَهْجَةَ النَّظَرِ يَا مَرْقَصَ الشَّمْسِ وَيَا \* أَرْجُوحَةَ الْقَمَرِ<sup>(293)</sup>

وفي قصيدته «النهر المتجمد» نلاحظ أيضاً، أنها تمتلئ رقة غنائية وجمالاً في عباراتها، ونجوى موشحة بالكآبة الجميلة، فيقول فيها:

يَا نَهْرُ هَلْ نَضِبْتُ مِيَاهُكَ \* فَانْقَطَعَتْ عَنْ خَرِيرِ  
أَمْ قَدْ هَرَمْتُ وَخَارَ عِزُّكَ \* فَاثْنَيْتُ عَنْ الْمَسِيرِ  
بِالْأُمْسِ كُنْتُ مُرْنَمًا \* بَيْنَ الْحَدَائِقِ وَالزُّهُورِ  
تَتَلَوْ عَلَى الدُّنْيَا وَمَا \* فِيهَا أَحَادِيثُ الدُّهُورِ<sup>(294)</sup>

### الحرية الدينية:

سبق أن ذكرنا في أسباب الهجرة وبواعثها أن الصراعات الطائفية والتعصب الديني في بلاد الشام أدّى إلى إفقار البلاد وانعدام الأمن وفقدان الطمأنينة، ممّا تسبب في نزوحهم وهجرتهم عن أوطانهم إلى الأمريكتين. وعندما وصل هؤلاء الأدباء المهاجرون إلى العالم الجديد وجدوا جواً من الحرية خصوصاً حرية العقيدة، فانطلقوا يبحثون في الحياة والكون والوجود، والحياة الدينية؛ وأوصلهم البحث إلى الإيمان بوحدة الوجود ووحدة الأديان، فحملوا لواء الثورة على التقاليد الدينية الموروثة، ودعوا إلى التسامح الديني<sup>(295)</sup>.

وقد رحبت أمريكا آفاق الحرية الدينية عند هؤلاء الأدباء وجعلتهم يودعون - فيما ودعوه في أوطانهم - ذلك التعصب الديني الذي كان يبدو على أكثر وجوهه عنفاً في لبنان خاصة، وفي الشرق العربي عامة؛ وقد كان وجه الطائفية البغيض يتمثل الأدباء وغيرهم من العرب النازحين في بلاد تقدر الحرية السمحة الجميلة، سواء أكانت حرية في الفكر، أم في المعتقد، أم في الأوطان<sup>(296)</sup>.

إن الفرق الشاسع بين حرية الأديان في العالم الجديد، وبين التعصب الديني في الأوطان الأولى لأدباء المهاجرين العرب، قد دلّهم بوضوح على أن الطريق الجامد المتعنت لا يفضي إلى تحرر في الفكر، وأن بلادهم لم يصبها بالضعف وتفرق الكلمة إلا ذلك التعصب الطائفي الذي عطلها عن السير في طريق النهوض، ففي أدب هؤلاء

(293) ميخائيل نعيمة، ديوان همس الجفون، ص 54.

(294) ميخائيل نعيمة، ديوان همس الجفون، ص 8 - 11.

(295) محمد صالح وآخرون، الشعر العربي الحديث آفاقه وسبل تذوقه ونقده، ط 1، (د ت)، دار الأندلس للنشر، حائل، السعودية

، ص 281 - 381.

(296) محمد عبد الغني حسن، الشعر العربي في المهجر، ص 84.

المهاجرين نجد الحرية في التفكير والتعبير، والمناقشة والتفسير لشؤون الدين، بعيداً عن روح التعصب والجمود؛ وأمّا التكفير الذي يرمي به الشرقيون بعضهم بعضاً، وتتهم به كل طائفة وكل ملة أختها، فهو أبعد ما يكون عن تفكير المهجريين وعن معتقداتهم، وهم أبعد ما يكونون عن قبوله أو التسليم به، فالشاعر رشيد أيوب في قصيدته «دموع بعيني لم تجمد»، يقول:

أَصْلِي لِمُوسَى وَأَعْبُدْ عِيسَى \* وَأَتْلُو السَّلَامَ عَلَى أَحْمَدَ  
طَلَبْتُ مُعِيناً عَلَى الْحَادِثَاتِ \* فَمَرَّ الزَّمَانُ وَلَمْ أَهْتَدِ  
أَقْلَبُ طَرَفِي بِرَحْبِ الْفُضَاءِ \* وَأَمْضِي حَزِيناً إِلَى مَرْقَدِي<sup>(297)</sup>

نفهم من البيت أنّ رشيد أيوب قد خلص من التعصب الديني جملة، واتسعت نظرتة الدينية، وأنّ الناس جميعاً متساوون ولا وجه لإثارة الخلاف الديني والتعصب المذهبي بينهم.

ومن نماذج الحرية الدينية لدى المهجريين، قول ميخائيل نعيمة في (بوذا، ولاوتسو، والمسيح): «إنّهم ثلاثة وجوه تقلصت أمامها خيالات كل وجوه البشر، وهم ثلاث منارات على شواطئ الوجود، تستمد نورها من مصدر واحد، وتنير سبيلاً واحداً»<sup>(298)</sup>.

وكثير من أدباء المهجر كانوا يرون أنّ الإيمان الحق والدين الصحيح إنّما هو في الخلق الطيب والأخوة الإنسانية، والتسامح الجميل، وليس في الطقوس والوعظ من أناس يحملون الشرور، ويُراءون في عباداتهم، كما يقول ندره حداد:

وَوَدَدْتُ الصَّلَاةَ لِلَّهِ فِي الرُّوضِ \* بَعِيداً عَنْ كُلِّ هَذِي الطُّقُوسِ  
حَيْثُ لَا أَسْمَعُ الْمُرَائِي يُصَلِّي \* عَالِياً يَسْتَغِيثُ بِالْقَدِيسِ  
حَيْثُ لَا وَاعِظٌ يَصِيحُ وَفِيهِ \* مِنْ شُرُورٍ مَا لَيْسَ فِي إِبْلِيسِ<sup>(299)</sup>

ولعلّ أوّل مَنْ جهر من شعراء الرابطة القلمية برأيه الصريح في الدين ورجاله، جبران خليل جبران، ويظهر ذلك في حملاته العنيفة التي لا ترحم على الكثيرين من رجال الدين التي امتلأت بها مؤلفاته الكثيرة، حتى لقد رُمي بالإلحاد، وأحرق أحد كتبه في بيروت ووضعت كتبه في القائمة السوداء يُحرّم على الكاثوليك قراءتها، لمخالفتها لتعاليمهم؛ ففي قصيدته «المواكب» يقول جبران:

وَالدِّينُ فِي النَّاسِ حَقْلٌ لَيْسَ يَزْرَعُهُ \* غَيْرُ الْأَوَّلَى لَهُمْ فِي زَرْعِهِ وَطَرُّ

(297) رشيد أيوب، ديوان الأيوبيات، نيويورك، 1916، ص 37.

(298) حسن جاد حسن، الأدب العربي في المهجر، ص 304.

(299) المرجع السابق، ص 404.

فَالْقَوْمُ لَوْلَا عِقَابُ الْبُعْثِ مَا عَبَدُوا \* رَبًّا وَلَوْلَا الثَّوَابُ الْمُرْتَجَى كَفَرُوا  
كَأَنَّمَا الَّذِينَ ضُرِبَ مِنْ مَتَاجِرِهِمْ \* إِنَّ وَاضِبُوا رَبُّوهُ أَوْ أَهْمَلُوا خَسِرُوا<sup>(300)</sup>

أمّا ميخائيل نعيمة، فإنّه ينحو في مذهبه منحى جبران عينه، حتى ليكرر أقواله في بعض الأحيان؛ ولكنّه لم يكن يحمل على رجال الدين حملات جبران العنيفة، وإذا اطلعنا على كتابه «المراحل» نجد فيه خلاصة لفلسفته الدينية المتحررة.

وإذا بحثنا عن الحرية الدينية لدى أبي ماضي، وجدناها مثلها أيضاً من حيث الحرية الفكرية التي لا تؤمن بمذهب يقيم الحدود والفوارق بين الإنسان والإنسان، بل يدعو إلى التسامح والتسامي في العقيدة، وإلى التشبه بالطبيعة التي لا مذاهب فيها ولا طوائف؛ فيقول في قصيدته «كتابي»:

قَدِينِي كَدِينِ الرُّوضِ يَعْْبُقُ بِالشَّذَا \* وَلَوْ لَمْ يَكُنْ فِيهِ سِوَى اللَّصِّ مُنْسَلَا  
فَلَيْسَتْ تَحُومُ الْمَالِكِيَّةُ تَحُومَهُ \* وَإِنَّ لَهُ إِنْ يَعْلَمُوا غَيْرَهُمْ أَهْلَا<sup>(301)</sup>

ولعل تأثر شعراء الرابطة القلمية بالكتاب المقدس هو الذي جعلهم يهتمون بقضايا إنسانية عامة دون الاهتمام بالجزئيات اليومية، كعلاقة الإنسان بأخيه الإنسان، ولكن تأثرهم بالكتاب المقدس لم يدفعهم إلى التعصب، ولا سيما بعد إطلاعهم على الديانات الأخرى، التي زادتهم إيماناً بحرية الدين، وما دامت تصب في مجرى واحد في نهاية المطاف<sup>(302)</sup>.

كما أنّ التعصب الديني يتنافى مع نزعتهم الإنسانية، وهكذا دعا شعراء الرابطة إلى التسامح الديني، ووحدة الأديان؛ لذلك قال عميدهم جبران: «أنت أخي، وأنا أحبك، أحبك ساجداً في مسجدك، وراكعاً في هيكلك، ومصلياً في كنيستك»<sup>(303)</sup>. فأَيُّ تسامح أشد من هذا؟ وأيُّ إنسانية أعمق من تلك؟

ولا نزعم أنّنا في هذا البحث قد تناولنا كل العناصر في شعر شعراء الرابطة، فهناك الكثير منها؛ إلّا أنّنا حاولنا تناول أبرزها وأهمها وأرجأنا موضوع النزعة الإنسانية لتناوله في موضعه من هذا الكتاب الذي خصص لذلك.

(300) جبران خليل جبران، المجموعة الكاملة، جمع وتقديم أنطوان القوّال، ص 22.

(301) ديوان إيليا أبو ماضي، تحقيق الدكتور غفيف نايف حاطوم، ص 348.

(302) فصل سالم العيسى، النزعة الإنسانية في شعر الرابطة القلمية، ص 53.

(303) جبران خليل جبران، المجموعة الكاملة، ص 347.

## الفصل الثالث

# مفهوم النزعة الإنسانية

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول

النزعة الإنسانية، تعريفها ومفهومها

المبحث الثاني

النزعة الإنسانية في الأدب العربي

المبحث الثالث

مفهوم النزعة الإنسانية لدى المهجريين

## المبحث الأول

### النزعة الإنسانية، تعريفها ومفهومها

عندما نقول «النزعة الإنسانية»، فإننا أمام لفظتين:

أولهما: «النزعة»

لم يرد في معجمي «لسان العرب» و «القاموس المحيط» لفظة «النزعة» (بتسكين الزاي)، وقد ورد في لسان العرب: نَزَعَ الشيءَ يَنْزَعُهُ نَزْعاً فهو مَنْزُوعٌ ونَزِيعٌ، وفي باب نَزَعَ ورد أيضاً: نازعتني نفسي إلى هواها نزاعاً، غالبتني ونزعتها أنا: غلبتها، ويقال للإنسان إذا هوى شيئاً ونازعته نفسه إليه: هو يَنْزَعُ نِزَاعاً، ومنه: نَزَعَ إلى أهله، والبعير إلى وطنه يَنْزَعُ نِزَاعاً ونُزُوعاً: حنّ واشتاق، وهو نَزُوعٌ، والجمع: نَزْعٌ. والنُّزاع: الغرياء، وفي الحديث «طوبى للغرباء»<sup>(304)</sup>، قيل مَنْ هم يا رسول الله؟ قال: النُّزاعُ مِنَ القبائل، وهو الذي نَزَعَ عن أهله وعشيرته، أي بُعد وغاب، وقيل: لأنه نَزَعَ إلى وطنه أي ينجذب ويميل، والمراد الأول، أي طوبى للمهاجرين الذين هجروا أوطانهم في الله تعالى، ونَزَعُوا إلى عرق كريم<sup>(305)</sup>.

وجاء في تاج العروس للزبيدي: وَمِنَ المَجاز: نَزَعَ الغَريبُ إلى أهله نَزَاعَةً كسحابة، ونَزاعاً بالكسر، ونُزُوعاً بالضم: أي حنّ واشتاق، ومنه حديث بدء الوحي: «قَبْلَ أَنْ يَنْزَعَ إلى أَهْلِهِ»<sup>(306)</sup>، وقالوا: نُزُوعٌ والجمع نَزْعٌ، يقال نَزَعَ الصبي نُزُوعاً: انتهى عنها وكف، وَمِنَ المَجاز: نَزَعَ أباه، ونَزَعَ إليه إذا أشبهه، وفي الأساس يقال للمرء إذا أشبه أعمامه أو أخواله نَزَعَهُمْ ونَزَعُوهُ ونَزَعَ إليهم، ونَزَعَ إلى أبيه في الشبه: أي ذهب<sup>(307)</sup>.

وعرفها معن زيادة في موسوعته الفلسفية العربية، بأنّه يقال: نَزَعَ إلى الشيء إذا هوى الإنسان شيئاً، ونازَعَتْه نفسه إليه، ورغب فيه، وتجمع: نَزَعَاتٌ بمعنى ميول ورغبات<sup>(308)</sup>.

ومما سبق نلاحظ أنّ المعاني اللغوية التي تشير إلى مصطلح «النزعة» - وبالرغم من كثرتها- تجتمع في معنى مطلق وهو الميل إلى الشيء والانجذاب نحوه.

(304) ابن منظور، لسان العرب، ط4، 1994، دار صادر، بيروت، لبنان، ص150.

(305) ابن رجب الحنبلي، غرّة الإسلام، تحقيق أحمد السرباطي، ط1، 4591، دار الكتاب العربي، ص46.

(306) ابن الملقن، التوضيح لشرح الجامع الصحيح ط1، 8002، وزارة الأوقاف، قطر، ص181.

(307) محمد بن مرتضى الزبيدي، تاج العروس في جواهر القاموس، ج5، (د.ط.)، دار مكتبة الحياة، (د.ت.)، ص035.

(308) فصل سالم العيسى، النزعة الإنسانية في شعر الرابطة القلمية، ص76.



وتؤخذ كلمة «نَزْعَة» في المصطلحات الفلسفية العربية للدلالة على المعنى الفكري، وهي مقابلة للاحققة الإنجليزية Jsm<sup>(309)</sup>؛ ونجد أن معظم المعاجم والموسوعات الأدبية، تطرقت إلى لفظة «النَزْعَة» موصوفة بكلمات أخرى وتحمل دلالات معينة، ومن ذلك: «النَزْعَة الإنسانية» و «النَزْعَة الجمالية» و «النَزْعَة البدائية» وغيرها من النَزْعَات الأخرى<sup>(310)</sup>.

### ثانيها: الإنسانية

عرّف ابن منظور في معجمه «لسان العرب»: «الإنسان» على أنه معروف، أي أننا لسنا بحاجة لدليل عليه بسبب معرفته للجميع. و «الإنسان» أصله «إنسيان» لأنّ العرب قاطبة قالوا في تصغيره «أنيسياناً» فدلّت الياء الأخيرة على الياء في تكبيره، إلّا أنّهم حذفوها لما كثّر القول عنها في كلامهم<sup>(311)</sup>.

وجاء أيضاً في «لسان العرب» لابن منظور: والأُنْسُ: خلاف الوحشية، وهو مصدر قولك أُنْسْتُ به، أُنْساً وأُنْسَةً<sup>(312)</sup>، وفي ثانيا التعريف يذكر ابن منظور بأنّ لفظة «إنسان» تقال للمرأة، فلا يصح أن يقال لها: إنسانة. ويذكر أحمد النعيمي في كتابه «الآفاق الإنسانية في الأدب والفكر»: «أنّ لفظة «إنسانة» من المفردات المولدة»<sup>(313)</sup>.

ويذهب ابن منظور إلى أنّ العرب قاطبة تقول: الإنسان، إلّا طيئاً، فهم يجعلون بدل النون ياء، معتمداً في ذلك على روايتين متفقتين؛ الأولى للحَيَّاني والذي يذكر أنّ قبيلة «طيئ» تقول: إيساناً بدل إنساناً، والثانية للفراء ويقول فيها: «العرب جميعاً يقولون الإنسان إلّا طيئاً، فإنّهم يجعلون مكان النون ياء، أي: إيسان وجمعها: إياسين<sup>(314)</sup>؛ ومن ذلك قول جرير الطائي:

فَيَا لَيْتَنِي مِنْ بَعْدِ مَا طَافَ أَهْلُهَا \* هَلَكْتُ وَلَمْ أَسْمَعْ بِهَا صَوْتِ إِيْسَانٍ<sup>(315)</sup>

ونلاحظ أنّ هذه اللُّغة ليس لها نصيب من التداول في لغتنا العربية اليوم في معظم البلاد العربية أو غيرها من البلدان، وأنّ اللُّغة المتداولة للكلمة اليوم هي «إنسان»، وأنّها وردت في القرآن الكريم «إنسان» ولم ترد «إنسيان» قال تعالى في سورة الإنسان: {هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئاً مَّذْكُوراً} <sup>(316)</sup>.

(309) المرجع السابق، ص 67.

(310) علي بن محمد الجرجاني، التعريفات، ط3، 2009، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ص 84.

(311) ابن منظور، لسان العرب، ج 6، ط4، 1994، دار صادر، بيروت، لبنان، ص 10.

(312) المرجع السابق، ص 233.

(313) أحمد حمد النعيمي، الآفاق الإنسانية في الأدب والفكر، (د.ط)، 2008، دار اليازوري، عمان، الأردن، ص 17.

(314) ابن منظور، لسان العرب، ج 6، دار صادر، ط4، 1994، بيروت، لبنان، ص 10.

(315) محمد مرتضى الزبيدي، تاج العروس، تحقيق، علي شيري، دار الفكر للنشر، ج، 1994، سوريا، ص 194.

(316) القرآن الكريم، سورة الإنسان، الآية 1.

وجاء في تاج العروس للزبيدي قولاً لمحمد بن عرفة الواسطي معللاً سبب تسمية الإنسان قائلاً: «سمي الأنسيون، لأنهم يؤنسون، أي: يرون، وسمي الجنّ جنّاً، لأنهم مجنونون عن رؤية الناس، متوارون»<sup>(317)</sup>.

وجاء في «المخصص» لابن سيده: «الإنسان: لفظ يقع الواحد والجمع والمذكر والمؤنث»<sup>(318)</sup>، وفي المعجم الوسيط «الإنسان» هو الكائن الحي المفكر، والجمع: إناسي (أصله أناسين)، وإنسان العين: ناظرها، وإنسان السيف والسهم: حدّهما<sup>(319)</sup>.

وفي أقرب الموارد الإنسان: البشر أو آدم وذريته<sup>(320)</sup>، وروي عن ابن عباس رضي الله عنهما أنّه قال: «إنّما سمي الإنسان إنساناً، لأنّه عهد إليه فنسي»<sup>(321)</sup>.

أمّا لفظة «الإنسانية» لم يعثر الباحث في معظم المعاجم اللغوية القديمة على تعريف لغوي محدد لها - وإن وجد فهو مختصر - ونجد أنّ قاموس «محيط المحيط» لبطرس البستاني أوّل معجم ذكر فيه لفظة «الإنسانية»، وأوردها بعده معجم «أقرب الموارد» لسعيد الخوري الشرتوني، ثم أوردها «المنجد» للأب لويس المعلوف، واتفقت كل تلك المعاجم على أنّ الإنسانية: ما اختص به الإنسان، وكثير استعمالها للمحامد كالجود وكرم الأخلاق<sup>(322)</sup>.

وجاء في المعجم الوسيط الذي أصدره مجمع اللغة العربية، الإنسانية: خلاف البهيمية وهي جملة الصفات التي تميز الإنسان؛ أو جملة أفراد النوع البشري التي تصدق عليها هذه الصفات<sup>(323)</sup>.

وإذا تجاوزنا المعنى اللغوي إلى المعنى الاصطلاحي للفظ «الإنسانية»، وجدنا العديد من التعريفات التي لا حصر لها، تقول الدكتورة عزيزة مريدن: «ليس من السهل التوصل أو الركون إلى تعريف واحد للإنسانية، أو مفهوم دقيق ثابت يجمع صفاتها كلها، ويحيط بمضمونها الواسع، وجوانبها المتعددة، والبحث في الإنسانية محفوف بالصعوبات بقدر ما هو شيق وظريف، لأنّ هذه الكلمة مشتقة في الأصل من الإنسان، فحينما نتكلم عن الإنسانية، فإنّما نتكلم عن كل ما يمت بصلة بالإنسان»<sup>(324)</sup>.

(317) تاج العروس، مرجع سابق، ص 99.

(318) ابن سيده، المخصص، ج 1، (د.ط)، دار الكتب العلمية، بيروت، (د.ت)، ص 15.

(319) المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، ج 1، (د.ط)، دار إحياء التراث العربي، القاهرة، 1960، ص 30.

(320) سعيد الخوري الشرتوني، أقرب الموارد في فصح العربية والشوارد، ج 1، مكتبة لبنان، بيروت، (د.ت)، ص 10.

(321) لسان العرب، ص 11.

(322) ينظر: المنجد في اللغة والأدب والعلوم (د.ط)، للأب لويس المعلوف، مادة (أنس)، وينظر: أقرب الموارد في فصح العربية

والشوارد (1992) لسعيد الخوري الشرتوني، وينظر: محيط المحيط (1977)، لبطرس البستاني

(323) المعجم الوسيط، ج 1، مجمع اللغة العربية، ط 2، دار الأمواج، بيروت، 1987، باب " أنس " .

(324) عزيزة مريدن، القومية والإنسانية، (د.ط)، 1966، الدار القومية، القاهرة، مصر، ص 476.

والمدقق في كلمة «الإنسانية» يدرك أنها مصدر صناعي اصطلح عليه حديثاً للدلالة على ما يقابله عند الغربيين من لفظ (Humanity)؛ ومعاجمنا اللغوية القديمة، لم تذكر كلمة الإنسانية، على الرغم من اشتغالها على كلمة «إنسان» بنحو ثمان ألف لفظ»<sup>(325)</sup>.

يقول عيسى الناعوري في تعريف الإنسانية: «نشر المبادئ السامية والمثل العليا بين الناس، بالدعوة إلى الإخاء الإنساني العام ومحاربة النظم التي تباعد بين الإنسان وأخيه الإنسان، والعمل على خلق مجتمع إنساني أمثل يسوده العدل والرحمة والمحبة الصادقة»<sup>(326)</sup>.

وتقول ثريا عبد الفتاح: «الإنسانية عاطفة سامية تربطنا بكل أفراد النوع الإنساني، وتغرس في نفوسنا الحنان، ولا فرق فيها بالجنسيات والأديان والألوان، لأنها عاطفة إنسانية تجمع تحت جناحها كل المذاهب والأديان والأوطان والممالك، ونشر سحائب الرضوان»<sup>(327)</sup>.

وقد عرض لها الأدباء والنقاد، فها هو شوقي ضيف يقول: «ما أشبه الإنسانية بالتصوف، فكلاهما حلم وخيال، يحلم الصوفي بربه، ويحلم الإنساني بعالم لا يمكن أن يراه، ومع ذلك فهو يكثر من التفكير فيه والتعلق به متى يظنه حقيقة من الممكن أن يقع تحت بصره، فما يزال يهيب الناس والأمم أن يقفوا ليتأملوا معه، فيبصروا العالم الحق، ويفروا إليه من عالمهم عالم الآلة والشر»<sup>(328)</sup>.

وقد ربطت الدكتورة عزيزة مريدن الإنسانية بالقومية عندما عرفت الإنسانية، فتقول: «علنا نفتح أبواب الإنسانية بمفتاح القومية ومَن فقد قوميته فقد إنسانيته، إلا انطلاقاً من القومية»<sup>(329)</sup>.

أمّا الإنسانية في المجال الأدبي عموماً فيعرفها الدكتور مفيد قميحة بقوله: «هي اتجاه عام شامل، لا يختص بها مذهب أدبي معين دون سواه، فهي كالأدب وليدة العواطف الإنسانية والعقل الإنساني، وأقرب المذاهب إليها أكثرها قرباً من الإنسان وأشدّها اعتناقاً له واهتماماً بقضاياها»<sup>(330)</sup>.

(325) فوزي يوسف إبراهيم، النزعة الإنسانية في الشعر العربي الحديث، ص 183.

(326) عيسى الناعوري، إيليا أبو ماضي رسول الشعر العربي، ط بيروت، 1958، ص 36.

(327) ثريا عبد الفتاح، القيم الروحية في الشعر العربي، ط 1، 1950، دار الكتاب اللبناني، بيروت، لبنان، ص 1.

(328) شوقي ضيف، دراسات في الشعر العربي المعاصر، ط 2، 1959، دار المعارف، مصر، ص 59.

(329) عزيزة مريدن، القومية والإنسانية، ط 1، 1966، الدار القومية، القاهرة، مصر، ص 476.

(330) مفيد قميحة، الاتجاه الإنساني في الشعر المعاصر، ط 1، 1981، دار الآفاق، بيروت، لبنان، ص 51.

إنَّ أكثر الأدباء قد جسّدوا الإنسانية وصوروها في شعرهم، ووسعوا آفاقها؛ وقد ظلت على يد علماء اللُّغة والمعاجم، ولكن الله عوضها خيراً على يد الشعراء الذين وسّعوا آفاقها، فأحالوها إلى معاني رفيعة، وأهداف سامية، ولم يتبادلوها بالتعريف بقدر ما تناولوا آثارها في الحياة ومظاهرها في المجتمع، فإنَّ الشعراء عادة لا يهتمون بالتعريفات بقدر ما يهتمون بالأهداف والغايات<sup>(331)</sup>.

وقد ذكر العقاد أنَّ: «الإنسانية من أسلافها إلى أعقابها أسرة واحدة، نسبها واحد وإلهها واحد، خيرها مَنْ عمل حسناً، واتقى سيئاً، وصدق النية فيما أحسنه واتقاه»<sup>(7)</sup>.

ومن تلك المعاني والتعريفات للفظـة «الإنسانية»، نلاحظ أنَّ لفظـة الإنسانية بمفهومها العام رسالة عالمية ترتبط بالأخلاق ولا تحدّها أي حدود، ولا ترتبط بجنس أو نوع أو دين أو لون، فهي دعوة للمحبة والسلام تنمّي داخل الإنسان الخير، وتتعلّق به أينما سار.

وإذا حاولنا أن نقف على المفهوم العام لمصطلح «النزعة الإنسانية» لوجدنا العديد من التعريفات والمفاهيم، كل منها يرتبط بمذهب وعصر وتوجه معين؛ ولكنّها تلتقي جميعها في أنّها تحقيق الإنسان لقواه وقدراته الخلاقة واعتبار السعادة الإنسانية غاية في ذاتها لا تتطلب أي تبريرات خارج الإنسان، وأنَّ على الإنسان أن يوظف قواه لتحقيق تلك الغاية<sup>(332)</sup>.

أولاً- النزعة الإنسانية ظهرت في الثقافة الغربية في أوائل القرن التاسع عشر، حيث استعملها أحد علماء التربية الألمان وكان يقصد من خلالها في البداية الدلالة على نظام تعليمي وتربوي، ومن ثمّ تحول معنى النزعة الإنسانية إلى الدلالة على مشروع ثقافي تاريخي بهدف الاستفادة من ثقافات بشرية غنية، ومن تجارب بشرية واقعية وغيرها<sup>(333)</sup>. وإذا طالعنا مفهوم «النزعة الإنسانية» في الفكر الغربي، نجد أنَّ بعض الدارسين يرون أنَّ النزعة الإنسانية عند الغرب تتجسّد فيما يراه «رالف بري» في كتابه «إنسانية الإنسان»، إذ يقول: «مذهب النزعة الإنسانية رسالة أوحركة ثقافية، أو برنامج تعليمي نشأ في أوروبا في القرن الثاني عشر، وجعل الإنسان هدفاً ومثالاً، فالإنسان هدف يستحق الإعجاب»<sup>(334)</sup>. ومن ناحية أخرى هناك مَنْ يرى أنَّ النزعة

(331) محمد عبد الغني، جوانب مضيئة من الشعر العربي، ط1، 1972، مكتبة الأنجلو مصرية، القاهرة، ص41 - 7 عباس

محمود العقاد، الإنسان في القرآن، ط1، 2012، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، مصر، ص19.

(332) محمد عواد، النزعة الإنسانية في الشعر الأديني المعاصر، رسالة دكتوراه، جامعة مؤتة، 2015، ص39

(333) موت الإنسان في الخطاب الفلسفي، عبد الرازق الداوي، (د.ط)، 1992، دار الطليعة للنشر، بيروت، ص189.

(334) رالف بارتون بري، إنسانية الإنسان، ترجمة سلمى الجيوسي، ط1، 1989، مكتبة المعارف، بيروت، ص12.

الإنسانية تمثل رؤية فلسفية مستقلة بذاتها، مثل «كورليس لامانت» في كتابه «النزعة الإنسانية كفلسفة»، ويذهب لامانت إلى أن ثمة تاريخاً طويلاً وبارزاً للنزعة الإنسانية، تمتد جذوره زمنياً في الماضي، ومن حيث العمق فإنّها تتخلل حياة الحضارات التي كانت سامقة في زمنها، وكان لها ممثلون بارزون في كل الأمم العظيمة على مستوى العالم<sup>(335)</sup>.

وقد بدأ الفلاسفة منذ عهد قديم بالتفكير بالإنسان وإعطائه القيمة التي يستحقها، فرأى «أرسطو طاليس» أن الإنسانية أفق، والإنسان متحرك إلى أفقه بالطبع؛ وتولى الفلاسفة والمفكرون فيما بعد هذا النهج في التفكير في مكانة الإنسان في العالم، فيرى المفكر الفرنسي «دي رجمون» أن المذهب الإنساني يدل على نظرة عامة للحياة: السياسية، والاقتصادية، والخلقية؛ تدور على الاعتقاد بأن الإنسان يتحقق بالجهود الإنسانية وحده<sup>(336)</sup>.

ويرى عالم الاجتماع الفيلسوف الفرنسي «أوغست كونت»، في نظريته للنزعة الإنسانية: «هي كائن واحد واحد يتصف بالخلود، ولا يمكن ذلك إلا إذا حصل اندماج عقليّ وخلقّي، وبالتالي فإنّ على هؤلاء الأفراد، أن يكونوا قد استطاعوا إخضاع الوظائف العضوية للوظائف العليا، فيتفوق العقل على الغريزة، والغيرية على الأنانية».

ثانياً- إذا طالعنا مفهوم «النزعة الإنسانية» في التراث العربي القديم والحديث، لوجدنا الإنسانية هي المعنى الكلي المجرد، الدال على ما تقوم به ماهية الإنسان، فابن سينا - مثلاً - يقول: «مثل الإنسانية فإنّها في نفسها حقيقة ما، وماهية، ليس إنّها موجودة في الأعيان، أو موجودة في الأذهان مقوماً لها، بل مضافاً إليها، ولو كان مقوماً لها، لاستحال أن يتمثل معناها في النفس، خالياً عما هو جزؤها المقوم»<sup>(337)</sup>. وأبو حيان التوحيدي في إحدى مقابساته يقول: «الإنسانية أفق، والإنسان متحرك إلى أفقه بالطبع، ودائر على مركزه، إلا أنّه مرموق بطبيعته، ملحوظ بأخلاق بهيمية، ومن رفع عصاه عن نفسه، وألقى حبله، وسيب هواه في مرعاه، ولم يضبط نفسه عما تدعو إليه بطبعه، وكان لين العريكة لاتباع الشهوات الرديئة، فقد خرج عن أفقه، وصار إلى أرذل من البهيمية لسوء إثاره»<sup>(338)</sup>.

أمّا المفكر الجزائري محمد أركون، فيتحدث عن النزعة الإنسانية (الأنسنة) على اعتبار أنّها موقف نضالي ضد نوعين من العنف يمارسان ضد الإنسان على مدى

(335) 91PP9491YRARBIL LACIHPOSOLIHP , TNAMAL SSILROC : YHPOSOLIHP A SA MSINAMUH

(336) محمد إبراهيم حور، النزعة الإنسانية في الشعر العربي القديم، ط2، 1985، مكتبة المكتبة، العين، ص19.

(337) محمد إبراهيم حور، النزعة الإنسانية في الشعر العربي القديم، ص19.

(338) صالح البديوي، النزعة الإنسانية في شعر صدقي الزهاوي، رسالة ماجستير، جامعة اليرموك، الأردن، 2000، ص48.

تاريخه: عنف مقدس يخلع المشروعية على ذاته من خلال التعاليم الإلهية للأديان، وعنف مادي أو دنيوي محض نزعت عنه أغلال التقديس، وبخاصة في المجتمعات التي شاعت فيها نزعة التشكيك بكل شيء<sup>(339)</sup>؛ ثُمَّ يصل أركون إلى النقطة التي تعيننا هنا في المحل الأول حين يقول: «إنَّ الحسَّ الإنساني موجود في جميع المجتمعات البشرية وإنَّ يكن بدرجات متفاوتة<sup>(340)</sup>».

ويرى أبرز أساتذة الفلسفة العرب في القرن العشرين «عبد الرحمن بدوي»، أنَّ النزعة الإنسانية هي: «الْعُود المحوري إلى الوجود الروحي الأصيل وأنَّه لا بد لكل حضارة ظفرت بتمام دورتها أن تقوِّم روحها بهذا الفعل الشعوري الحاسم<sup>(341)</sup>».

إنَّ النزعة الإنسانية بدأت بإعلان نزول آدم عليه السلام إلى الأرض، وبالتالي فإنها ترمز إلى بداية الحرية البشرية، وقد توالى الرسل وتتابع الأنبياء وأنزلت الكتب وكلها تدور حول تحقيق إنسانية الإنسان وما يحقق له السعادة في الدنيا والآخرة؛ وإنَّ استقرار أحكام الديانات السماوية كلها وعلى رأسها الإسلام تؤكد أنَّ الهدف منها هو الإنسان، ومن أجل الإنسان، وتتجلى النزعة الإنسانية المطلقة للتشريع الإسلامي حينما جعل الإنسان هو الغاية المنشودة لكل ما يجري على الأرض، والدليل على مكانة الإنسان في القرآن هو تكريمه بالعلم والعقل<sup>(342)</sup>، يقول تعالى: {وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا<sup>(343)</sup>}. وقد تبوأ الإنسان مكانة سنّية في القرآن الكريم، فقد وردت كلمة "الإنسان" في كتاب الله العظيم - القرآن الكريم - خمساً وستين مرة، وكلمة "الإنس" ثمانين عشرة مرة؛ وبين الله تعالى مكانة الإنسان وأنَّه مكرم عند الله؛ مسلمه وكافره.

ومن خلال التمعن في تلك المفاهيم لمصطلح «النزعة الإنسانية» نلاحظ أنَّ النزعة الإنسانية هي ليست فلسفة مغلقة، بل هي رؤية شخصية متنوعة الجوانب في عدة مجالات منها: الاجتماعي، والأدبي، والسياسي، وأنَّها اتجاه عام تشترك فيه العديد من المذاهب وتهتم بجميع جوانب الطبيعة الإنسانية، وأنَّها نظرة تقدمية في الحياة تؤكد قدرة الإنسان ومسؤوليته في قيادة حياة أخلاقية تحقق المصالح الشخصية والعامة، وهي نظرة واسعة إلى الحياة، وإلى الوجود، وعلى الأخص إلى المجتمع البشري،

(339) محمد أركون، نزعة الأنسنة في الفكر العربي، ترجمة: هاشم صالح، ص 41

(340) المرجع السابق، ص 61.

(341) عبد الرحمن بدوي، الإنسانية الوجودية في الفكر العربي، ط 1، 7491، دار النهضة المصرية، ص 12.

(342) هشام جعيط، أزمة الثقافة الإسلامية، ط 3، 1102، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، ص 05.

(343) القرآن الكريم، سورة الإسراء، آية 07.

وهي الحلم الأكبر الذي يراود أخيلة المفكرين والشعراء والفلاسفة، وكل ذي قلب كبير، وضمير حي، أو هي بكلمة أخرى: المحبة لكل ما في الوجود، بغير تفضيل أو تفریق<sup>(344)</sup>.

---

(344) عيسى الناعوري، أدب المهجر، ص 88.

## المبحث الثاني

### النزعة الإنسانية في الأدب العربي

مَن ينظر في الأدب العربي باحثاً عن النزعة الإنسانية فيه قديماً وحديثاً، يجد أن هناك عدداً كبيراً من الأدباء والشعراء الذين صدح صوتهم بالقيم السامية، والقيم الروحية الأصيلة، والصفات النبيلة، وذلك لأنَّ الأدباء والشعراء في كل عصر يعدون من النخب الطليعية التي لا بدَّ أن تدلي بدلوها في قضايا المجتمع.

وما من شك أنَّ العربي ابتداءً من العصر الجاهلي كان يتطلع إلى كثير مما يخلده من المحامد ومكارم الأخلاق؛ ثم جاء الإسلام لينهض بالإنسان جسداً وفكراً وروحاً، فكان مبعث نهضة فكرية عظيمة شاركت في تجارب البشر الفلسفية مشاركة فاعلة.

وإذا نظر فيما وصل إلينا من الأدب الجاهلي وجد فيه مادة وفيرة تنضوي تحت مفهوم «النزعة الإنسانية»، فإذا تأملنا مثلاً بكاء الأطلال ووصف الرحلة والراحلة ووصف الحروب وغيرها، نلاحظ أنها رموزاً لمعاني إنسانية تحمل في ثناياها قيماً رائعة، فهذا هو عنتر بن شداد يعبر عن إقدامه وعفته بقوله:

يُخْبِرُكَ مَنْ شَهِدَ الْوَقِيعَةَ أَنَّنِي \* أَغْشَى الْوَعَى وَأَعْفُ عِنْدَ الْمَغْنَمِ<sup>(345)</sup>  
ويقول أيضاً مفتخراً بنسبه وفروسيته :

إِنِّي أَمْرٌ مِنْ خَيْرِ عَبَسَ مَنْصَباً \* شَطْرِي وَأَحْمِي سَائِرِي بِالْمَنْصَلِ<sup>(346)</sup>  
وهناك من دعاة السلم كزهير بن أبي سُلمى الذي ينظر إلى الحرب نظرة مغايرة لما هو شائع في عصره، فهي تطحن الناس وتقتلهم، وهم الذين يوقدون نارها أو يطفئونها، فيقول:

وَمَا الْحَرْبُ إِلَّا مَا عَلِمْتُمْ وَدُقْتُمْ \* وَمَا هُوَ عَنْهَا بِالْحَدِيثِ الْمُرْجَمِ  
مَتَى تَبْعُثُوهَا تَبْعُثُوهَا دَمِيمَةً \* وَتُضْرِي إِذَا ضَرَيْتُمُوهَا فَتَضْرِمُ<sup>(347)</sup>

ونجد الشاعر بلعاء بن قيس<sup>(348)</sup> الذي وعى ما ينطوي عليه السلم من عناصر إيجابية ببناءة، وما تحمله الحرب من ويلات مهلكة تدمر الإنسان وجميع مقدراته

(345) - شرح ديوان عنتر بن شداد ، أمين سعيد ، (د.ط.)، المطبعة العربية ، مصر ، (د.ت) ، ص 126.

(346) - المرجع السابق ، ص 811.

(347) - ديوان زهير بن أبي سُلمى ، شرحه وقدم له الأستاذ علي حسن فاعور ، ط1، 1988 ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ص 107

(348) - بلعاء بن قيس بن عبدالله بن يعمر الكتاني ، كان على رأس بني كنانة في معظم حروبهم وغاراتهم وله أخبار في حروب

الفجار ، مات في حروب الفجار . ينظر : معجم الشعراء الجاهليين ، عزيزة فوال ، ط1، 1998 ، دار صادر ، بيروت ، ص 60



حين قال مخاطباً خصمه في كثير من اللين:

دَعَوْتُ أَبَا لَيْلَى إِلَى السَّلَامِ كَيْ يَرَى \* بِرَأْيٍ أَصِيلٍ أَوْ يَوُوءِلْ إِلَى الْحِلْمِ  
دَعَانِي أَشْبُ الْحَرْبَ بَيْنِي وَبَيْنَهُ \* فَقُلْتُ لَهُ: مَهْلًا هَلُمَّ إِلَى السَّلَامِ<sup>(349)</sup>

وقد برزت في الشعر الجاهلي ظاهرة احترام الخصم وتقدير إنسانيته ومكانته بغض النظر عن العداوة القائمة ، وهذا ما أطلق عليه اسم «المنصفات» وهي القصائد التي يشيد فيها الشاعر بقوة الخصم ومنزلته بعيداً عن منازع الاستعلاء والازدراء والتشفي، فعمرو بن كلثوم -مثلاً - ينظر إلى فريقَي القتال المحتربين نظرة مساواة في قوله:

كَأَنَّ ثِيَابَنَا مِنَّا وَمِنْهُمْ \* خُضِبْنَ بِأَرْجُوانٍ أَوْ طُيْنَا  
كَأَنَّ سَيُوفَنَا فِينَا وَفِيهِمْ \* مَخَارِيقُ بِأَيْدِي لَاعِبِينَ<sup>(350)</sup>

ونجد عنتر بن شداد العبسي ينظر إلى خصمه على أنه كريم وسيد في قومه إذ يقول:

فَشَكَنْتُ بِالرُّمَحِ الْأَصَمِّ ثِيَابَهُ \* لَيْسَ الْكَرِيمُ عَلَى الْقَنَا بِمُحَرَّمٍ<sup>(351)</sup>

وعلى الرغم من روح الثأر القبلية القوية التي سادت في العصر الجاهلي، فإن هناك حالات من الحلم التي تركز على بعد إنساني نبيل، كالذي - مثلاً - فعله الحارث بن وعلة الذُهلي<sup>(352)</sup>، عندما قتل أحد أبناء عمومته أخاه، وجيء بالجثة والقاتل ليقبض منه، فبرز عنده الحس الإنساني في أسمى معانيه، وأدرك أنه إن قتل القاتل فسيزداد خسارة بفقد قريب آخر؛ فاختار الصفح، وأنشد قائلاً:

قَوْمِي هُمْ قَتَلُوا أُمِيمَ أَخِي \* فَإِذَا رَمَيْتُ يُصِيبُنِي سَهْمِي  
فَلَيْنَ عَقُوتٌ لِأَعْفُونَ جَلَاءُ \* وَلَيْنَ سَطُوتٌ لِأَوْهَنْنَ عَظْمِي<sup>(353)</sup>

فقد وصل إلينا الشعر العربي في هذا الجانب تام النضوج، مكللاً بتاج امرئ القيس، وحامل لوائهم، ومحكماً رصيناً على لسان الشنفرى ناصر الإنسان والمرأة والحرية. والقيم الإنسانية التي تغنى بها شعراء الجاهلية كثيرة، وهي تصور المنزع

(349) صدر الدين البصري، الحماسة البصرية، ج 1، ط 3، عالم الكتب، لبنان، 1983، ص 63.

(350) الحسين بن أحمد الزوزني، شرح المعلقات العشر، (د.ط.)، 1983، دار مكتبة الحياة، بيروت، ص 211.

(351) المرجع السابق، ص 250.

(352) الحارث بن وعلة ينتهي نسبه إلى جرم بن الريان، وهو شاعر جاهلي، وكان هو وأبوه من فرسان قضاة وأمجادها

وأعلامها وشعرائها. ينظر: ديوان العرب، موسوعة الشعر العربي، عادل سالم، 1998.

(353) ينظر: ديوان العرب، موسوعة الشعر العربي، عادل سالم، 1998.

الإنساني النبيل الذي كان ينصهر الشاعر في بوتقته ليفوح شعره معطراً بمكارم الأخلاق ونبيل الصفات، ومن ذلك الكرم الذي ارتبط ذكره بشعراء سطعوا في سماء السخاء كالسموئل، وعروة بن الورد، وحاتم الطائي، وغيرهم؛ وأمّا صفة الإباء وإنكار الضيم، وتقديس كرامة النفس وعزتها، فيمكن تلمسها ناصعة في معلقة عمرو بن كلثوم؛ وتلك الصفات الإنسانية تكاد تكون قاسم مشترك بين غالبية الشعراء في العصر الجاهلي، بمن فيهم تلك الفئة من الشعراء التي ظهرت نتيجة معطيات وإفرازات ذلك المجتمع الذي عاشت فيه، وسميت بفئة «الصعاليك» الذين تمردوا على مجتمعهم وثاروا عليه رافضين الظلم والتمييز بين الغني والفقير، والأبيض والأسود؛ وإذا تصفحنا شعرهم لمسنا فيه كثيراً من القيم والمعاني الإنسانية والأخلاق النبيلة، فهاهو السليك يرسم صورة مؤثرة لما تلاقيه خالاته الإماء السود من الضيم والهوان، وهو عاجز لفقره عن أن يفعل من أجلهن شيئاً حتى ليشيب رأسه مما يقاسيه نفسياً من أجلهن<sup>(354)</sup>، إذ يقول:

أَشَابَ الرَّأْسَ أَنِّي كُلَّ يَوْمٍ \* أَرَى فِي خَالَةٍ وَسَطَ الرِّجَالِ  
يَشُقُّ عَلَيَّ أَنْ يَلْقَيْنَ ضَيْمًا \* وَيَعِجُّ عَنْ تَخْلُصِهِنَّ مَالِي<sup>(355)</sup>

وعروة بن الورد يسجل سجاياه وخصاله شعراً خالداً، حين يقول:

قَعِيدُكَ - عَمَرَ اللَّهُ - هَلْ تَعْلَمِينَنِي \* كَرِيمًا إِذَا أَسْوَدَ الْأَنَامِلُ أَزْهَرَا  
صَبُورًا عَلَى رُزْءِ الْمَوَالِي وَحَافِظًا \* لِعِرْضِي حَتَّى يُؤْكَلَ النَّبْتُ أَخْضَرَا  
أَقْبُ وَمِخْمَاصُ الشِّتَاءِ مُرَرًّا \* إِذَا غَبَرَ أَوْلَادُ الْأَذَلَّةِ أُسْفَرَا<sup>(356)</sup>

فهو كريم سخي في ليالي الشتاء الباردة، صائن نفسه ولكرامته من ذل المسألة، وصبور يؤثر غيره على نفسه فيطعم الناس ويظل يعاني قسوة الجوع.

أمّا قُسُ بن ساعدة الإيادي فيتفكر في أمر هذه الحياة ووجود الإنسان ومآله بعد موته، ويعبر عن ذلك في خطبته المشهورة التي ألقاها في «سوق عكاظ» في الجاهلية بقوله: «مَنْ عَاشَ مَاتَ، وَمَنْ فَاتَ مَاتَ، وَكُلُّ مَا هُوَ أَتٍ ...» ثم أنشد:

فِي الذَّاهِبِينَ الْأَوَّلِينَ مِنَ الْقُرُونِ لَنَا بَصَائِرُ  
لَمَّا رَأَيْتُ مَوَارِدًا لِلْمَوْتِ لَيْسَ لَهَا مَصَادِرُ  
وَرَأَيْتُ قَوْمِي نَحْوَهَا تَمْضِي الْأَصَاغِرُ وَالْأَكَابِرُ

(354) يوسف عبد القادر خليف، الشعراء الصعاليك، (د.ط.)، 1959، دار المعارف، القاهرة، ص230.

(355) ديوان السليك بن السليكة، تقديم، د.سعدى الضناوي، ط1، 1994، دار الكتاب العربي، بيروت، ص89.

(356) ديوان عروة بن الورد، تحقيق أسماء أبوبكر محمد، ط1، 1992، دار الكتب العلمية، بيروت، ص66.

## لَا يَرْجِعُ الْمَاضِي وَلَا يَبْقَى مِنَ الْبَاقِيْنَ غَابِرٌ أَيَقْنْتُ أَنِّي لَا مَحَالَةَ حَيْثُ صَارَ الْقَوْمُ صَائِرٍ<sup>(357)</sup>

وفي عصر الإسلام استمرت هذه النزعة وتطورت، واكتسبت مفاهيم جديدة من القيم والتعاليم الإسلامية؛ فالإسلام رَسَخَ تلك المعاني النبيلة والقيم الأصيلة في رحابه، وانصهرت في بوتقة قيمة الإلهية الرفيعة، فالله - عز وجل - يقول في محكم تنزيله: {وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْوَرْدِ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا}<sup>(358)</sup>، وقيمة الإنسان في القرآن الكريم تأتي من إيمانه وطاعته وتقواه، وليس من أي جهة أخرى يقول تعالى: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ»<sup>(359)</sup>؛ وفي الحديث الشريف: عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ رَبَّكُمْ واحدٌ، وَإِنَّ آبَاءَكُمْ واحدٌ، أَلَا لَا فَضْلَ لِعَرَبِيٍّ عَلَى عَجَمِيٍّ، وَلَا لِعَجَمِيٍّ عَلَى عَرَبِيٍّ، وَلَا لأَحْمَرَ عَلَى أَسْوَدَ، وَلَا لأَسْوَدَ عَلَى أَحْمَرَ إِلَّا بِالتَّقْوَى. إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ، أَلَا هَلْ بَلَّغْتُ؟ قالوا: بلى يَا رَسُولَ اللَّهِ قال: فَيُبَلِّغُ الشَّاهِدُ الْغَائِبَ»<sup>(360)</sup>؛ وفي حديث آخر أَنَّ امرأة استحققت عذاب جهنم بعمل واحد ضد الإنسانية، وذلك لربطها قطعة في بيتها ومنعها من تناول أي طعام، كما جاء في الحديث الشريف: «دخلت امرأة النَّارَ فِي هِرَّةٍ رَبَطْتُهَا، فَلَمْ تُطْعَمْهَا، وَلَمْ تَدَعْهَا تَأْكُلْ مِنْ حَشَاشِ الْأَرْضِ»<sup>(361)</sup>.

فالمصادر الإسلامية كلها زاخرة بملامح الإنسانية التي تتمثل في التركيز على الأخلاق الفاضلة والبر والإحسان والكرم ومحبة الآخرين، وإعانة المحتاج، والدعوة إلى نشر الخير وإقامة العدل، وعدم التمييز بين الإنسان، وغيرها من القيم الإنسانية السامية والنبيلة التي دعا إليها الإسلام وعمل على تحقيقها في المجتمع.

وقد غزت تلك المعاني جميعها قلوب الشعراء منذ عصر صدر الدعوة، فكان شعرهم صوتاً للحق ونداءً للإنسانية، بدءاً بالدفاع عن دين الإنسانية والعدل والسلام، فهذا هو علي بن أبي طالب رضي الله عنه، يقول:

إِنَّ الْمَكَارِمَ أَخْلَقَ مُطَهَّرَةً \* فَالَّذِينَ أَوَّلُّهَا وَالْعَقْلُ ثَانِيهَا  
وَالْعِلْمُ ثَالِثُهَا وَالْجِلْمُ رَابِعُهَا \* وَالْجُودُ خَامِسُهَا وَالْعُرْفُ سَادِيهَا

(357) أحمد الربيعي، قس بن ساعدة، حياته، خطبه، شعره، ط1، 1974، مطبعة النعمان، بغداد، ص 295.

(358) القرآن الكريم، سورة الإسراء، الآية 70.

(359) القرآن الكريم، سورة الحجرات، الآية 13.

(360) رواه الألباني، في السلسلة الصحيحة، عن جابر بن عبد الله، الرقم 2700. وينظر: البيهقي في الشعب، 5137.

(361) ينظر: صحيح البخاري، الصفحة أو الرقم 3318.

وَالْبِرُّ سَابِغُهَا وَالصَّبْرُ ثَامِنُهَا \* وَالشُّكْرُ تَاسِغُهَا وَاللَّيْنُ بَاقِيهَا<sup>(362)</sup>

وقد تَهَذَّبَ في عصر الإسلام المدح والهجاء والرتاء والحماسة وسائر أغراض الشعر وموضوعاته بتهذيب الإسلام، وتأدب بأدبه، وذلك لدى معظم الشعراء، فنجد ذو الرمة يعلن أنه لا يمدح للتكسب بل إن مدحه وقفاً على المستحقين من الكرام، فيقول<sup>(363)</sup>:

فَلَمْ أَقْذِفْ لِمُؤْمِنَةٍ حَصَانٍ \* بِحَمْدِ اللَّهِ مُوجِبَةً عَضَالَا  
وَلَمْ أَمْدَحْ لِأَرْضِيَةٍ بِشِعْرِي \* لَيْثِمًا أَنْ يَكُونَ أَصَابَ مَالَا  
وَلَكِنَّ الْكِرَامَ لَهُمْ ثَنَائِي \* فَلَا أَخْزِي إِذَا مَا قِيلَ: قَالَا

وقد سار على هذا النهج الخلفاء الراشدون، ففي وصية الخليفة الأول أبي بكر الصديق رضي الله عنه إلى قائد جيشه أسامة بن زيد، نبّل القيم والمبادئ الإنسانية السامية التي تبين أن الغاية من الحرب سعادة الإنسان والحياة الآمنة لا القتل والتدمير: «لا تخونوا، ولا تغدروا، ولا تمثلوا، لا تقتلوا طفلاً صغيراً، ولا شيخاً كبيراً، ولا امرأة، ولا تعقروا نخلاً ولا تحرقوه، ولا تذبحوا شاة ولا بقرة ولا بعيراً إلا لمأكلة، وسوف تمرّون بأقوام قد فرغوا أنفسهم في الصوامع، فدعوهم وما فرغوا أنفسهم له»<sup>(364)</sup>؛ أما عمر بن الخطاب رضي الله عنه فيكفي أن يشار إليه في موقفين، الأول: تأنيبه لوالي مصر عمرو بن العاص بقوله: «متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحراراً»<sup>(365)</sup>، والثاني: عندما استعطفه «الحطيئة» وهو في السجن، فنجد ملمح إنساني بارز في موقف عمر رضي الله عنه، عندما أطلق سراحه بعد سماع أبيات الحطيئة:

مَاذَا تَقُولُ لِأَفْرَاحٍ بِذِي مَرَخٍ \* زُغِبَ الْحوَاصِلُ لَا مَاءٌ وَلَا شَجَرُ  
أَلْقَيْتَ كَاسِبَهُمْ فِي قَعْرِ مُظْلَمَةٍ \* فَاغْفِرْ عَلَيْكَ سَلَامُ اللَّهِ يَا عُمَرُ<sup>(366)</sup>

ويقصد بالأفراح أولاده في مكان ذي مرخ، وهم جائعون لا ماء ولا طعام لديهم.

هذا وقد شاع وانتشر في العصر الأموي الغزل العذري، وقد كان نتيجة طبيعية لتنظيم وتهذيب العلاقة بين الرجل والمرأة في رحاب الإسلام؛ ويعد هذا النوع من

(362) ديوان الإمام علي بن أبي طالب، شرح د. يوسف فرحات، ط 8، 2002، دار الكتاب العربي، بيروت، ص 122.

(363) ديوان ذي الرمة، ط 2، 1964، المكتب الإعلامي للطباعة والنشر، دمشق، سوريا، ص 527.

(364) محمد رضا، أبو بكر الصديق أول الخلفاء الراشدين، ط 2، 1950، دار إحياء الكتب العربية، مصر، ص 29.

(365) عندما ألقت عمر بن الخطاب رضي الله عنه، أدهم شرقاوي، ط 1، 2017، دار كلمات للنشر والتوزيع، الكويت، ص 7.

(366) ديوان الحطيئة، بشرح أبي الحسن السكري، اعتنى بتصحيحه أحمد بن الأمين الشنقيطي، (د.ط)، مطبعة التقدم، مصر،

(د.ت)، ص 80.

الشعر إنسانياً راقياً، فهو ينظر إلى المرأة نظرة تقدير وإعجاب بالسجايا والخصال الخلقية مترفعاً عن إشارة الغرائز منطلقاً نحو تهذيب العواطف، وقد ذاع صيت الشعراء العذريين في عصر بني أمية من أمثال: جميل بن معمر، وقيس بن الملوح، وقيس بن ذريح، وعروة بن حزام، وغيرهم من الشعراء الذين عزفوا ألحاناً شجية عذبة تلمس السجايا والخصال المعنوية في المحبوبة، وكأنما أضفى الإسلام على المرأة وعلاقتها بالرجل عند هؤلاء الشعراء ضرباً من القدسية أحاطها بهالة من الجلال والوقار؛ فهذا كثير عزة الذي ينجذب بحبائل الفضائل الخلقية التي تميزت بها محبوبته بعيداً عن أي صفة حسية فيصوغ ذلك كلمات خالدة، فيقول:

وَأَعْجَبَنِي يَا عَزَّ مِنْكَ خَلَائِقُ \* كِرَامٌ إِذَا عُدَّ الْخَلَائِقُ أَرْبَعُ  
دُنُوكَ حَتَّى يَذْكَرَ الْجَاهِلُ الصِّبَا \* وَدَفَعَكَ أَسْبَابَ الْمُنَى حِينَ يَطْمَعُ  
وَمِنْهُمْ إِكْرَامُ الْكَرِيمِ وَهَفْوَةٌ \* الْيَتِيمِ وَخَلَاتِ الْمَكَارِمِ تَنْفَعُ<sup>(367)</sup>

ونجد جرير يساوي بين العرب وبين الموالي في نظرة إنسانية بارزة في قوله:

أَبُونَا أَبُو إِسْحَاقَ يَجْمَعُ بَيْنَنَا \* أَبٌ كَانَ مَهْدِيّاً نَبِيّاً مُطَهَّراً  
أَبُونَا خَلِيلُ اللَّهِ وَاللَّهُ رَبُّنَا \* رَضِينَا بِمَا أَعْطَى الْإِلَاهُ وَقَدَّرَا<sup>(368)</sup>

وفي العصر العباسية ازدهر الفكر الفلسفي وانتشرت الفرق التي تستند في توجهها إلى رؤية العقل والمنطق، فأخذت النزعة الإنسانية تحمل أبعاداً جديدة وظواهر متطورة، ولا سيما ما يرى عند الزهاد والمتصوفة أمثال: السهروردي وابن عربي وابن الفارض وغيرهم، وعند إخوان الصفا وأمثالهم؛ كل ذلك إضافة إلى ما كان ظاهراً من قيم إنسانية استمرت مجالاً للمدح والتفاخر، فابن عربي - مثلاً - يقول:

لَقَدْ صَارَ قَلْبِي قَابِلًا كُلَّ صُورَةٍ \* فَمَرَعَى لَغْزَلَانٍ وَدِيرٌ لِرُهْبَانٍ  
أَدِينُ بِدِينِ الْحُبِّ أَنِّي تَوَجَّهْتُ \* رَكَبْتُهِ فَالْحُبُّ دِينِي وَإِيمَانِي<sup>(369)</sup>

فالحب عند ابن عربي، شريعة إنسانية في الحياة، وهو الذي يعيش به الإنسان مهما تعددت وجهاته، وأن قلبه متسع لجميع الناس على اختلافهم ديناً وعرقاً ولوناً. ومع تقدم تلك العصور العباسية نجد أن الشعر الإنساني قد بلغ ذروة تألقه على يد كوكبة من شعرائه من أمثال: بشار بن برد، وابن المعتز، وأبي تمام، والبحري، والمتنبي، وأبي فراس، وابن الرومي، وأبي العلاء المعري، وغيرهم؛ فهذا ابن يسير يصور خوفه على ابنته من ذل اليتيم وجفاء ذوي القربى لها، فيقول:

(367) - ديوان كثير عزة، تقديم مجيد طراد، 3 ط، دار الكتاب العربي، بيروت، 1999، ص 117

(368) - ينظر: كتاب الفصل في تاريخ العرب، جواد علي، ط 4، 2001، دار الساقى، بيروت.

(369) - محمد جواد مغنية، نظرات في التصوف والكرامات، ط 1، 1963، دار المكتبة الأهلية، بيروت، ص 18.

لَوْلَا الْبُنْيَةُ لَمْ أَجْزَعْ مِنَ الْعَدَمِ \* وَلَمْ أَجُوبْ فِي اللَّيَالِي حِنْدِسَ الظُّلَمِ  
وَزَادَنِي رَغْبَةً فِي الْعَيْشِ مَعْرِفَتِي \* ذَلَّ الْيَتِيمَةَ يَجْفُوهَا ذَوُو الرَّحِمِ  
أَخْشَى فُظَاظَةً عَمَّ أَوْ جَفَاءً أَخٍ \* وَكُنْتُ أَخْشَى عَلَيْهَا مِنْ أَدَى الْكَلَمِ<sup>(370)</sup>

إنَّها مشاعر أبوية إنسانية رقيقة يبيِّن عنها الشاعر في كلمات رقيقة تصف مشاعر حانية وعواطف إنسانية صادقة، وما يطوى فيها من الرحمة والبر والحنان. وهناك أبو فراس الذي نجده يصف مشاعر الابن البار بأمه من خلال وصف مشاعره تجاه أمه، تلك المشاعر التي أدت به إلى التنازل عن بعض أخلاقه ليفك أسرهِ إرضاء وإسعاداً لها، فيقول متألماً:

لَوْلَا الْعَجُوزُ بـ«منبج» مَا خِفْتُ أَسْبَابَ الْمَنِيَّةِ

وَلَكَانَ لِي عَمَّا سَأَلْتُ مِنَ الْفِدَا نَفْسُ أَبِيَّةِ

لَكِنْ أَرَدْتُ مُرَادَهَا وَلَوْ أَنْجَذْتُ إِلَى الدَّنِيَّةِ

يَا أُمَّتَا ! لَا تَحْزَنِي وَثَقِي بِفَضْلِ اللَّهِ فِيهِ

يَا أُمَّتَا ! لَا لَا تَيْئَاسِي لِلَّهِ أَلْطَافُ حَفِيَّةِ<sup>(371)</sup>

فأبو فراس يصب في هذه الأبيات سيلاً من العواطف وفيضاً من الإنسانية الرائعة تجاه أمه، فمن أجلها هانت عليه كرامته، فاستجدى الفداء رغبة في إسعادها وتحقيق أملها.

وطرق شعراء العصر العباسي أبواب الصداقة والأصدقاء، والتي هي أحد محاور ومعاني الإنسانية؛ يقول في ذلك دكتور شوقي ضيف في كتابه «تاريخ الأدب العربي المعاصر»: «وقفوا طويلاً عند واجبات الأخوة والصداقة وسبر أخلاقهم قبل اصطفاؤهم...»<sup>(372)</sup>، ومثالاً لذلك الشاعر بشار بن برد الذي يتناول واجبات الأخوة والصداقة بأسلوب عذب رقيق مفعم بالود والإخلاص، في قوله:

إِذَا كُنْتَ فِي كُلِّ الْأُمُورِ مُعَاتِباً \* صَدِيقَكَ لَمْ تَلَقِ الَّذِي لَا تَعَاتِبُهُ

فَعِشْ وَاحِداً أَوْ صِلْ أَخَاكَ فَإِنَّهُ \* مُفَارِقُ ذَنْبٍ مَرَّةٍ وَمَجَانِبُهُ<sup>(373)</sup>

فهو يحث على التجاوز عن أخطاء الصديق، والبعد عن معاتبته في كل الأخطاء، فالإنسان بطبعه خطأ، وإذا لم يكن التسامح شعاراً للصداقات فستكون الوحدة

(370) - شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي، العصر العباسي الأول، ط7، 1995، دار المعارف، القاهرة، ص187.

(371) - ديوان أبي فراس الحمداني، شرح د. خليل الدويهي، ط2، 1994، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ص355.

(372) - تاريخ الأدب العربي، العصر العباسي الأول، د. شوقي ضيف، ص182.

(373) - ديوان بشار بن برد، تقديم د. احسان عباس، ط2، 0102، دار صادر، بيروت، لبنان، ص601.

والانفراد هما النتيجة؛ ولا يمكن أن نغفل في هذا السياق ما لأبي تمام من شعر إنساني يصور فيه الصداقة في أبهى صورها وأرقى معانيها حينما يجسد تلك العلاقة الأخوية في دليته المعروفة والتي قالها في صديقه الشاعر «على بن الجهم» وقد جاء يودعه لسفر أرادته، ومطلعها:

هِيَ فُرْقَةٌ مِنْ صَاحِبٍ لَكَ مَاجِدٍ \* فَعَدَا إِذَا بَهُ كُلُّ دَمْعٍ جَامِدٍ  
فَأَفْزَعُ إِلَى ذُخْرِ الشُّؤُونِ وَغَرِبِهِ \* فَالِدَمْعُ يَذْهَبُ بَعْضُ جَهْدِ الْجَاهِدِ  
وَإِذَا فَقَدْتَ أَحَاً وَلَمْ تَفْقِدْ لَهُ دَمْعاً \* وَلَا صَبْرًا فَلَسْتَ بِفَاقِدٍ<sup>(374)</sup>

فقد بلغ الشعر الإنساني قمة تطوره في العصر العباسية على يد أبي العلاء المعري، إذ اتخذ علي يديه منحى آخر من حيث التأمل في الإنسان، ومآثر الإنسانية، والتوسع في قضايا الخير والشر، لا سيما في لزومياته<sup>(375)</sup>؛ ومن أجمل شعره الذي ينم عن نزعة إنسانية رفيعة، قوله:

مَا الْخَيْرُ صَوْمٌ يَذُوبُ الصَّائِمُونَ لَهُ \* وَلَا صَلَاةٌ وَلَا صَوْفٌ عَلَى الْجَسَدِ  
وَإِنَّمَا هُوَ تَرْكُ الشَّرِّ مُطَرِحاً \* وَنَفْضُكَ الصَّدْرَ مِنْ غِلٍّ وَمِنْ حَسَدٍ<sup>(376)</sup>

ولأبي العلاء أبيات تعد من أجمل ما قيل في مبدأ الإيثار المطلق والذي يحرص صاحبه على الانصهار في بوتقة حب الخير للجميع<sup>(377)</sup>، يقول فيها:

وَلَوْ أَنِّي حُبَبْتُ الْخُلْدَ فَرْدًا \* لَمَّا أَحْبَبْتُ بِالْخُلْدِ انْفِرَادًا  
فَلَا هَطَلْتُ عَلَيَّ وَلَا بَارِضِي \* سَكَائِبُ لَيْسَ تَنْتَظِمُ الْبِلَادَا<sup>(378)</sup>

وإذا دلفنا إلى الشعر العربي في الأندلس ذلك الفردوس المفقود لتلمس النزعة الإنسانية فيه، فنلاحظ أن الحياة الأندلسية بكل أبعادها الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والأدبية، كانت كفيلاً بأن تذكي الشعر الإنساني النبيل وتزهده في قرائح الشعراء، فتقلب الأجواء الاقتصادية والسياسية، وتذبذب الأوضاع بين الاستقرار والضياع، وانهيار الممالك الإسلامية والمدن الأندلسية، كل ذلك استدعى الشعر الإنساني ليكون ملجأً وملأناً للشعراء والأدباء؛ فمنهم من بكى الديار والمدن، وناح على الأوطان، ومنهم من قدم النصيح والعظات والإرشاد، ومنهم من تغنى بالطبيعة والرياض

(374) ديوان أبي تمام، شرح الخطيب التبريزي، ص 104.

(375) هيفاء بنت رشيد، النزعة الإنسانية في الشعر بين الشابي والقصيبي، رسالة دكتوراه، كلية اللغة العربية، جامعة أم القرى، المملكة العربية السعودية، 6002، ص 33.

(376) أبو العلاء المعري، ديوان اللزوميات، ج 1، ط 2، 2001، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ص 251.

(377) النزعة الإنسانية في الشعر بين الشابي والقصيبي، مرجع سابق، ص 34.

(378) ينظر: شروح سقط الزند، القسم الثاني، الدار القومية للطباعة والنشر، بإشراف د. طه حسين، القاهرة، ص 564.

وجمالها؛ وتعد «نونية» أبي البقاء الرندي المشهورة من أشجى ما جادت به قريحة شاعر في بكاء الديار، وتصوير نكبات الانهيار وسقطوط الدويلات والمدن، وشحن الهمم للذود عن الإسلام<sup>(379)</sup>، والتي يقول في مطلعها:

لِكُلِّ شَيْءٍ إِذَا مَا تَمَّ نَقْصَانُ \* فَلَا يُعَرِّ بِطِيبِ الْعَيْشِ إِنْسَانُ  
هِيَ الْأُمُورُ كَمَا شَاهَدْتُهَا دُولُ \* مَنْ سَرَّهْ زَمَنُ سَاءَتْهُ أَزْمَانُ<sup>(380)</sup>

وعلى هذه الشاكلة كان الشعر في بلاد الأندلس مفعماً بالإنسانية مثقلاً بهمومها، ولا يكاد يوجد شاعر في الأندلس إلا وقال شعراً إنسانياً في شتى مجالات الحياة، باسطاً محاورها مفنداً معانيها<sup>(381)</sup>.

وفي العصر الحديث اتسعت عوامل النزعة الإنسانية لدى الأدباء والشعراء والنقاد، بفضل تلاقح النماذج الحضارية بين الشعوب، وتطور الدراسات الدينية والفكرية والفلسفية والاجتماعية، وظهور تيارات متعددة سعت إلى قيادة المجتمعات من رؤى وأفكار ومبادئ مختلفة؛ والتي كان الإنسان فيها محوراً وأساسها؛ وقد انعكس ذلك جلياً على صفحات الأدب شعراً ونثراً، ولا سيما مع ظهور أنواع أدبية جديدة في الأدب العربي كالقصة القصيرة والرواية والمسرحية والمقالة الدينية والعلمية، وغيرها من أنواع فنون النثر الأخرى، وانغمس الشعراء في الحياة العربية العامة، وشاركوا مجتمعاتهم همومها وقضاياها<sup>(382)</sup>.

ومع بواكير النهضة العربية الحديثة وما رافقها من متغيرات، سواء على الصعيد السياسي أو الاجتماعي أو الاقتصادي أو الفكري أو الحضاري، هزّت أعماق الشاعر وزلزلته وولدت لديه رغبة جامحة في التعبير عن الذات الإنسانية، والقضايا الاجتماعية بعيداً عن أغراض الشعر التقليدي<sup>(383)</sup>.

وقد أصبح الشاعر يرتبط بأحداث عصره وقضاياها، لا ارتباط المتفرج الذي يصف ما يشاهد وينفعل بما يصف، وإنما هو يعيش تلك الأحداث وهو صاحب لتلك القضايا<sup>(384)</sup>.

وقد تزايد الاهتمام بالنزعة الإنسانية في هذا العصر الحديث، في ظل ازدياد التوتر

(379) هيفاء بنت رشيد، النزعة الإنسانية في الشعر بين الشابي والقصبي، ص 37.

(380) محمد رضوان الداية، أبو البقاء الرندي شاعر رثاء الأندلس، ط2، 1986، مكتبة سعد الدين، بيروت، ص 143.

(381) النزعة الإنسانية في الشعر بين الشابي والقصبي، مرجع سابق، ص 38.

(382) أحمد أبو حافة، الالتزام في الشعر العربي، (د.ط.)، 1979، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ص 387.

(383) هيفاء بنت رشيد، النزعة الإنسانية في الشعر بين الشابي والقصبي، ص 38.

(384) عز الدين إسماعيل، الشعر العربي المعاصر قضاياها وظواهره الفنية والمعنوية، ط3، 1966، دار الفكر العربي، القاهرة، مصر ص 13.



والصّراع في كثيرٍ من مناطق العالم وفي الشرق الأوسط خاصة، منذ انتهاء الحرب الباردة بين القوتين العظميين: الاتحاد السوفيتي - آنذاك - والولايات المتحدة الأمريكية<sup>(385)</sup>.

ومن هنا كان التحول، في الشعور بالفكر والفن نحو الإنسانية التي تنادي بحقوقه وتتبنى آماله، وقد وقف الشعراء في شتّى أقطار الوطن العربي وفي المهاجر البعيدة، لمعالجة قضايا الإنسان بكل جوانبها وأبعادها، فها هو طاهر الزمخشري يبيث ما تملّيه عليه نفسه شعراً، فيقول:

وَقَالَتْ لَا أُرِيدُكَ لِلتَّغْنِي \* بِدَعْدٍ أَوْ بِهِنْدٍ أَوْ بِنَعَمٍ  
فَصَوْتُ الشَّعْرِ فِي الدُّنْيَا مَنَارٌ \* يَخْضِي لَنَا بَلِيلٌ مَدْلَهْمٍ  
أُرِيدُكَ فِي الْحَيَاةِ نَفِيرَ خَيْرٍ \* وَتَدْفَعُ بِالْمَوَاطِنِ لِلْخُضْمِ  
لِيَلْقَى فَوْقَ صَفْحَتِهِ مَقَاماً \* وَيَثْبُتَ فِيهِ كَالطَّوْرِ الْأَشْمِ<sup>(386)</sup>

فإنّ ملهمة الشعر لدى الزمخشري لا تصبو إلى شعر الغزل ولا الصبوة، فقد فطنت إلى ما للشعر من دور في بناء الحياة وإنارة طريق الخير ودفع عجلة الرقي والتقدم وبث روح الحماسة، ومن هنا نجد أنّ الشاعر في العصر الحديث والمعاصر قد نشأ في آفاق رحبة لا تحدها حدود، ولا تقيدها قيود<sup>(387)</sup>.

وإذا تتبعنا الشعراء في العصر القديم والحديث في كل البلاد العربية والإسلامية، نلاحظ مدى تفاعلهم بقضية القدس، وكيف كانوا يشبطاطون غيظاً وغضباً مذ أراق الصليبيون الدم العربي المظلوم في فلسطين؛ فقد هزّت نكبة فلسطين ضمير العالم الإنساني، وارتعش وجدان الشعر العربي، وانطلقت أولى قصائد النكبة في ملحمة الدم في فلسطين من فم الشاعر أبي المظفر الأبيوردي :

مَزَجْنَا دِمَاءَ بِالدِّمَوعِ السَّوَاجِمِ \* فَلَمْ يَبْقَ مِنَّنَا عُرْضَةٌ لِلْمُرَاجِمِ  
وَكَيْفَ تَنَامُ الْعَيْنُ مَلءَ جَفُونَهَا \* عَلَى هَبَوَاتٍ أَيْغَظَتْ كُلَّ نَائِمٍ<sup>(388)</sup>

وصبرت القدس تسعين عاماً وهي تنتظر سيف الناصر صلاح الدين، فلما لاح لها طيف القائد العظيم فوق بطاح حطين، وارتدت إلى العرب أرضهم وكرامتهم، دوى صوت الشعر الإنساني بالفرحة العظمى، بلسان الشاعر المصري ابن سناء الملك:

(385) أنور الشعر، النزعة الإنسانية في الشعر العربي المعاصر، ط1، 2016، مطبعة السفير، عمان، الأردن، ص7.

(386) طاهر الزمخشري، ديوان ألحان مغرب، ط2، 1982، مطبوعات تهامة، جدة، ص168.

(387) النزعة الإنسانية في الشعر بين الشابي والقصيبي، مرجع سابق، ص40.

(388) أوردها ابن الأثير في الكامل ولا نجدتها في المختارات المطبوعة من ديوان الأبيوردي.

لست أدري بأيّ فتحٍ نُهتّا \* يا مُنيل الإسلام ما قد تمّنى  
لك مدح على السموات ينشأ \* ومَحَلٌ فوق الأُسنة يُبنى<sup>(389)</sup>

وأقبل القرن العشرين والأمة العربية في سباتها العميق، وهي تعلم أنّ من ورائها  
نؤبانا لا ينامون، فكان وعد بلفور الغاشم ضد الإنسانية؛ فأعلنوا فلسطين وطن بلا  
شعب! فيجب أنّ يعطى لشعب بلا وطن! فأثارت مأساة فلسطين بأهوالها وويلاتها  
وجدان الشعر المعاصر من جديد، فانطلقت قصائد النكبة مغمسة بالألم والدموع  
تصور بؤس المنكوبين وشقاءهم وضياعهم وحنينهم إلى الأرض السليبية، فهذا أبو  
سلمى يحن إلى داره في فلسطين وما خَلَفَ فيها من حلو الذكريات:

داري التي على ربوة \* حاملة بالمجد والغار  
تفتح الزهر على خدها \* فعطّرت أيام آذار  
والتينة الخضراء في ظلها \* تاريخ أشواقٍ وآثاري  
والعين خلف الدّار في المنحى \* تروي حكاياتي وأخباري<sup>(390)</sup>

وهذا حسن البحيري يتنسم أنفاس وطنه المغصوب في أريج الزهر:

سألت ذات حنين أختها \* والدجى يعقد أجفان الوسن  
وصدى النجوى على أفق الربا \* يزفر اللهفة في ليل الشجن  
أخت ما سرّ الشذى من زنبق \* حير الأدمع في جفن الزمن<sup>(391)</sup>

والحق أنّ شعراء فلسطين غنوا أصدق ألحان المأساة وأعماقها عاطفة لأنّهم صدروا  
فيها عن التجربة التي عاشوها بأنفسهم والمآسي التي رأوها بأعينهم.

وما يكاد يخلو ديوان من دواوين الشعراء في العصر الحديث عن «المأساة الفلسطينية»،  
فها هو علي محمود طه كغيره من الشعراء الإنسانيين يعتمر المأ ويشتعل حماسة  
في قصيدة مطولة منها قوله:

فلسطين لا راعتك صيحة مُغتال \* سلّمت لأجيالٍ وعشت لأبطال  
هو الشرق لم يهدأ بصبحٍ ولم يطب \* رُقاداً على ليلٍ رماك بزلزال<sup>(392)</sup>

فالشاعر يصور واقعاً أليماً جثم على صدر الإنسانية، فاهتز الضمير الحي لهذا

(389) عبد اللطيف حمزة، أدب الحروب الصليبية، ص 133.

(390) صالح الأشتر، مأساة فلسطين وأثرها في الشعر المعاصر، ص 17.

(391) صالح الأشتر، مأساة فلسطين وأثرها في الشعر المعاصر، ص 18.

(392)

المصاب، فالوطن العربي ككل رمز للقيم والمثل وأعظم ما يفصح عن النزعة الإنسانية لدى الفرد.

وقد امتلأت دواوين شعراء العصر الحديث بالقضية الفلسطينية وسالت دماً، ومنهم شعراء الرابطة القلمية فقد استطاعوا أن يعكسوا المعنى الإيجابي للمأساة القومية الكبرى، ولا سيما إيليا أبو ماضي، فتمكن من الموازنة بين العاطفة والفكر في بكائه للمأساة! ليس لأنه كان بعيداً عن المأساة في مهاجره، ولكن ربما ليبعث برسالة إلى الأمة العربية التي استطابت حياة السفوح، واستسلمت راضية إلى نوم كالموت، فيقول في إحدى قصائده:

ديارُ السلام وأرضُ الهَنا \* يشقُّ على الكل أن تحزنا  
فخطب فلسطينَ خطب العُلا \* وما كان رزء العلاء هيناً  
سهرنا له فكأن السيوف \* تحزُّ بأكبادنا ههنا  
وكيفَ يزور الكرى أغيناً \* ترى حولها للردى أغينا  
وكيفَ تطيبُ الحياةَ لقوم \* تُسد عليهم دروبُ المنى<sup>(393)</sup>

ولولا ضيق المقام لاستشهدنا عن مظاهر النزعة الإنسانية في الأدب العربي بعدد كبير من شعراء العصور الأدبية المختلفة؛ المقيمين منهم في الأوطان، أو أولئك الذين احتضنتهم المهاجر البعيدة، فما من شاعر لم تدفعه ربة شعره للتغني بأصدق ألحان المأساة وآلام البؤس والحنين.

إن شعراء المهجر الذين حملوا معهم الحس الإنساني النبيل، كانوا خير من يمثل النزعة الإنسانية في الشعر الحديث، فقد خلص شعرهم على ضرورة نشر المبادئ الإنسانية بين الناس عن طريق الدعوة إلى الإخاء الإنساني وسيادة العدل والرحمة والمحبة والحرية، ونبذ الظلم والاستبداد؛ ووصل بهم خيالهم إلى تصور عالم من الكمال والمثالية، ما زالوا يتوقون لمعرفة ويعنون إليه<sup>(394)</sup>، وقد فاضت قصائدهم إنسانية، ولكن بأسلوب فاض هو أيضاً بالتجديد والإبداع، والقيم النبيلة<sup>(395)</sup>.

فتعددت مناحي الأدب في المهجر، وتنوعت فنونه، وطرقت أغراضه أبواب الحياة المختلفة، ونواحي المجتمع المتنوعة، وخبايا النفس الإنسانية وأسرار الطبيعة، فأضاف إلى رصيد العربية ثروة كبيرة من الشعر والنثر، تتجلى في الكتب الفلسفية ودواوين

(393) - إيليا أبو ماضي، المجموعة الكاملة، ص1023.

(394) - نادرة جميل سراج، شعراء الرابطة القلمية، ص144.

(395) - سليمان إيمان، النزعة الإنسانية في شعر رشيد أيوب، رسالة ماجستير، كلية الآداب واللغات، جامعة أكي أولحاج، الجزائر، 2013، ص1.

الشعر، وروائع القصص والملاحم. وكأننا بهم وقد اتخذوا من العالم والمجتمع أصدقاء، وواجبهم إرساء قواعد البناء الاجتماعي على أسس متينة.

لذلك نرى من الضرورة بمكان، أن نفرد مبحثاً منفصلاً، لمفهوم النزعة الإنسانية لدى شعراء المهجر عامة، قبل أن نتناول مظاهر وأبعاد النزعة الإنسانية لدى شعراء الرابطة القلمية - موضوع الكتاب -، حتى لا نغفل عن أولئك الشعراء الذين هاجروا من ديارهم إلى الأمريكتين ( الشمالية - والجنوبية )، بحثاً عن الحرية والتسامح الديني والإخاء والمحبة.

وما تم إثباته في هذا المبحث من شعر أو أسماء لشعراء في مختلف العصور الأدبية فيما يخص النزعة الإنسانية، لا يحسب سوى أنه مجرد أمثلة ونماذج لإبراز النزعة الإنسانية وحضورها في مختلف عصور الأدب، إذ لا يكاد يوجد شاعر أو أديب إلا وقد سبج منطلقاً نحو مرافئ الإنسانية، إلا أن هذه النزعة قد تظهر في شعر بعضهم أكثر وضوحاً وأعلى منزلة من البعض الآخر.

## المبحث الثالث

### مفهوم النزعة الإنسانية لدى المهجريين

الأدب الإنساني هو الأدب الجدير باسم الفن والأدب، وإنّهُ الأدب الروحي الذي يسمو على الفوارق والحدود ويستغرق الحياة والوجود ويدعو إلى الحب المطلق للكون كله ولكل مَنْ منه وما فيه. وقد نهض أدباء المهجر، وفي مقدمتهم شعراء الرابطة القلمية، بهذه الرسالة الإنسانية، وجندوا لها أرواحهم

وأقلامهم، فلقد نفذوا بتعاليم الشرق الروحية إلى مادية الغرب، فأثروا تأثيرهم البالغ في البيئات الأجنبية وغيرها، فيرى الشاعر المهجري فوزي المعلوف، أنّ الإنسانية ما هي إلا «شعور الإنسان مع الإنسان بكل ما في هذا التعبير من شمول... شعور الإنسان مع الحيوان والنبات، وأحياناً شعوره بدافع الألفة مع الجماد، وهذا العطف الذي يدفع الجنس إلى الحذب إلى جنسه يتعذر خلقه غالباً إلا في الإنسان»<sup>(396)</sup>.

يقول جورج صيدح عن الإنسانية: «لقد عرفتُها عن طريق ضميري ووجداني واكتفيت بذلك. إنّها في البدء شعور غريزي بقاربة تربطني ببني الإنسان، ويتضامن مع جميع خلق الله، وهي بعد ذلك عمل إيجابي وسعي صادق لخدمة البشرية، في حدود مواهبي وإمكاناتي»<sup>(397)</sup>؛ فصيدح يرى أنّ الإنسانية رابطة تضامن غريزية تضم جميع الخلق موصولين بصلة القرابة التي تدعو تبعاً للإحساس بها إلى العمل الإيجابي، من أجل الجميع في حدود الإمكانيات المتاحة للفرد الإنساني.

ويقول جبران: «الأرض كلها وطني، والعائلة البشرية عائلتي»<sup>(398)</sup>، ويقول أيضاً: «أحب مسقط رأسي ببعض محبتي لبلادي، وأحب بلادي بقسم من محبتي لأرض وطني، وأحب الأرض بكليتي لأنّها مرتع الإنسانية وروح الألوهية على الأرض»<sup>(399)</sup>.

أمّا ميخائيل نعيمة فيقول: «أمّا أنا - فقسم الإنسانية الساكت - فما أدري، ولا يهمني أنّ أدري أين ولدت؟ أو ممن ولدت؟ لذلك لا وطن لي، ولو كان لي وطن لتبرأت منه فأنا ابن العالم الأوسع»<sup>(400)</sup>.

ويقول الشاعر والناقد المهجري نظير زيتون: «الإنسانية عندي هي الشعور الكلي العميق المطلق بأنّ الإنسان واحد على اختلاف الألوان والسلالات والأوطان، وبأنّه

(396) - عزيزة مريدن، القومية الإنسانية في شعر المهجر الجنوبي، ص 461.

(397) - نظمي بدیع، أدب المهجر بين الأصالة وفكر العرب، ص 520.

(398) - الأدب العربي في المهجر، مرجع سابق، ص 335.

(399) - جبران خليل جبران، دمعة وابتسامة، ط 1، 2011، مؤسسة هنداوي، القاهرة، مصر، ص 161.

(400) - ميخائيل نعيمة، مذكرات الأرقش، ط 1، 2018، مكتبة شغف، فلسطين، ص 13.

أكرم المخلوقات وأشرفها وأسمأها، وبأن أعماله وأقواله وأهدافه يجب أن تنبع من كرامته وشرفه، وعظمته وسموه، وهي الصفات التي تتمثل في العطاء يداً وقلباً وفكراً، والإصلاح بناءً وتنويراً وتحريراً، والإبداع روحاً وخلقاً وعملاً، والبطولة مروءة وإحساناً وتسامياً، وهذا يعني أن الإنسانية بجوهرها وهدفها هي، إسعاد ذاتية النفس، وتلبية نداءها بإسعاد الآخرين<sup>(401)</sup>؛ وبهذا الوضع يكون قد قرر نظير زيتون أن النزعة الإنسانية تكمن في إسعاد الآخرين المسعد للنفس، كما أن إشارات إلى المساواة بين البشر، ووجوب العطاء لهم والإصلاح، لا تخرج عن المعاني التي جاءت بها جميع الرسائل السماوية.

وفي تمجيد هذه الروح الإنسانية لدى المهجريين، والتي تبغي حب الخير والنفع للناس أجمعين دون تمييز، يقول نذرة حداد في تعريفه للشاعر:

هُوَ فِي الْخُبِّ دَمْعَةٌ \* لَيْتَهَا دَمْعَةٌ الْجَدَلُ  
شَارَكَتْ كُلَّ ذِي ضَنْئِي \* فِي ضَنْأِهِ وَذِي الْعِلَلِ  
يَغْشَقُ الْعُصْنَ لَا لِحُسْنٍ \* بِهِ بَلْ لِمَا حَمَلُ<sup>(402)</sup>

وقد كانت اتجاهات النزعة الإنسانية، من محبة وإخاء ومساواة وغيرها، لدى أدباء المهجر، هي الأساس الذي شادوا عليه صروح الإنسانية، فبهذه العواطف النبيلة يعتقدون أنهم سيقضون على الجريمة في الأرض، وسينقلب الشقاء سعادة، ويعم الخير العالم بأسره، يقول الشاعر القروي:

هُوَ الْخُبُّ حَتَّى لَيْسَ فِي الْأَرْضِ مُجْرِمٌ \* وَلَا دَمْعٌ يَجْرِي عَلَيْهَا وَلَا دَمٌ<sup>(403)</sup>

ويذهبون إلى أبعد من ذلك في عمق الشعور الإنساني؛ فهذا ميخائيل نعيمة يدعو إلى أن القاطع للصخر هو الأولى بسكنى القصر، والناسج للثوب أولى بارتدائه والزارع الحاصد أولى بأكل ناتج كدحه، فهم الأجدر بالإعظام والاحترام<sup>(404)</sup>.

يقول حسن جاد حسن، عن إنسانية المهجريين:

«لقد أحبوا الوجود كله، وأحبوا كل ما في الوجود، ودعوا إلى المحبة والتعاون، وهتفوا بالإخاء البشري، وتغنوا بأفراح الإنسانية، وشقوا آمها، ونقموا على شرورها ومظانها، وارتادوا آفاق التأمل والمعرفة لإسعادها، وقادوها إلى الحب والخير والسعادة والمساواة، وبشروا بالحياة المثالية النقية، وحاربوا العيوب والنقائص الاجتماعية،

(401) - نظمي بديع، أدب المهجر بين الأصالة وفكر العرب، ص 523.

(402) - نذرة حداد، ديوان أوراق الخريف، طبعة نيويورك، 1946، ص 98.

(403) - رشيد سليم الخوري، ديوان القروي، تحقيق د. عمر بهيج، ط 4، 2008، وزارة الأعلام، لبنان، ص 827.

(404) - نظمي بديع، أدب المهجر بين الأصالة وفكر العرب، ص 537.

ورسموا الأهداف والمثل الرفيعة»<sup>(405)</sup>. تقول عزيزة مريدن: «نستطيع أن نكون على شبه اليقين أنه ما من شاعر من شعراء المهجر لم تدفعه ربة شعره إلى التغني ببعض هذه القيم الإنسانية، أو بمعظمها»<sup>(406)</sup>، والباحث والمدقق في موضوعات النزعة الإنسانية لدى أدباء المهجر، يستطيع أن يردها إلى اتجاهين اثنين:

أولهما- تصوير الفضائل الإنسانية، والتغني بها تغنياً يصبح أن نسميه رومانسياً، لأنهم إذا تحدثوا عن أية فضيلة كالجود والإحسان مثلاً، فإنهم لم يعالجوها على أنها مذهب من المذاهب المقتنة، أو عقيدة من العقائد المتبلورة، وإنما صوروها تصويراً عاطفياً جذاباً، وحببوا الناس بها لأنها غاية إنسانية، يسعد بها البشر جميعاً.

ثانيها- دعوة شبه عقائدية، مبنية على أسس إنسانية، وحقوق بشرية عامة لا بد للناس كلهم من التمتع بها على اختلاف أجناسهم وألوانهم ومذاهبهم وأوطانهم، كالحق في الحرية والعدالة، والمساواة والسلام، ويضاف إلى هذه الدعوة تمجيد القيمة الإنسانية؛ وتقدير الإنسان على قدر ما تتمثل فيه هذه الفضائل بصرف النظر عن وضعه الاجتماعي<sup>(407)</sup>.

ولعل أبرز دلائل المحبة الكبيرة عند المهجريين وأجدرها بالذكر، هو هذا النداء الرقيق الحنون الذي أشاعوه في الأدب العربي، وهو «يا أخي» أو «يا رفيقي»، وهذا نداء يلمس شغاف القلب، فيحيله إلى شعلة من الحنان والمحبة، ويفعل فيه فعل السحر، وعن هذا النداء العاطفي في شعرهم، يقول عيسى الناعوري: «والشعر العربي في ماضيه الطويل كله، قبل ظهور المدرسة المهجرية، قلّ - أو ندر - أن عرف هذا النوع من النداء العاطفي الإنساني، الذي يشعر كل إنسان على وجه الأرض بأنه أخ لنا حبيب في رابطة الإنسانية الكبرى»<sup>(408)</sup>؛ ومن ذلك قول أبي ماضي:

يَا رَفِيقِي أَنَا لَوْلَا أَنْتَ مَا وَقَعْتُ لَحْنًا

كُنْتُ فِي سِرِّي لَمَّا كُنْتُ وَحْدِي أَتَعْنَى

والم تأمل في دواوين ومؤلفات أدباء المهجر يجد نزعة من التأمل والتصوف تغلب على أشعارهم وسطورهم، وتلوح من خلالها أرواحهم الهائمة ونفوسهم اليائسة الحزينة، ونلاحظ أنهم لا يباهون بهذه الحياة الدنيا وما فيها من لهو ومرح، فالمال عندهم

(405) حسن جاد حسن، الأدب العربي في المهجر، ص 336.

(406) عزيزة مريدن، القومية الإنسانية في شعر المهجر الجنوبي، ص 471.

(407) عزيزة مريدن، القومية الإنسانية في شعر المهجر الجنوبي، ص 472.

(408) المرجع السابق، ص 89.

عرض زائل؛ ومن هنا نجد عندهم الدعوة إلى الجود بالمال وذم البخل منثورة في أبياتهم الشعرية وسطورهم النثرية، ولا عجب أن يصدر الجود أو الدعوة إلى الجود عن قوم طالما قاسوا الحاجة إلى الأجواد وطالما عضهم الفقر بنابه فأحسوا مع الفقراء، وأصابهم الدهر بعذابه فتألموا مع المذبذبين في الأرض<sup>(409)</sup>؛ فهذا هو إيليا أبو ماضي سئل مرة عن الكريم، ومن هو في نظره؟ وما أوصافه في عرفه؟، فقال:

إِنَّ الْكَرِيمَ لَكَالرَّبِيعِ تُجِبُّهُ لِلْحُسْنِ فِيهِ  
وَتَهْشُّ عِنْدَ لِقَائِهِ وَيَغِيبُ عَنْكَ فَتَشْتَهِيهِ  
لَا يَرْتَضِي أَبَدًا لِصَاحِبِهِ الَّذِي لَا يَرْضِيهِ  
وَإِذَا اللَّيَالِي سَاعَفَتْهُ لَا يَدِلُّ وَلَا يَتِيهِ<sup>(410)</sup>

وكذلك تتجلى لنا الإنسانية على أروعها في تصوير الشاعر القروي لضعف «غاندي» المنتصر بقوة غصن السلام، وإن يكن تصويراً استعملت فيه ألفاظ الحرب والقوة، التي هي من مميزات شعر «القروي»، إلا أنه يصور نزعة إنسانية أصيلة، فيقول في قصيدته «الربيع الأخير»:

وَهَلْ سَمِعْتَ بِغَانِدِي إِنَّهُ حَمَلٌ \* فِي الْهِنْدِ ثَارَ عَلَى الضَّرْغَامِ وَانْتَصَرَ  
هَزُّوا الْحَسَامَ فَلَمْ يَجْفُلْ وَهَزَّ لَهُمْ \* عُصْنُ السَّلَامِ فَهَزَّ الْبَحْرَ وَالْجُزْأَ<sup>(411)</sup>

وفي وصفه لحبة القمح، هو من أعماق المعاني الإنسانية النبيلة، الدالة على صفاء القلب والروح، فيقول القروي:

وَكَأَنَّما الشَّقُّ الَّذِي وَسَطَهَا \* لَكَ قَائِلٌ نِصْفِي يَخْصُ أَحَاكَ<sup>(412)</sup>

كما تتجلى الإنسانية في قول أمين الريحاني: «إنَّ في تلك الذرى من أزهار الحب الدائم العقيم، وفي الحب الدائم العقيم تتلاشى العصبية الدينية والقومية كلها، إنَّ في تلك الذرى بذرة من بذور الخير الإنساني الأكبر، وفي الخير الإنساني الأكبر تضمحل الضغائن، وتزول الخصومات في مشارق الأرض ومغاربها، بين الأمم جمعاء»<sup>(413)</sup>، وفي قول وليم كاتسفليس: «ما عمّر الأكوان إلا المحبة، والقلب إن لم يسع الدنيا فهو وعاء صغير، وإن لم يفهم أنغام الكائنات فهو أوتار ميتة لا تحركها أغاني الأرواح المتأخية. فليحدث كل جرح في قلوبكم جرحاً»<sup>(414)</sup>.

(409) المرجع السابق ، ص 145 .

(410) إيليا أبو ماضي ، ديوان الخمائل ، ص 353 .

(411) حسن جاد حسن ، الأدب العربي في المهجر ، ص 431 .

(412) رشيد سليم الخوري ، ديوان القروي ، ص 820 .

(413) عيسى الناعوري ، أدب المهجر ، ص 91 .

(414) أمين الريحاني وآخرون ، ما وراء البحار ، ط1 ، 0202 ، مؤسسة هنداري، القاهرة، ص 96.



وبهذه الروح الواسعة اصطبغ أدب المهجريين، فجاء تعبيراً سامياً عن نوازع إنسانية رحيبة، وتصويراً لحياة إنسانية شاملة.

وهكذا نرى آداب المهجر قد امتازت باتساع المدى، وبالعُمق والعلو، كما يقول ميخائيل نعيمة في كتابه «الغربال»: «وقد اتسع أفق إنسانيتهم حتى شمل الوجود بأسره: نباته، وحيوانه، وجماده»<sup>(415)</sup>؛ فهم يرون الجمال في كل شيء، حتى في «الدودة»، فيرى ميخائيل نعيمة أنها ليست أقل شأنًا من العقبان والنسور، ولا هي دميمة في عين الحياة، ثم هي لا تعرف الفروق: فلا التبر عندها أغلى من التراب، ولا الماس من الحجارة؛ فلقد تساوت بذرة الحياة التي يعبر عنها نعيمة «بوحداية الحياة التي جوهرها واحد لا يتغير»، في كل كائن حي<sup>(416)</sup>، فقد اتخذوا من الأدب «رسالة إنسانية» مثالية، تتعالى على سائر الفروق والنزعات الإقليمية والطائفية والقومية والدينية<sup>(417)</sup>، فالأدب المهجري استطاع التعبير بصدق عن القضايا الإنسانية النبيلة، واستطاع أصحابه أن يؤسسوا دعائم النزعة الإنسانية في أدبنا الحديث.

(415) عيسى الناعوري أدب المهجر، ص 91 .

(416) المرجع السابق ، ص 92.

(417) المرجع السابق، ص 190.

## الفصل الرابع

# مظاهر النزعة الإنسانية في شعر الرابطة القلمية

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول

الحنين إلى الأوطان

المبحث الثاني

التسامح الديني

المبحث الثالث

الإخاء والمساواة

المبحث الرابع

التفاؤل والتشاؤم

## المبحث الأول

### الحنين إلى الأوطان

حين ارتحل شعراء المهجر من وطنهم الشام إلى أمريكا مرغمين - في أغلب الحالات - ترك هذا الرحيل جرحاً في قلوبهم ومشاعرهم، وخلق لهم آلاماً ومعاناة مستمرة، إذ تركوا الأرض التي نشأوا فيها، وفارقوا الأهل والأحبة إلى عالم جديد، وانتقلوا إلى حياة تختلف كل الاختلاف عما ألفوه في أوطانهم

التي تركوها وراءهم، حيث كانت حياتهم مهددة سياسياً ودينياً واقتصادياً؛ تركوها تئن تحت وطأة الظلم والتعسف وقلة المال وفساد الأحوال، ممّا جعل قلوبهم معلقة بها، تريد الاطمئنان على حالها وحال من فيها من الأهل والأصحاب<sup>(418)</sup>. وارتبط الحنين إلى الأوطان في شعر المهجريين، بكرامة الإنسان واعتزازه، وكانت الغربة عن الوطن همّاً شديداً، ويروى أنّه قيل لأعرابي: ما الغبطة؟ قال: الكفاية ولزوم الأوطان والجلوس مع الأخوان، وقيل: فما الذل؟ قال: التّقلُّ في البلدان والتّنجي عن الأوطان<sup>(419)</sup>؛ فهذا هو الشاعر الحمصي «نسيب عريضة» يناجي بلده أم الحجارة السود (حمص)، ويحن إليها رغم المسافات الشاسعة البعيدة التي تفصله عنها، مقيد بترابها يتمنى لو يعود إليها ولو كان في طيات الكفن، فيقول:

بَلَدُ الْهُدَى أَحْجَارُهَا سُودٌ نَعَمَ لِلَّهِ دَرْ سَوَادِكَ الْمَغْبُودِ  
الذِّكْرِيَّاتُ وَقَدْ بَرَزْنَ عَلَانِيَةً نَادَيْنَ عَنْكَ بِحَسْرَةِ الْمَطْرُودِ  
يَا حِمَصُ يَا بَلَدِي وَأَرْضَ جُدُودِي

إلى أن يقول:

عُدْ بِي إِلَى حِمَصٍ وَلَوْ حَشَوُ الْكَفَنِ \* وَاهْتِفْ أَتَيْتُ بِعَائِرٍ مَرْدُودِ<sup>(420)</sup>

أما رشيد أيوب يقول عن لبنان:

مَعَانٍ شَدَوْتُ الْأَمْسَ حُبّاً بِذِكْرِهَا \* فَأَصْبَحْتُ أَبْكِي الْيَوْمَ تِلْكَ الْمَعَانِيَا<sup>(421)</sup>

أمّا الشاعر الحمصي الآخر نذرة حداد، فيحن إلى نهر العاصي حنيناً يذكره لا بهذا النهر فحسب، بل بشقيقه الآخرين الذين يعاونانه في رّي البلاد السورية فيتحدث عن هذه الأنهار قائلاً:

(418) أمين صالح، الغربة والحنين في الشعر الفلسطيني، ص129.

(419) يحيى الجبوري، الحنين والغربة في الشعر العربي، ص9.

(420) نسيب عريضة، ديوان الأرواح الحائرة، ص256.

(421) رشيد أيوب، الأعمال الكاملة، تقديم د. ميشال جحا، ص218.

ثَلَاثَةٌ مِنْ مَنْزِلٍ وَاحِدٍ  
أَبْنَاءُ شَيْخٍ وَالِدٍ مَاجِدٍ  
مِنْ سَفْحِ ذَاكَ الْجَبَلِ الْخَالِدِ  
مَضُّوا لِيَسْقُوا بُقْعَةً زَاهِيَةً<sup>(422)</sup>

وواضح أنَّ هذه الأنهر الثلاثة التي يذكرها الشاعر هي: نهر «العاصي» الذي يروي مدينة حمص وما حولها من رياض، ونهر «البردوني» الذي يسير في سهل البقاع ماراً بمدينة زحلة الشهيرة في لبنان، وأنَّ ثالث الأنهار فهو نهر «بردي» غوطة دمشق الفيحاء.

وبالعودة للشاعر اللبناني «رشيد أيوب»، فنجدّه يفصل في مغاني لبنان وأماكنه الجميلة التي يحمل لها ذكريات كثيرة، ولا عجب أن يهيج ذكر لبنان عنده عاطفة الشوق والتذكّار، فيقول:

أَلَا لَيْتَ شِعْرِي هَلْ غَدِيرٌ أَحْبَبُهُ \* تَعَلَّمْتُ مِنْهُ النُّوحَ مَا زَالَ جَارِيَا  
وَهَلْ ذَلِكَ الْوَادِي الَّذِي بِشِمَالِهِ \* تَرَعَّرَعْتُ حُرّاً يَذْكُرُ الْيَوْمَ نَائِيَا  
وَهَلْ نَسَمَاتٌ عِنْدَ صَنْيَنٍ لَمْ تَزَلْ \* مَيِّمَنَةً تَذْرِي بِحَالِي وَمَا بَيَا<sup>(423)</sup>

وإذا طالعنا كتاب «النبي» لجبران نلاحظ أنَّه ليس سوى تعبير عن حنين جارف، فالمصطفى الذي قضى في مدينة أورفليس اثنتي عشرة سنة يترقب عودة سفينة ليركبها عائداً إلى الجزيرة التي ولد فيها، هو نفسه جبران الذي عاش في مدينة نيويورك، وفي قلبه حنين حار إلى القرية التي ولد فيها (بشرى)، وعودة النبي إنَّ هي إلا أمنية روح «جبران» في الرجوع إلى قريته<sup>(424)</sup>.

إنَّ الحنين إلى الأوطان ليس جديداً على الأدب العربي، ولكن جدته في أدب المهجر تظهر أولاً في أنَّه ظاهرة شائعة لم تعهد من قبل في أدب العرب حيث كان مجرد ومضات خاطفة، ولمحات قليلة، تبدو عند بعض الشعراء. وثانياً في عمقه وحرارته، وصدقه وقوته. وثالثاً في رفته العاطفية، وجرسه الساحر المؤثر.

يقول حسن جاد حسن معللاً ظاهرة الحنين للأوطان في شعر المهجريين: «وإنَّما يرجع ذلك إلى أنَّ الشاميين قد خلفوا وراءهم أوطانهم بما فيها من جمال الطبيعة، وسداجة الحياة، وسكينة النفس، وروحانية الشرق إلى جانب ما يصطرع فيها من ظلم وفساد»<sup>(425)</sup>.

(422) نادرة جميل سراج، شعراء الرابطة القلمية، ص 213.

(423) الأعمال الكاملة لرشيد أيوب، مرجع سابق، ص 240.

(424) ينظر: جبران خليل جبران، كتاب "النبي"، ترجمة أنطونيوس بشر، ط 1، 2017، مؤسسة هنداوى، القاهرة.

(425) حسن جاد حسن، الأدب العربي في المهجر، ص 381.

ويرافق الحنين إلى الوطن عند شعراء «الرابطة القلمية» وشعراء المهجر جميعاً نغمات أخر فيها عنف ورقة، وفيها اضطرام وإثارة؛ تلك هي نغمات الوطنية والقومية، فهم يتألمون وتثور لواعجهم لما تعانيه أوطانهم من أنواع العبوديات: العبودية للمستعمر البغيض، والعبودية للجهل وللترفة الاجتماعية، بين أبناء الوطن الواحد<sup>(426)</sup>.

فالشاعر المهجري يعبر عن إحساس قومه ومشاعرهم، مثلما يعبر عن إحساس نفسه ومشاعرها، وأن الأحداث التي تمر في وطنه الأم تترك صدًى عميق في قلبه وشعره، فها هو ميخائيل نعيمة تهزه مجاعة لبنان، فتختلج عاطفته الوطنية بهذه الأثبات الدامية، فيقول:

فَلَا تَهْزِجْ لِمَنْ سَادُوا وَلَا تَسْتَمْتِ بِمَنْ دَانَا  
بَلْ ارْكَعْ صَامِتاً مِثْلِي بِقَلْبٍ حَاشِعٍ دَامِ  
لِنَبْكِ حِظَّ مَوْتَانَا  
فَلَا تَطْلُبْ إِذَا مَا عُدْتَ لِلْأُوطَانِ خَلَانَا  
لَأَنَّ الْجُوعَ لَمْ يَتْرِكْ لَنَا صَحْباً نُنَاجِيهِمْ  
سِوَى أَشْبَاحِ مَوْتَانَا<sup>(427)</sup>

فما سقطت دمة من مواطن عربي - في الوطن الأم - إلا وسالت أغنية حزينة في مقطوعة شعرية لشاعر مهجري، وما زف حزين وتأوه في المشرق العربي إلا وكان لآهته وزفرته صدًى عميق مؤثر في الشعر العربي<sup>(428)</sup>.

ونلاحظ أن مأساة فلسطين احتلت حيزاً كبيراً في الشعر العربي الحديث؛ بدلالاتها العميقة، وما تحمله من أبعاد دينية وعربية؛ فكانت المنطلق الأول الذي ينطلق منه كل شاعر عربي، وفي رأي أغلب الدارسين أن القضية الفلسطينية كانت أكبر دافع للتطور والتجديد في الشعر العربي الحديث<sup>(429)</sup>.

وشعراء المهجر - رغم بعدهم - لم يكونوا بمعزل عن تلك المأساة، وعن تلك القضية المهمة التي شغلت إذهان العرب والمسلمين، باعتبار أن فلسطين جزء أصيل من الوطن العربي؛ فتناولوها بألم شديد، وحزن عميق، وكانوا يسعون ليميطوا اللثام

(426) عيسى الناعوري، أدب المهجر، ص 82.

(427) ميخائيل نعيمة، ديوان همس الجفون، ص 14.

(428) محمد عبد المنعم خفاجي، قصة الأدب المهجري، ص 335.

(429) ينظر: نكية فلسطين في الشعر المغربي الحديث، مجلة دعوة الحق، العدد 104، المغرب، يناير 2013.

عن المؤامرات التي يضمهرها اليهود للعرب، يقول أبو ماضي في قصيدته «فلسطين»:

فَخَطَبُ فِلَسْطِينَ خُطْبُ الْعَلِيِّ \* وَمَا كَانَ خُطْبُ الْعَلِيِّ هَيْنَا  
سَهْرُنَا لَهُ فَكَانَ السَّيُوفُ \* تَحِزُّ بِأَكْبَادِنَا هَا هُنَا  
وَكَيْفَ يَزُورُ الْكَرَى أَعْيُنًا \* تَرَى حَوْلَهَا لِلرَّدَى أَعْيُنَا  
وَكَيْفَ تَطْيِبُ الْحَيَاةَ لِقَوْمٍ \* تُسَدُّ عَلَيْهِمُ دُرُوبُ الْمُنَى  
بِلَادَهُمْ عُرْضَةً لِلضِّيَاعِ \* وَأُمُتُّهُمْ عُرْضَةً لِلْفَنَاءِ

ويقول فيها أيضاً:

فَلَيْسَتْ فِلَسْطِينَ أَرْضاً مُشَاعاً \* فَتُعْطَى لِمَنْ شَاءَ أَنْ يَسْكُنَا  
فَإِنْ تَطْلُبُوهَا بِسَمْرِ الْقَنَا \* نَرُدُّكُمْ بِطَوَالِ الْقَنَا  
وَأِنْ تَهْجُرُوهَا فَذَلِكَ أَوْلَى \* فَإِنَّ «فِلَسْطِينَ» مِلْكٌ لَنَا<sup>(430)</sup>

ويتدفق الحنين إلى الأوطان في دواوين شعراء «الرابطة القلمية» دون انقطاع، فهي هو «إيليا أبو ماضي»، إذ ما تكاد تتقادم به الأيام، وهو في مغتربه حتى تهيجه الذكريات في عاطفة إنسانية نبيلة إلى وطنه «لبنان»، فيحن إليه حنيناً صامتاً حيناً، ثائراً أحياناً، وأصبح يرى حياته في أمريكا جحيماً لا يطاق، فيقول:

نَأَى عَنِ أَرْضِ مِصْرَ حَدَارَ ضَيْمٍ \* فَقَرَّ مِنَ الْعَذَابِ إِلَى الْعَذَابِ<sup>(431)</sup>  
حتى إذا رأى باخرة متجهة إلى بلده حملها سلاماً وتشوقاً وحنيناً ونداءً حاراً فيه عاطفة وصدق ووفاء:

بَيْرُوتُ يَا بِنْتَ الْبَحَارِ الْجَارِيَةِ \* فَإِذَا سُئِلَتْ مِنَ الْبَقَايَا الْبَاقِيَةِ  
قُولِي لَهُمْ: إِنَّ الْحَيَاةَ الْهَانِيَةَ \* لَمْ تَنْسَنَا سُكَّانَ تِلْكَ النَّاحِيَةِ<sup>(432)</sup>

ولا يكفي بذلك بل ينسب فضل تكوينه وخلقه لوطنه، فيقول:

بَنِي وَطَنِي! مَنْ أَنَا فِي الْوُجُودِ  
وَمَا هُوَ شَأْنِي وَمَا هُوَ مَوْضِعِي  
وَلَوْلَاكُمْ لَمْ أَكُنْ بِالْخَطِيبِ  
وَلَا الشَّاعِرِ السَّاجِرِ الْمُبْدِعِ<sup>(433)</sup>

(430) أبو ماضي، ديوان الخمائل، ص 378.

(431) ديوان إيليا أبي ماضي، ج 2، ص 65.

(432) المرجع السابق، ص 65.

(433) المرجع السابق، ص 94.

ففي هذه الأبيات نلاحظ أنَّ أبا ماضي، يكرِّم وطنه لأنَّ له الفضل الأوَّل في خلقه وتكوينه، وتشعُّ وطنيته القويَّة من حيث اعتبار وطنه ساهم في وجوده، كما الأب سبب لوجود الابن.

ومن أجمل حنين أبي ماضي، وأصدق وأكثره حرارة قصيدته، «أمنية مهاجر» بنغمة تفيض ألماً ومرارة من المهاجرة والبعد عن الأهل والوطن؛ إذ نلاحظ في هذه القصيدة «أمنية مهاجر»، اللّهُفة الحارة وندم الشاعر على البعد عن الوطن والأهل، وأنَّه في «نيويورك» بجسمه فقط، أمَّا روحه فهي في الشرق على تلك الهضاب، فيقول فيها:

جُعْتُ وَالْخُبْرُ وَفَيْرٌ فِي وَطَائِي \* وَالسَّنا حَوْلي وَرَوْحي فِي ضَبَابٍ  
وَشَرِبْتُ الْمَاءَ عَذْباً سَائِغاً \* وَكَأَنِّي لَمْ أَذُقْ غَيْرَ سَرَابٍ  
أَنَا فِي نِيُورْكَ بِالْجِسْمِ وَبِالرُّوحِ \* فِي الشَّرْقِ عَلَى تِلْكَ الْهَضَابِ<sup>(434)</sup>

وإذا أمعنا النظر في نماذج شعر الحنين إلى الأوطان عند شعراء «الرابطة القلمية» نلاحظ أنَّ الحنين والشوق يسير عندهم في اتجاهين اثنين:

الأوَّل- اتجاه يرتبط بتذكُّر الأهل والأقارب والأحبة الذين تركوهم هناك، وتذكر تلك الأيام الجميلة واللحظات المرحية في الطفولة، التي كانت ذات أثر طيّب في نفوسهم، والسعادة التي كانوا يشعرون بها هناك.

الثاني- اتجاه يرتبط بتذكُّر المكان وجمال الطبيعة بما فيها من غابات وأنهار وفواكه وهواء وسما، وغيرها.

وإنَّ كلا الاتجاهين يمثلان نزعة إنسانية نبيلة تمتاز بالرقّة والصفاء والحنين الجارف، وأنَّ اتجاههم كان وطنياً خالصاً كما يقول دكتور صابر عبد الدايم في كتابه «أدب المهجر»: «... فأدباء الرابطة القلمية كان اتجاههم وطنياً»<sup>(435)</sup>.

نجد أنَّ ارتباط شعراء الرابطة القلمية بأوطانهم وحبهم لها، وتمسكهم بها، ظاهرة إنسانية شائعة في شعورهم، وملزمة لهم، هذا ما لاحظته الباحثة في دواوينهم الشعرية، وكتاباتهم الأدبية؛ فالوطن عندهم ليس مكان الميلاد والذكريات فحسب، لكنه لحظة عشق يختارها الإنسان حتى الموت<sup>(436)</sup>؛ فهذا هو نسيب عريضة له نفسان، نفس رهينة الوطن وأخرى رفيقة الاغتراب، وهذا يدل على شدة حنينه وولعه بوطنه الذي هجره آملاً تحقيق أمانيه وآماله في العالم الجديد، وكل ذلك لم ينسه الربوع، فيقول:

(434) ديوان إيليا أبي ماضي، ج2، ص125.

(435) صابر عبد الدايم، أدب المهجر، ط1، 1993، دار المعارف، مصر، ص51.

(436) محمد موسى البلولة، الاغتراب والحنين في الشعر المهجري، ص254.

أَنَا الْمُهَاجِرُ ذُو نَفْسَيْنِ وَاحِدَةً \* تَسِيرُ سِيرِي وَأُخْرَى رَهْنِ أَوْطَانِي  
ابْنُ الْعُرُوبَةِ لَا أَسْلُو الرُّبُوعَ وَلَوْ \* كَانَتْ مَثِيرَةٌ أَوْصَابِي وَأَشْجَانِي  
مَا إِنْ أَبَالِي مَقَامِي فِي مَعَارِبِهَا \* وَفِي مَشَارِقِهَا حُبِّي وَإِيمَانِي<sup>(437)</sup>

وهكذا نرى أنَّ الحنين في شعر شعراء «الرابطة القلمية» يرتبط ارتباطاً وثيقاً بالغربة، التي صهرتهم بمرارتها، وقسوة الحياة فيها؛ مما فتق أذهانهم، وألهب مشاعرهم، فصاروا يعيشون بأجسادهم في الغرب، وأفكارهم قد أصبحت وقفاً على أوطانهم في الشرق، وصدق دكتور نظمي بديع حين يقول: «أعطني غربة أعطك حنيناً»<sup>(438)</sup>. ونلاحظ كثيراً ما يذكر شعراء «الرابطة القلمية» أسماء أوطانهم (لبنان وسوريا) في شعر الحنين، يقول أبو ماضي مشتاقاً إلى وطنه لبنان، وإلى صيفه، وشتائه، وهضابه، وتلجه:

اثنان أغيا الدهرَ أن يُبْلِيَهُمَا \* لُبْنَانُ وَالْأَمَلُ الَّذِي لِذَوِيهِ  
نَشْتَاقُهُ وَالصَّيْفُ فَوَقَ هَضَابِهِ \* وَنَحْبُهُ وَالتَّلْجُ فِي وَادِيهِ  
وَطْنِي سَتَبْقَى الْأَرْضُ عِنْدِي كُلَّهَا \* حَتَّى أَعُودَ إِلَيْهِ أَرْضَ التَّيِّهِ<sup>(439)</sup>

وقصيدة «حنين» للشاعر رشيد أيوب خير شاهد على حبه وحنينه إلى لبنان، يقول فيها:

فَحَنِينٌ وَأَنْيُنٌ وَزَفِيرٌ \* ذَاكَ دَأْبِي مُنْذُ وَدَعْتُ الْبِلَادَ  
كَدْتُ مِنْ شَوْقِي لِلْبَنَانِ أَطِيرُ \* حَبَّذَا لَوْ تَمَّ لِي نَيْلُ الْمُرَادِ<sup>(440)</sup>

ونجد أنَّ شعراء وأدباء المهجر الجنوبي أيضاً قد ذكروا أسماء أوطانهم التي هاجروا منها في أشعارهم وكتاباتهم، فالشاعر القروي (رشيد سليم الخوري) يذوب عشقاً وشوقاً وحنيناً إلى وطنه (لبنان)، ولا يشتهي إلا أن يعود إليه، فيقول:

لَعَيْنَيْكَ يَا لُبْنَانُ أَنْقَى تَحِيَةٍ \* يَطِيرُ بِهَا الْأَحْرَارُ مِنْ وَطَنِ حُرٍّ  
أَذُوبُ إِلَى مَرَاكِ شَوْقًا كَأَنَّي \* أَزِيدُ بِقُرْبِي مِنْكَ هَجْرًا عَلَى هَجْرٍ  
فَلَا أَشْتَهِي مِنْ مَائِكَ الْعَذْبَ قَطْرَةً \* وَإِلَّا هَمَّتْ مِنْ مُقْلَتِي عَلَى ثَغْرِي<sup>(441)</sup>

وقد جسد حب الحنين لدى شاعرنا إيليا أبو ماضي الكيان المعنوي للوطن، فجعله

(437) نسيب عريضة، ديوان الأرواح الحائرة، ص 139.

(438) نظمي بديع، أدب المهجر بين الأصالة وفكر الغرب، ص 543.

(439) إيليا أبو ماضي، الأعمال الشعرية الكاملة، ص 591.

(440) رشيد أيوب، ديوان الأبيويات، ط نيويورك، 1916، ص 177.

(441) - القروي رشيد سلسم الخوري، الأعمال الكاملة (الشعر): ط 1، 1992، جروس برس للنشر، لبنان، ص 220.



أرضاً هي في نظره أَمْنَعُ أرض، وسماءً هي في عقيدته أرفع سماء، وربوعاً في إحساسه أعظم ربوع، وناساً هي أكرم عشيرة عليه، وغير ذلك من المعاني الإنسانية السامية النبيلة النابعة من نفس ملؤها الحنين الصادق، والعاطفة الجياشة، وقد ساق تلك المعاني في أبيات قصيدته «تأملات» التي يحن فيها إلى ربوع سوريا ولبنان، فيقول فيه :

الأَرْضُ سُورِيَا أَحَبُّ رُبُوعَهَا \* عِنْدِي وَلِبْنَانُ أَعَزُّ رُبُوعَهَا  
وَالنَّاسُ أَكْرَمُهُمْ عَلَيَّ عَشِيرُهَا \* رُوحِي الْفِدَاءُ لِرَهْطِهَا وَلِإِلَهِهَا<sup>(442)</sup>

وقد ارتاح المهجريون من شعراء «الرابطة القلمية»، للحديث غير المباشر عن الوطن، ووجدوا في الرمز مجالاً أوسع لخيالهم من مجال الحقيقة؛ على أن الشعر الذي قالوه في الحنين مباشرة قام على الصدق والبساطة، وجاء شعراً مؤثراً جميلاً، غير أنهم لو وقفوا عنده واكتفوا به، لما كان لهم هذا الشأن؛ ومن ذلك مدى تجسم الغاب والطبيعة بكل أشكالها وألوانها في شعرهم، وكل ذلك قائم على نوع من الحنين المثالي<sup>(443)</sup>؛ فمثلاً قصيدة «المواكب» لجبران الذي خصّ وطنه الأم (لبنان) بجزء خاص منها، ففيها يتخيل نفسه بين أحضانها يعانق جبالها ويحتضن روابيها:

هَلْ تَخَذْتُ الْعَابِ مِثْلِي مَنْزَلاً دُونَ الْقُصُورِ

فَتَتَبَعَتْ السَّوَاقِي وَتَسَلَّقَتْ الصَّخُورَ<sup>(444)</sup>

والحنين إلى الوطن والبكاء على فراقه ظاهرة إنسانية عامة، لا يستطيع المرء التخلي عنها، مهما بلغ رقيه الحضاري وتطوره المادي وسموه الروحي<sup>(445)</sup>؛ فقد صور القرآن الكريم ظاهرة حب الوطن والتمسك به تصويراً دقيقاً حين جعل الخروج من الديار وقتل النفس متساويين، فيقول الله تعالى: {وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنْ اقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ أَوْ أَخْرِجُوا مِنْ دِيَارِكُمْ مَا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِّنْهُمْ وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَشَدَّ ثَبَاتًا<sup>(446)</sup>، وكان الرسول صلى الله عليه وسلم كثير الحنين إلى وطنه «حتى إنه إغروقت عيناه بالدموع، حين لاحت له بيوت مكة عند الفتح المبين»<sup>(447)</sup>، وكذلك كان الصحابة رضوان الله عليهم يحنون إلى ديارهم؛ وهكذا كان شعراء المهجر مشدودين دائماً إلى الوطن العربي برباط روحي متين ويفخرون

(442) ديوان إيليا أبي ماضي، ج2، جمعه وحققه وشرحه د. عفيف نايف حاطوم، ص70.

(443) إحسان عباس و محمد يوسف نجم، الشعر العربي في المهجر، ط3، 1982، دار صادر، بيروت، لبنان، ص117.

(444) جبران خليل جبران، المجموعة الكاملة (الشعر)، ط1، 1999، دار الجبل، بيروت، لبنان، ص33.

(445) محمد الملا، الحنين في شعر الخليجيات، المجلة العربية، العدد550، يوليو2022، الظهران، السعودية، ص41.

(446) القرآن الكريم، سورة النساء، الآية66.

(447) ينظر: أعلام الهداية، المجمع العالمي، ج1، إيران، 1381هـ، ص180.

بالانتساب إليه؛ وما غاب الوطن لحظة عن ضمير شعراء المهجر، فهو ماثل دائم الحضور في ضمائرهم؛ وقد عبّر عن ذلك أبو ماضي في قصيدته «شبح» بقوله:

لُبْنَانُ فَيْكُمْ مَآثِلُ أَنْ كُنْتُمْ  
فِي مِصْرَ أَوْ فِي الْهِنْدِ أَوْ فِي الصِّينِ  
إِنْ بِنْتُمْ عَنْهُ فَمَا زَالَ الْهُوَى  
يُذْنِكُمْ مِنْهُ كَمَا يُذْنِنِي  
وَحَرَائِكُمْ لِعِلَائِهِ وَسُكُونَكُمْ  
وَإِلَى تَرَاهُ حَنِينُكُمْ وَحَنِينِي<sup>(448)</sup>

وتظل العودة إلى الوطن ومراتع الصبا، وتذكر الأهل، أشياء تراود حلم كل شاعر من شعراء الرابطة القلمية، فهذا هو الشاعر إيليا أبو ماضي من نفس القصيدة السابقة «شبح»، يقول:

يَا شَاعِرِي قُلْ لِلأَى هَجَرُونِي \* أَنَا مَا نَسَيْتُكُمْ فَلَا تَنْسُونِي  
مَا بِالْكُم طَوْلْتُمْ حَبْلَ النَّوَى \* يَا لَيْتَ هَذَا الْحَبْلَ غَيْرُ مَتِينٍ<sup>(449)</sup>

فالقصيدة كما تبدو، رسالة أنشأها الشاعر إيليا أبو ماضي على لسان وطنه «لبنان»، إلى أبنائه، وتصور مدى تعلقهم بوطنهم الأم، وأنهم لا محال عائدون إليه متى ما سنحت الفرصة.

ولم يكتف شاعرنا أبو ماضي بذلك، بل يناجى البلاد العربية، فما هي إلا امتداد لوطنه، وهي على بعدها أقرب إلى قلبه من نيويورك، وشوارعها الساخبة، فهذا هو يناجي مصر ولبنان في قصيدته «عيد النّهي»، قائلاً:

وَطَنَانِ أَشَوْقُ مَا أَكُونُ إِلَيْهِمَا \* مِصْرُ التّي أَحْبَبْتُهَا وَبِلَادِي  
وَمَوَاطِنُ الْأَرْوَاحِ يَعْظُمُ شَأْنُهَا \* فِي النَّفْسِ فَوْقَ مَوَاطِنِ الْأَجْسَادِ<sup>(450)</sup>

وها هو رشيد أيوب؛ فذكريات وطنه وأهله، تهيج لواعج الشوق والهوى في نفسه، فيقول:

يَا ثَلْجُ قَدْ هَيَّجْتَ أَشْجَانِي \* نَكَّرْتَنِي أَهْلِي بِلُبْنَانِ  
بِاللّهِ عَنِّي قُلْ لِإِخْوَانِي \* مَا زَالَ يَزْعَى حُرْمَةَ الْعَهْدِ

(448) إيليا أبو ماضي، الأعمال الشعرية الكاملة، ص 408.

(449) المرجع السابق، ص 405.

(450) إيليا أبو ماضي، ديوان الجداول، ط 17، 1986، دار العلم للملايين، بيروت، ص 129.

كَمْ قَدْ جَلَسْتُ بِحُضْنِهِ الْهَادِي \* فَكَأَنَّنِي فِي جَنَّةِ الْخُلْدِ<sup>(451)</sup>

وإذا نظرنا نظرة متأنية في دواوين رشيد أيوب الثلاثة - الأيوبيات، أغاني الدرويش، هي الدنيا - نلاحظ مدى تعلقه بأرض الوطن، وتوقه لمراتع الصُّبا، فقد بكى واستبكى، وجعل روحه معلقة بوطنه، فهذا هو يقف على نهر «الهدسن» في مدينة نيويورك، قائلاً:

تَذَكَّرْتُ أَوْطَانِي عَلَى شَاطِئِ النَّهْرِ \* فَجَاشَتْ لَهَيْبِ الشُّوقِ فِي مَوْضِعِ السَّرِّ  
وَأَرْسَلْتُ دَمْعاً قَدْ جَنَّتْهُ يَدُ النَّوَى \* عَلَيَّ فَأَمْسَى فِي مُنْتَجَبِ الْقَطْرِ  
أَصْوَعُ الْقَوَائِي حَالِيَّاتِ نُحُورِهَا \* عَرَائِسُ أَبْكَارٍ بَرَزْنَ مِنَ الْخِذْرِ  
فَلَا النَّارُ فِي صَدْرِي تَجْفَأُ أَدْمُعِي \* وَلَا عِبْرَاتِي تَطْفِئُ النَّارَ فِي صَدْرِي<sup>(452)</sup>

والحق الذي يقال إنَّ ولاء أدباء الرابطة القلمية، وحبهم لوطنهم الأم في أن يروه حراً قوياً ناهضاً، هو الأمر الذي شغل أفكارهم، فإنَّ كان قد فاتهم شرف مقاومة الظلم والمستعمر، والدفاع عن سائر المعوقات الأخرى لظروف البعد، فلم يفتهم شرف التعبير بiraعهم، يهاجمون به المستعمر وكل المعوقات بجرأة نادرة؛ فهذا هو نسيب عريضة من خلف ذاك الخضم البعيد يُرسل التَّحايا لـ «فلسطين»، ويشيد بجهاد أهلها ضد المستعمر البغيض، فيقول:

وَمَنْ خَلَفَ هَذَا الْخِضَمَّ الْبَعِيدَ \* نُحْيِيكَ بِالْدمْعَةِ الْمُخْرِقَةِ  
جِهَادُكَ أَوْزَى زِنَادِ النُّفُوسِ \* فَطَارَتْ شَرَارَتُهَا مُبْرِقَةً  
جِهَادٌ مَلَاتَ بِهِ الْخَافِقِينَ \* فَضَاقَتْ بِهِ الْقُوَّةُ الْمُرْهَقَةُ<sup>(453)</sup>

يقول جورج صيدح: «وجاءت الحرب العالمية الأولى بويلاتها وراح جمال السفاح ينكّل بزعماء سورية ولبنان ويجوِّع الشعب، فحالما تناهت إلى المهجر أخبار هذه الفظائع هبت الجوالي إلى عقد الاجتماعات، وقام الأدباء يستدرون الأكف لجدة المنكوبين، وفي طليعتهم إيليا أبو ماضي، قال لمواطنيه في نيويورك:

يَا لَهَوْلِ الْخُطْبِ يَا لِلْفَاحِةِ \* أُمَّةٌ تَفْنَى وَأَنْتُمْ تَلْعَبُونَ؟  
أَبْسُطُوا أَيْدِيَكُمْ يَا أَغْنِيَاءَ أَبْعَضِ \* السَّحْبِ إِلَى الصَّادِي الْجَهَامِ<sup>(454)</sup>

ونخلص إلى أنَّ شعراء الرابطة القلمية وأدباءها، بالرغم من قساوة الحياة التي

(451) رشيد أيوب، الأعمال الشعرية الكاملة، ط1، 2018، دار بيسان، بيروت، لبنان، ص212.

(452) رشيد أيوب، ديوان الأيوبيات، ص37.

(453) نسيب عريضة، ديوان الأرواح الحائرة، ص32.

(454) إيليا أبو ماضي، الأعمال الشعرية الكاملة، ص345.

عاشها كثير منهم في بلاد الغرب، لم ينسوا أوطانهم؛ بل زادت تلك المعاناة من  
نعمات حنينهم إلى أوطانهم، وظلوا مرتبطين بها بعوامل شتى، فهناك طبيعة بلادهم  
الجميلة التي لم يكن من السهل عليهم نسيانها والتي كانوا دوماً يحنون إليها  
ويتمثلونها في جمال الرياض وخير الأنهار، وحفيف الأشجار وغناء الطيور؛ كما  
قال أمير الشعراء، أحمد شوقي:

وطني لو شغلت بالخلد عنه \* نازعتني إليه في الخلد نفسي<sup>(455)</sup>

(455) - أحمد شوقي، ديوان الشوقيات، ج2، ط1، 2012، مؤسسة هنداوي، القاهرة، ص430.

## المبحث الثاني التسامح الديني

هاجر شعراء الرابطة القلمية إلى بلاد المهجر، حاملين معهم تلك النظرة المتمثلة في التعصب الديني والطائفي الذي عانوا من ويلاته في أوطانهم، وإذا بهم يجدون في بلاد المهجر تقديس الحرية في المعتقدات، فتسربت إلى قلوبهم هذه النظرة السمة الواسعة إلى الدين، فتغنوا بهذه

السماحة الدينية والتي سرت في أعمالهم الأدبية ولونت مشاعرهم، وكانت الحرية الدينية مذهبهم، ولم يعرفوا التعصب الذي يحجب الحقيقة عن الإنسان).

يقول جبران خليل جبران: «خذوها يا مسلمين كلمة من مسيحي أسكن يسوع في شطر حشاشته ومحمداً في الشطر الثاني»، فزعيم أدباء المهجر الشمالي «جبران» فقد تميز بتسامح ديني ظاهر، وما ذكر المعبود في كتاباته إلا ذكر المسجد، وما ذكر الهيكل إلا ذكر المحراب؛ فقد دعا إلى نبذ العصبية الطائفية والفرقة على أساس اختلاف الدين<sup>(456)</sup>، يقول في قصيدته «المواكب»:

وَالَّذِينَ فِي النَّاسِ حَقْلٌ لَيْسَ يَزْرَعُهُ \* غَيْرِ الْأَوَّلَى لَهُمْ فِي زَرْعِهِ وَطَرٌ  
فَالْقَوْمُ لَوْلَا عِقَابُ الْبُعْثِ مَا عَبَدُوا \* رَبًّا وَلَوْلَا الثَّوَابُ الْمُرْتَجَى كَفَرُوا<sup>(457)</sup>

وبهذا يكون جبران خليل جبران قد حمل لواء الثورة على التعصب والطقوس الدينية والمعتقدات ورجال الدين الذين زيفوا رسالة المسيح<sup>(458)</sup>، وهو الذي يقول: «أحبك يا أخي ساجداً في جامعك، وراكعاً في هيكلك، ومصلياً في كنيسةك، فأنت وأنا أبناء دين واحد، هو الروح»<sup>(459)</sup>، وهو الذي يقول أيضاً: «كلنا ندين بدين التوحيد، كلنا نوحده الله ولا نرجع في النهاية إلى سواه .. نحن أبناء الأديان التوحيدية، أفلا ينبغي أن يكون الوطن كذلك واحداً»<sup>(460)</sup>. كما لجبران مقال بعنوان «رسالة إلى المسلمين من شاعر مسيحي»، ترى فيها ذلك التسامح الديني والحب العميق للدين الإسلامي والمسلمين، ومما جاء فيها: «أنا مسيحي ولي فخر بذلك، ولكنني أهوى النبي العربي، وأكبر اسمه، وأحب مجد الإسلام وأخشى زواله»<sup>(461)</sup>.

(456) مرتضى بابكر أحمد، التسامح الديني لدى شعراء المهجر المسيحيين، مجلة النيل للآداب والعلوم الإنسانية، جامعة وادي النيل، السودان، م3، العدد الأول، 2022، ص57.

(457) جبران خليل جبران، المواكب، (د ط)، 2018، دار المؤلف للطباعة والنشر، لبنان، ص3.

(458) حسن جاد حسن، الأدب العربي في المهجر، ص402.

(459) المرجع السابق، ص403.

(460) حسن جاد حسن، الأدب العربي في المهجر، ص402.

(461) المحمد محمد، صحيفة أخبار الخليج، العدد 15836، البحرين، أغسطس 2021، ص9.

كما نرى ميخائيل نعيمة يدعو الله أن يجعل قلبه واحة تسقي القريب والغريب، يقول في قصيدته « ابتهالات » من ديوانه « هَمْسُ الْجُفُونِ »:

كَحَلِ اللّٰهُمَّ عَيْنِي  
بِشُعَاعٍ مِنْ ضِيَاكَ  
كَيْ تَرَكَ  
وَأَجْعَلَ اللّٰهُمَّ قَلْبِي  
وَاحَةً تَسْقِي الْقَرِيبَ وَالْغَرِيبَ  
مَاؤُهَا الْإِيمَانُ ، أَمَا غَرُسُهَا  
فَالرَّجَاءُ وَالْحُبُّ وَالصَّبْرُ الطَّوِيلُ<sup>(462)</sup>

وبهذه الطريقة نلاحظ أن شعراء الرابطة القلمية يشيرون التسامح الديني بين الإنسانية جمعاء، بغض النظر عن دينهم ومذاهبهم ومعتقداتهم. وكان من نتائج هذه النظرة الواسعة إلى الأديان بين شعراء الرابطة القلمية وشعراء المهجر عامة، أننا نجد كثيراً في دواوينهم الشعرية شاعراً مسيحياً يشيد بالإسلام وبمحمد صلى الله عليه وسلم وصحابته الكرام، كما نجد شاعراً مسلماً يشيد بالمسيح عيسى عليه السلام، وبمحببة المسيح وحببه للسلام، فهذا رشيد أيوب، يقول:

فَمَنْ يَا تُرَى أَعْلَى الْوَرَى كُمَحَمَدٍ وَأَرْفَعَهُمْ مَجْدًا وَأُسَمِّي مَنَاقِبًا<sup>(463)</sup>

ولميخائيل نعيمة مقال في « الزهد والزاهدون » يذكر فيه قول الإمام عليّ - رضي الله عنه - في الزهد في الدنيا فيقول: « وقول الإمام عليّ، وهو كذلك قليل من كثير: إنَّ دنياكم لأهون عليّ من ورقة في فم جرادة تقضمها؛ ما لعلّي ونعيم يفنى، ولذا لا تبقى »<sup>(464)</sup>.

وقد بيّن بعض الباحثين العوامل التي ساعدت على شيوع روح التسامح الديني بين شعراء المهجر، ودفعتهم إلى هذا الانطلاق في آفاق الحرية الدينية، منها:

1. معتقدتهم الديني، فقد كانت عقيدة شعراء المهجر المسيحية من أهم العوامل التي ساعدت على شيوع روح التسامح الديني بينهم، ففي معتقدتهم الديني؛ على الإنسان أن يشعر بجزئه الإلهي فيتعالى بذلك على رغباته وشهواته، ويرجع روحه على جسده، ويكبح جماح نفسه بالفضائل، وفي الإنجيل كثير من هذه

(462) ميخائيل نعيمة، ديوان همس الجفون، ص 36.

(463) رشيد أيوب، ديوان الأيوبيات، ص 37.

(464) محمد خاقاني ومحمد رضا عزيز، المديح النبوي وبواعثه في الشعر المهجري، مجلة الجمعية العلمية للغة العربية وآدابها،

إيران، العدد 9، 2008، ص 19.

المعاني، من ذلك: «سمعت أنه قيل تحب قريبك وتبغض عدوك، وأما أنا فأقول لكم أحبوا أعداءكم وباركوا لأخيكم وصلوا الأهل الذين يسيئون إليكم ويطردونكم، لكي تكونوا أبناء أبيكم الذي في السماوات»<sup>(465)</sup>.

2. الحب المسيحي المصبوغ بفلسفة أفلاطون، وتصوف الغزالي وابن عربي، ومثالية الفارابي وابن سينا؛ فالتصوف عندهم هو حلقة الوصل بين المسيحية والإسلام.

3. كان شعراء المهجر يعتبرون الإسلام بعداً روحياً وفكرياً ساهم في تكوينهم النفسي والعقلي فضلاً عن كونه رابطاً قومياً، لذا نراهم يذكرون الإنجيل إلى جانب القرآن الكريم، ومحمداً صلى الله عليه وسلم إلى جانب يسوع.

4. إعجابهم بأبي العلاء المعري، دفعهم إلى هذا الانطلاق في أفاق الحرية الدينية، فهم لا يكتمون إعجابهم بأرائه ونزعاته الدينية وغيرها.

ومن مظاهر ذلك التسامح الديني لدى شعراء الرابطة القلمية، تأثرهم بآيات القرآن الكريم، فكانوا يعجبون بها، ويقتبسون منها ويستشهدون ببعض الآيات الكريمة في أشعارهم، فنلاحظ الشاعر إيليا أبو ماضي ضمن بعض الألفاظ القرآنية في أشعاره - مثلاً- في قوله:

سَرَى يَطْوِي بِنَا الْأَمِيَالَ طَيًّا \* كَمَا تَطْوِي السَّجِلَّ أَوْ الْإِزَارَا  
فَلَمْ نَذِرْ وَجُنْحُ اللَّيْلِ دَاجٍ \* أَبْرَقًا مَا رَكِبْنَا أَمْ قَطَارَا<sup>(466)</sup>

فالكلمتان: يطوي والسجل، تستدعيان الآية الكريمة: {يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السَّجِلِّ لِلْكِتَابِ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعَدًا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ}<sup>(467)</sup>، كذلك في قوله:

مَا بَالُ قَوْمِي كُلِّمَا اسْتَضَرَّخْتُهُمْ \* وَضَعُوا أَصَابِعَهُمْ عَلَى الْأَذَانِ<sup>(468)</sup>

فَعُجْزَ الْبَيْتِ مَأْخُوذٌ مِنْ قَوْلِهِ تَعَالَى: {وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ...}<sup>(469)</sup>، أيضاً من مظاهر ذلك التسامح الديني، مدح النبي «محمد» صلى الله عليه وسلم وعلى آله الكرام، والإشادة بالدين الإسلامي، دين الإسلام ودين التسامح والحب والإخاء، والتغني بمجد وتاريخ الدولة الإسلامية، وبث روح الإيمان بالقومية

(465) إنجيل متى، الإصحاح الخامس، الآية 43-45.

(466) ديوان إيليا أبي ماضي، ج2، جمعه وحققه وشرحه د. عفيف نايف حاطوم، ص75.

(467) القرآن الكريم، سورة الأنبياء، الآية 104.

(468) زهير مرزا، إيليا أبو ماضي شاعر المهجر الأكبر، ص270.

(469) القرآن الكريم، سورة نوح، الآية 7.

العربية لتحل محل الانتماء الديني؛ بإعتبار أنَّ العروبة وسيلة من وسائل القضاء على التعصب الديني، فهذا هو رشيد أيوب وقد خلص من التعصب جملة، واتسعت نظرتة الدينية، يقول:

أَصْلِي لِمُوسَى ، وَأَعْبُدُ عِيسَى \* وَأَتْلُو السَّلَامَ عَلَى أَحْمَدَ<sup>(470)</sup>

أمَّا الشاعر رياض معلوف فنجدته يشارك إخوانه المسلمين في الاحتفال بعيد المولد النبوي الشريف، فيقول من قصيدة عنوانها «وحد الله»:

وَحَدَّ اللَّهُ فَالْمُؤَذِّنُ وَحَدَّ \* وَبِذِكْرِ النَّبِيِّ فِي الْعِيدِ أَنْشَدُ  
يَا رَسُولَ الْأَنَامِ أَنْتَ وَعِيسَى \* خَيْرُ مَنْ يُصْطَفَى وَيُرْجَى وَيُقَصَّدُ<sup>(471)</sup>

إنَّ احتكاك المهجريين بأقوام يعظمون الجامعة الوطنية ويرفعونها فوق التعصبات الدينية، قد أثار في نفوسهم عاطفة النفور من التعصب الديني وقادهم إلى شيء من الحرية الفكرية والدينية فدعوا العرب كافة إلى نبذ التعصب الذي يوقع الأمة في الهوان والمذلة، دعوهم إلى التعاون الوطني والتساهل في الأمور والإعراض عن التفرقة الدينية<sup>(472)</sup>، يقول الشاعر «القروي» في المهجر الجنوبي:

شَغَلْتُ قَلْبِي بِحُبِّ الْمُصْطَفَى \* وَعَدَّتْ عُرْبَتِي مَثَلِي الْأَعْلَى وَإِسْلَامِي

من هنا نلاحظ أنَّ دعوات التسامح الديني ونبذ التعصب الطائفي في مدرسة المهجر، ليست وقفاً على شعراء الرابطة القلمية في المهجر الشمالي، فأيضاً هذه النزعة الإنسانية، كانت متأصلة لدى شعراء المهجر الجنوبي ولاسيما شعراء وأدباء (العصبة الأندلسية)؛ فللشاعر «إلياس فرحات» قصيدة بعنوان «يا رسول الله» تسامى فيها بعيداً عن التعصب الطائفي والمذهبي والديني، نظَّمها في مدح رسولنا الكريم محمد صلى الله عليه وسلم، يقول فيها:

يَا نَبِيَّ الْأَعْرَابِ وَالْإِسْلَامِ \* عِنْدَكَ الْيَوْمَ بَهْجَةٌ لِلْأَنَامِ  
أَنْتَ يَا صَاحِبَ الرِّسَالَةِ فَخْرٌ \* أَنْتَ أَهْلٌ لِلْمَدْحِ وَالْإِكْرَامِ<sup>(473)</sup>

وله قصيدة أيضاً في مدح الرسول صلى الله عليه وسلم، جاء فيها:

(470) رشيد أيوب ، ديوان الأيوبيات ، ص 14 .

(471) رياض معلوف ، ديوان خيالات ، سان باولو ، البرازيل ، 1945 ، ص 46 .

(472) أنيس المقدسي، الاتجاهات الأدبية في العالم العربي الحديث، ص 284.

(473) ديوان فرحات الجزء 1-3، منظمة جميل صفدي، سان باولو، البرازيل، 1954، ص 65.



غَمَرَ الْأَرْضَ بِأَنْوَارِ النُّبُوَّةِ \* كَوُكِبَ لَمْ تُدْرِكِ الشَّمْسُ عُلوَّهُ<sup>(474)</sup>

ويقول الشاعر السوري جورج صيدح الذي أقام في الأرجنتين:

يَا مَنْ سَرَيْتَ عَلَى الْبَرَاقِ \* وَجِزْتَ أَشْوَاطَ الْعَنَانِ  
أَنْ الْأَوَانُ لِأَنْ تَجَسَّدَ \* لَيْسَلَةَ الْمِعْرَاجِ أَنْ<sup>(475)</sup>

وكثير من شعراء الرابطة القلمية كانوا يرون أنَّ الإيمان الحق والدين الصحيح إنما هو في الخلق الطيب والأخوة الإنسانية، والتسامح الجميل؛ كما يقول إيليا أبو ماضي في قصيدته « كتابي »:

فَدِينِي كَدِينِ الرُّؤُصِ يَعْْبُقُ بِالشَّدَى \* وَلَوْ لَمْ يَكُنْ فِيهِ سِوَى اللَّصِّ مُنْسَلَا<sup>(476)</sup>

إنَّ دعوات التسامح الديني التي ظهرت جليّة في أدب هؤلاء المهجريين، جاءت كردة فعل لتلك الظروف الصعبة المتمثلة في التعصب الديني الأعمى والنزاع الطائفي المرير الذي واجهوه في أوطانهم وكان سبباً في هجرتهم إلى تلك البلاد النائية، بالإضافة إلى تأثرهم بالبيئة العربية والإسلامية التي ترعرعوا فيها.

على أنَّ هذه النظرة الرحبية من شعراء المهجر (الشمالي والجنوبي) إلى الأديان، واشترآكهما جميعاً في دعوة الحق، والخير، والحب، والسلام، والفضيلة، لم تقطع ما بين هؤلاء الشعراء وبين ربهم، رب العباد جميعاً والأديان؛ فنلاحظ من خلال آدابهم الشعرية والنثرية، أنَّهم مبتهلون إلى ربهم ومؤمنون به؛ دليلاً على إنسانيتهم الشاملة وإيمانهم الراسخ بوحداية الحياة والوجود، فها هو ميخائيل نعيمة - مثلاً - ، يقول:

كَحَلِّ اللّهُمَّ عَيْنِي بِشُعَاعٍ مِنْ ضِيَاكِ - كَي أَرَكَ

فِي نُورِ الْجَوْ فِي مَوْجِ الْبَحَارِ<sup>(477)</sup>

وهاهو الشاعر الإنسان «رشيد أيوب»، يدعو الله ويتضرع إليه، لأنَّ يمنح رجلاً أعمى النور إلى عينيه، فيقول:

ثُمَّ نَادَ اللَّهَ كَالطِّفْلِ الصَّغِيرِ \* ضَعْ إِلَهِي نَظْراً فِي مُقْلَتِيهِ<sup>(478)</sup>

(474) موقع كتارا الإلكتروني، جائزة كتارا للرواية العربية، الدوحة، يونيو 2018.

(475) جمال الشرقاوي، الرسول في عيون الشعراء المسيحيين، صحيفة صدی البلد الإلكترونية، نوفمبر 2018.

(476) إيليا أبو ماضي، الأعمال الشعرية الكاملة، ص 291

(477) ميخائيل نعيمة، ديوان همس الجفون، ص 7.

(478) رشيد أيوب، ديوان أغاني الدرويش، ط 1، 2012، مؤسسة هندواي، القاهرة، مصر، ص 160.

وهذا نسيب عريضة، يضنيه الألم، وقد ضاقت به سبل المنى، فلا يجد ملاذاً إلا في الابتهاال إلى الله تعالى، فيقول:

أَيَا مَنْ سَنَاهُ اخْتَفَى \* وَرَاءَ حُدُودِ الْبَشَرِ  
نَسِيْتُكَ يَوْمَ الصَّفَا \* فَلَا تَنْسَنِي فِي الْكَدَرِ<sup>(479)</sup>

نخلص إلى أنَّ التسامح الديني الذي يتسامي على الفوارق والعصبيات، ويتجه اتجاهاً إنسانياً يجمع الناس في ظل الإخاء البشري تحت لواء الله تعالى، أو قومياً يوحد بين أبناء الأديان المختلفة في صف الإنسانية والقومية العربية؛ لهو من أبرز اتجاهات النزعة الإنسانية ومظاهرها عند شعراء الرابطة القلمية؛ فقد كانوا يعتبرون الناس جميعاً في نظر الإنصاف والتقدير السليم والسماحة والمعنى الإنساني الواسع الكريم متساوون أمام الله تعالى، فلا وجه لإثارة الخلاف الديني والتعصب المذهبي بينهم؛ والدين في نظر جبران خليل جبران، هو ما أنار القلب، يقول: «فلا فرق إذ ذاك عندي أن ذكر بين الدراويش، أو سجد مع اليسوعيين، أو اغتسل في نهر الكنج مع البوذيين»<sup>(480)</sup>.

(479) نسيب عريضة، ديوان الأرواح الحائرة، ط نيويورك، 1946 .

(480) محمد عبد الغني حسن، الشعر العربي في المهجر، ص48.

## المبحث الثالث الإخاء والمساواة

لم تجمع بين شعراء الرابطة القلمية قرابة النسب العربي فحسب، بل جمعت بينهم المعاناة والقساوة والغربة، وبعدهم عن أوطانهم وأهلهم، ومرايع صباهم، لذا ارتقوا في قيم الإخاء والتسامح للحد الذي يطلب فيه المجنى عليه الصفح من الجاني، وفي ذلك يقول ندره حداد داعياً للأخوة

والتسامح:

أَنَا رَاضٍ بِالْعَصَا يَأْتِيهَا الْحَامِلُ رُمَحَكَ  
وَسَأَنْسَى جُرْحَ قَلْبِي كُلَّمَا شَاهَدْتُ جُرْحَكَ  
وَأَرَى لَيْلِكَ لَيْلِي وَأَرَى صُبْحَكَ صُبْحِي  
وَإِذَا أَخْطَأْتُ نَحْوِي فَأَنَا الطَّالِبُ صَفْحَكَ<sup>(481)</sup>

وقد فاض نبض المهجريين أخوة وسلاماً وتسامحاً ورحمة ووفاء بنزوعهم الإنساني؛ فنلاحظ أن نفوسهم تذوب أسي وحسرة لصور البؤس التي يعاني منها الفقراء، الذين طحتهم مادية الغرب، فينادي «أبو ماضي» مسترخياً مسترحماً لهم فيقول:

وَا رَحْمَتَا لِلْبَائِسِينَ فَإِنَّهُمْ \* مَوْتَى وَتَحَسَبُهُمْ مِنَ الْأَحْيَاءِ  
إِنِّي وَجَدْتُ حُظُوظَهُمْ مُسَوْدَةً \* وَكَأَنَّمَا قُدَّتْ مِنَ الظُّلُمَاءِ<sup>(482)</sup>

ونرى «نسيب عريضة» يسخو بكل ما يملك لأخلائه طالما وجد إلى العطاء سبيلاً، فإذا ما تبدلت به الأحوال ونزلت به الخطوب فإنه يضمن بالصديق أن يشاركه الضنك، شعوراً منه في النزوع الإنساني، حيث يقول<sup>(483)</sup>:

أَعْطِنِي فِي الرَّخَاءِ خِلاً يَقْضِي \* زَمَنَ اللَّهْوِ وَالْمَسَرَّاتِ عِنْدِي  
وَإِذَا مَا مَضَى الرَّخَاءُ فَدَعْنِي \* لِقِرَاعِ الْخُطُوبِ فِي الْعَيْشِ وَخُدِي

فنلاحظ كيف صور لنا «نسيب عريضة» قمة الإخاء، وذلك بالإيثار للصديق بالمسرات، وإفراد النفس بمخاشنة العيش، وعلى طريق الإيثار للآخرين بما يفرحهم، ويحجب الأحزان عنهم؛ وفي ذلك يقول «جبران»: «ما أنبل القلب الحزين الذي لا يمنعه حزنه على أن ينشد أغنية مع القلوب الفرحة»<sup>(484)</sup>.

(481) ندره حداد ، ديوان أوراق الخريف ، ص45.

(482) إيليا أبو ماضي، الأعمال الشعرية الكاملة، ص516.

(483) جورج صيدح ، أدبنا وأدبنا، ص276.

(484) نظمي بدیع، أدب المهجر بين الأصالة وفكر الغرب، ص538.

وفي رفق وأخوة نجد «نسيب عريضة» يدعو إلى التعاون والتعاقد والتكافل حتى ولو كان فيه الضعف سندا لضعف بدءاً منه للوصول إلى القوة شأن الإنسانية الواعية، فيقول<sup>(485)</sup>:

يَا أَخِي يَا رَفِيقِي عَزْمِي وَضَعْفِي \* سِرٌّ نَكَابِدُ إِنَّ الشَّجَاعَ الْمَكَابِدُ  
فَإِذَا مَا عَيِيْتُ تَسْنُدُ ضَعْفِي \* وَأَنَا بَعْدَ ذَا لِضَعْفِكَ سَانِدٌ<sup>(486)</sup>

فالحياة في نظره أقصر من أن تضيع في حقد وخصام وصراع وجهالة، عندما يقول:

إِنَّ هَذِي الْحَيَاةَ أَقْصَرُ مِنْ أَنْ تَشْغَلَ الْمَرَأَ بُرْهَةً بِعَلَالَةٍ  
فَعَلَامَ الزَّحَامِ وَالرَّكْضِ وَالْحِقْدِ؟ عَلَامَ الْخِصَامِ؟ فِيمَ الْجَهَالَةِ؟

-----

فَلَنَسِرْ صَاحِبِينَ فِي مُهْمَةٍ \* الْعَيْشِ فَنَنْطَوِي وَهَادِهِ وَتَلَالِهِ  
يَا ابْنَ وَدِّي يَا صَاحِبِي يَا صَدِيقِي \* لَيْسَ حُبِّي تَطْفُلًا أَوْ ثَقَالَهُ<sup>(487)</sup>

نلاحظ أنها دعوة إنسانية مخلصة باسم الأخوة، والصداقة والصحبة والود، لتحقيق التنافس الشريف والمساواة في السعي وكسب العيش، وهي دعوة إصلاحية حاول بها شعراء المهجر نقل التعاليم السماوية التي ترووا بها في المشرق ليصلحوا بها ما أمكنهم مجتمع المهجر الذي خلا من الروح، وقتلته المادة، وباعد بينه وبين النزوع الإنساني<sup>(488)</sup>.

ونجد «ندرة حداد» يهاجم الأغنياء وخاصة البخلاء منهم، حتى لا ينجو من هجاته أقرب أقربائه ما دام من أهل اليسر والمال، فهو يوجه إلى قريبه «ميشال حداد» مقطوعة بعنوان «أصحاب القصور» يبدوها بقوله<sup>(489)</sup>:

مِيشَالُ مَا الدُّنْيَا بِخَالِدَةٍ \* لِلْمَرْءِ إِنْ لَمْ يَخْلِدِ الذِّكْرُ<sup>(490)</sup>

فالشاعر ندرة حداد منذ البداية يزهد صاحبه في الدنيا ويقلل من قيمتها أمامه، ويدعوه إلى عمل شيء يحقق الإخاء والمساواة ويبقى له ذكراً خالداً، فإن القصور لا

(485) حسن جاد حسن ، الأدب العربي في المهجر ، ص328.

(486) ديوان الأرواح الحائرة، نسيب عريضة، ص36.

(487) المرجع السابق، ص46.

(488) أدب المهجر بين الأصالة وفكر الغرب، مرجع سابق، ص536.

(489) جورج صيدح ، أدبنا وأدباؤنا، ص149.

(490) ندرة حداد، ديوان أوراق الخريف ، ص144.

تدوم؛ وبالطبع هو يدعو إلى الجود بماله والتكرم مما أعطاه الله حتى ينتفع الكل بماله فلا يقتصر عليه وحده.

فنحن نلاحظ أنَّ «ندرة حداد» وإن كان يميل في داخل نفسه إلى الزهد والبعد عن ملذات الدنيا، فإنَّه في الوقت نفسه يغبط هؤلاء الأغنياء الذين يقابلهم فيجد مظاهر السعادة تلوح في وجوههم، وهو ولا شك يودُّ لو كان منهم - في غير حسد أو حقد - لما بخل بما لديه كما بخلوا هم، ولا ضنَّ على الفقراء الذين لا يملكون ما يملك، وإنَّه يعترف بأنَّ المال شيء نافع في هذه الدنيا وهو منبع السعادة، ولكن يجب أن يتوجَّ بالعطاء، فهو الذي يصونه من النقصان ويسجل لصاحبه الحمد والشكر بعد الفناء<sup>(491)</sup>.

وهامو الشاعر الإنسان «رشيد أيوب» يدق قلبه ويتمزق بعد رؤيته رجلاً أعمى، فيتضرع إلى الله بقلب مرهف أن يضع الله تعالى نظراً لعينيه فيقول:

دَقَّ قَلْبِي دَقَّةَ الْعُطْفِ الْكَثِيرِ \* لَضَرِيرٍ ضَاقَتْ الدُّنْيَا لَدَيْهِ  
ثُمَّ نَادَا اللَّهَ كَالطِّفْلِ الصَّغِيرِ \* ضَعُ إِلَهِي نَظْرًا فِي مُقْلَتَيْهِ<sup>(492)</sup>

نستشف في هذه الأبيات الروح الإنسانية العظوفة الصادقة، تلك الروح التي ملئت خيراً ومحبة للجميع، وقد تخير الشاعر صورة معبرة مؤثرة تنم عن مدى نزعته الإنسانية النبيلة تجاه الفقراء والبسطاء؛ فلقب «الدرويش» ولقب «الشاكي» للشاعر رشيد أيوب قد يبرزان سمات كثيرة في شعره، ولكنهما لا يحملان كل خصائص فنه الشعري المتدفق إنسانية وإخاء وتسامح، وتطلعه للعدل والسلام في الحياة، كل هذه العناصر يجدها المتصفح لدواوينه ماثلة في قصائده، وتلك العناصر والخصائص تكاد تكون طابعاً عاماً لشعراء المهجر الشمالي، المتفائلين منهم والمتشائمين.

ونلاحظ أنَّ هذه الدعوة الإنسانية الشاملة مبثوثة في دواوين شعراء الرابطة القلمية جميعاً، وكل شعراء الرابطة القلمية يبغون النفع للناس ولا يمسكون أيديهم أو يغلونها إلى أعناقهم، كلهم يدعو للجود بالمال والتضحية بالنفس، والمساعدة وحب العون والأخذ بيد المحتاج<sup>(493)</sup>.

إنَّ روح الإخاء والمساواة والمحبة والتسامح، فاض بها نبض شعراء «الرابطة القلمية» وفاء بنزوعهم الإنساني، ولقد وصلوا في السماحة إلى حد الفلسفة لها حيث يصبح المجنى عليه جانياً يطلب الصفح، يقول «ندرة حداد»:

(491) - المرجع السابق، الصفحة نفسها.

(492) - رشيد أيوب، ديوان أغاني الدرويش، ص 160.

(493) - نادرة جميل سراج، شعراء الرابطة القلمية، ص 150.

وَإِذَا أَخْطَأَتْ نَحْوِي \* فَأَنَا الطَّالِبُ صَفْحَكَ (494)

ونجد نفس المعنى وبنفس الروح عند الشاعر «القروي» بالمهجر الجنوبي، في قوله:

كَمْ صَاحِبٍ حِرْصاً عَلَى وَدِّهِ \* طَلَبْتُ أَنْ يَغْفِرَ لِي ذَنْبَهُ (495)

فالمعنى الإنساني الذي طرّقه «ندرة والقروي» وإن بدأ شديداً على النفس الالتزام به، إلا أنه يمثل التزاماً بأخلاقيات الأديان في الشرق، وإصلاحاً للنفس البشرية، يقول تعالى: {الَّذِينَ يَنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاطِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ} (496)؛ غير أننا نلمح مثل هذا اللون من المعاملة قد صدر من مخزومي شعراء الدولتين الأموية والعباسية، يقول شاعرهم:

إِذَا مَرَضْنَا أَتَيْنَاكُمْ نَعُودُكُمْ \* وَتَذُنُّونَ فَنَأْتِيَكُمْ وَنَعْتَزِرُ (497)

والمعنى عند كل من الشعارين «ندرة والقروي» يدور في فلك معاني «أبي العتاهية» فيما ورد عنه من قوله: «يظلمني وأرحمه»، وتفوق عليهما «ندرة» في بكائه من أجل ظالمه بعد شكره وغفرانه مظلمته لما في ذلك من اليد الطولى التي كشفت خفي الخلق الذي تنطوي عليه نفسية كل من الظالم والمظلوم، فهنا نتأمله يقول:

إِنِّي شَكَرْتُ لِظَالِمِي ظُلْمِي \* وَغَفَرْتُ لَهُ ذَاكَ عَلَى عِلْمِي  
فَكَأَنَّمَا الْإِحْسَانُ كَانَ لَهُ \* وَأَنَا الْمُسِيءُ إِلَيْهِ فِي الْحُكْمِ  
مَا زَالَ يَظْلُمُنِي وَأَرْحَمُهُ \* حَتَّى بَكَيْتُ لَهُ مِنَ الظُّلْمِ (498)

ونلاحظ هنا أن مشاعرهم في أروع صورها هي روح الشرق بعقائده وتقاليده في تجليها، فإن الإخاء والعدل والمساواة ميراث إسلامي وضح في القرآن العظيم، وجاء على لسان نبيه الكريم الذي أرسل رحمة للعالمين، وطبقها أسلوباً ومسلماً هو وخلفاؤه من بعده؛ وشعراء الرابطة القلمية لم يكونوا بمعزل عن الإسلام وتعاليمه ومخالطة معتنقيه في أخوة نبيلة، وأيضاً في الجانب المسيحي معتقد كل شعراء الرابطة القلمية، فإننا نجد الأخوة والمحبة ميراثهم، وأساساً في ديانتهم، ففي قول «بولس الرسول»: «ألبسوا المحبة التي هي رباط الكمال» (499).

(494) - ندرة حداد، ديوان أوراق الخريف، ص 33.

(495) - رشيد سليم الخوري، ديوان القروي، ص 27.

(496) - القرآن الكريم، سورة آل عمران، الآية 134.

(497) - البيت للشاعر، المؤمل بن أميل بن أسيد المحاربي.

(498) - ندرة حداد، ديوان أوراق الخريف، ص 49.

(499) - الكتاب المقدس، الاصحاح 3، الآية 14.

إذن الإخاء والمحبة في أسمى صورهما وأوسع معانيهما، عنصران مهمان من عناصر الحياة عند الرابطين، فقد ارتفعوا بهما إلى سماء الحب الإلهي الذي يفيض السلام والمساواة على الكون، ويفجر السعادة في النفوس؛ وهو حب إنساني لا يقف عند حب الرجل والمرأة لبعضهما البعض؛ بل يشمل بأضوائه القدسية الوجود كله.

ولقد أحبوا المرأة بحكم الغريزة، وأحبوها بحبهم للجمال، وأحبوها بحبهم للإنسانية ومظاهر الطبيعة والوجود، وأحبوها أولاً وآخرأ بحبهم للحب ذاته وتقديسهم له<sup>(500)</sup>، وكان الحب والغزل عندهم في جملته يتفق مع رسالة أدبهم السامية التي تترفع عن التبذل، وتتسامى عن النزوات المنحرفة؛ لذلك نرى أدب المرأة عندهم يدور في الغالب حول تقديس الجمال والمعاني الروحية من حنين وذكريات، وعذاب وحرمان، في نبيل وطهارة، يقول أبو ماضي:

إِنَّ نَفْسًا لَمْ يُشْرِقِ الْخُبُّ فِيهَا \* هِيَ نَفْسٌ لَمْ تَذِرْ مَا مَعْنَاهَا<sup>(501)</sup>

وها هو رشيد أيوب يشدو على فنن الهوى في قصيدته «روضة الحب»:

الْخُبُّ فِي عَيْنِكَ آثَارُهُ \* بَادِيَةٌ كَالْأَنْجُمِ الزَّاهِرِ  
إِذْ لَيْسَ غَيْرُ الْخُبِّ مِنْ زَارِعٍ \* بِنَفْسَجَا فِي أَغْنٍ فَاتِرِهِ<sup>(502)</sup>

ويرى شعراء الرابطة القلمية أن الإنسان من مصدر واحد هو الطين، وعلى هذا فلا فرق بين عربي وأعجمي، وأبيض وأسود، ما دام أصل الإنسان واحد، وقد انطلقوا من هذا الفهم لإعلان المساواة الإنسانية بين أبناء البشرية، فهذا إيليا أبو ماضي يسجل موقفه تجاه الإنسان المغرور، الذي يتعالى على أبناء جلدته، في قصيدة «الطين»، قائلاً:

نَسِيَ الطِّينُ سَاعَةً أَنَّهُ طِينٌ \* بَادِيَةٌ كَالْأَنْجُمِ الزَّاهِرِ

ويلح الشاعر أبو ماضي على فكرة المساواة في أصل الخلق، فيقول:

يَا أَخِي لَا تَمْلِ بِوَجْهِكَ عَنِّي \* مَا أَنَا فَحْمَةٌ وَلَا أَنْتَ فَرْقَدٌ  
أَنْتَ مِثْلِي يَبْسُ وَجْهَكَ لِلنُّعْمَى \* وَفِي حَالَةِ الْمَصِيبَةِ يَكْمَدُ  
أَدْمُوعِي خَلٌّ وَدَمْعُكَ شَهْدٌ ؟ \* وَبُكَائِي دُلٌّ وَنَوْحُكَ سُؤْدُدُ  
أَنْتَ مِثْلِي مِنَ التَّرَى وَإِلَيْهِ \* فَلِمَذَا يَا صَاحِبِي التِّيْهُ وَالصَّدَى؟<sup>(503)</sup>

(500) حسن جاد حسن، الأدب العربي في المهجر، ص 301.

(501) إيليا أبو ماضي، الأعمال الشعرية الكاملة، ص 612.

(502) رشيد أيوب، ديوان أغاني الدويش، ص 19.

(503) المرجع السابق، الصفحة نفسها.

ومهما بلغت مكانة الإنسان يبقى مصيره واحداً، فنجد إيليا أبو ماضي يخاطب «موكب التراب» رامزاً له بالبشرية، التي أخذت تتعالى على مخلوقات الله، متناسية أصل خلقها الترابي، فالبشر متساوون، لا فرق بين عبد وملك، لأنهم في النهاية يعودون إلى أصل واحد، يتساوى فيه الرابح والخاسر :

وَالْعَبْدُ فِي أَغْلَالِهِ وَحَبَالِهِ \* وَالْمَلِكُ فِي الدِّبَاجِ وَالْأَطْيَابِ  
أَبَوْا جَمِيعاً فِي طَرِيقٍ وَاحِدٍ \* الْخَاسِرُ الْمُسْبَى مِثْلَ السَّابِي (504)

وهكذا فإن الإنسانية متساوية في أصل النشأة، ومتحدة في المصير، كما يقول «ندرة حداد» في ديوانه «أوراق الخريف»:

وَكُلُّهُمْ مَاضٍ إِلَى قَـيْرِهِ \* الْخَادِمُ الْمُسْكِنُ مِثْلُ الْأَمِيرِ (505)

أمّا ميخائيل نعيمة فيصور لنا الدنيا مضمار سباق، يجهل الإنسان مرتبته فيه، فنجدته يقول في قصيدته «السباق»:

وَنَحْنُ مَا نَزَالُ فِي الْمَضْمَارِ  
وَلَيْسَ لَنَا أَنْ نَتَسَاءَلَ  
عَمَّنْ هُوَ السَّابِقُ وَاللَّاحِقُ  
إِلَّا مِنْ بَعْدِ أَنْ يَتَقَلَّصَ الْمَكَانُ  
وَيَنْصَرِمَ الزَّمَانُ (506)

وحتى هذه القبور التي تدور كما الساقية، تفرغ لتمتلئ من جديد، يتساوى كل من يدخلها، فيقول ميخائيل نعيمة في قصيدته «قبور تدور»:

هَلُمِّي! هَلُمِّي نَحْيَ الْقُبُورِ عَسَانَا إِذَا مَا رَأَيْنَا عِظَامَا  
يَفْتَقُ مِنْهَا الرَّبِيعُ الزُّهُورَ عَرَفْنَا بِأَنَّ الْفَنَاءَ بَقَاءُ  
وَأَنَّ الْحَيَاةَ قُبُورٌ تَدُورُ (507)

ويرى شعراء الرابطة القلمية أنّ على الإنسان أن يحذو حذو الطبيعة، فالطبيعة تنظر بعين المساواة، فلا فرق عندها بين كوخ وقصر ولا شوك وياسمين؛ كما في قول أبو ماضي في قصيدته «المساء»:

(504) أبو ماضي، ديوان تير وتراب، ط1، 1960، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ص24.

(505) ندرة حداد، ديوان أوراق الخريف، ص35.

(506) ميخائيل نعيمة، ديوان همس الجفون، ص121.

(507) المرجع السابق، ص68.



أَمْ بِالْمَسَا؟ إِنَّ الْمَسَا يُخْفِي الْمَدَائِنَ كَالْقُرَى  
وَالْكُؤُخَ كَالْقَصْرِ الْمَكِينِ  
وَالشُّوكَ مِثْلَ الْيَاسَمِينِ  
لَا فَرْقَ عِنْدَ اللَّيْلِ بَيْنَ النَّهْرِ وَالْمُسْتَنْقَعِ<sup>(508)</sup>

فالطبيعة كما يراها الرابطيون، أنها لا تفرق بين أحد في النفع، فنجومها تضيئ الليل وترشد كل من ضلَّ الطريق، سواء أكان بائساً متحسراً أم فرحاً مسروراً، والطلل وجود بقطراته على الشوك قبل الورد؛ فعلى الإنسان إذن أن يحذو حذوها، ففي الطبيعة يتحقق ميزان العدالة، وفي أحضانها يتساوى العبد والحر.

ويذهب شعراء الرابطة القلمية إلى أن تنتهي الإنسانية، أن يشعر الإنسان بأخية الإنسان، وأن يضمّد جراحه بغض النظر عن جنسه أو لونه أو مذهبه أو دينه، وفي هذا السياق يقول إيليا أبو ماضي:

أَنَا أَنْتُمْ إِنْ ضَحِكْتُمْ لِأَمْرٍ \* ضَحِكْتُ وَأَدْمَعْتُمْ أَدْمَعِي<sup>(509)</sup>  
ويقول:

فَاخْتَرْتُ صَحَابَكَ وَانْظَرْتُ فِي اخْتِيَارِهِمْ \* إِلَى الطَّبَائِعِ قَبْلَ اللَّوْنِ وَالدِّينِ<sup>(510)</sup>  
وأن هذه المرحلة لا يصل الإنسان إليها إلا بالمحبة والإخاء، كما يقول أبو ماضي:

أَيَقِظُ شُعُورَكَ بِالْمَحَبَةِ إِنْ غَفَا \* لَوْلَا الشُّعُورُ النَّاسُ كَانُوا كَالدُّمَى<sup>(511)</sup>  
ونرى نسيب عريضة، يقول بأن ما نراه من الفروق بين البشر ما هو إلا أمور عارضة، أمّا جوهر الحقيقة، فالناس سواسية كأسنان المشط، وما نراه من اختلاف ما هو إلا تمثيل أدوار على مسرح العصور<sup>(512)</sup>، فيقول:

لَيْسَ فِي الدُّنْيَا غَنِيٌّ لَيْسَ فِي الدُّنْيَا فَقِيرٌ  
لَا عَلِيمٌ وَلَا جَاهِلٌ لَا عَظِيمٌ لَا حَقِيرٌ  
كُلُّهَا تَمَثِّلُ أَدْوَارَ عَلَى مَلْهَى الْعُصُورِ<sup>(513)</sup>

(508) إيليا أبو ماضي، الأعمال الشعرية الكاملة، ص 592.

(509) إيليا أبو ماضي، ديوان تبر وتراب، ص 177.

(510) المرجع السابق، ص 219.

(511) المرجع السابق، ص 88.

(512) فصل سالم العيسى، النزعة الإنسانية في شعر الرابطة القلمية، ص 125.

(513) نسيب عريضة، ديوان الأرواح الحائرة، ص 128.

وهكذا نرى نسيب عريضة، يسعى بشتى السبل لنشر الفضائل الإنسانية النبيلة، من خلال تحقيق مبدأ الإخاء والمساواة، فهذا هو يدعو ويأمل تحقيق هذا المبدأ، فنجدته يقول:

هُوَ أَنْ يَسُودَ الْحَقُّ \* دُنْيَا الْمَوَدَّةِ وَالسَّلَامِ  
هُوَ أَنْ يَعِيشَ النَّاسُ أَخٍ \* وَأَنَا عَلَى شَرْعِ الْوِئَامِ<sup>(514)</sup>

ونلاحظ أنّ شعراء الرابطة القلمية في نزوعهم الإنساني تجاه المساواة والإخاء، ناصروا الضعفاء والبهائم، وثاروا على الظلم وأهله، ودعوا إلى المحبة والتسامح لتخفيف آلام الإنسانية وأحزانها، فهذا هو ندرة حداد يقول:

عِشْتُ بَيْنَ النَّاسِ لَا \* أَصْحَبُ إِلَّا الْفُقَرَاءَ<sup>(515)</sup>

وعلى هذا فقد جاء شعرهم إنسانياً وجدانياً، يتعدى الشعور بالذات ليصل إلى الشعور الجمعي، تقول الدكتوراة فصل العيسى: «الأنبا عند الرابطين شفافة مرهفة، لا بغضة مغلقة، لأنهم عاشوا مأساة إنسانية مماثلة، وبذلك نجح شعرهم في تأدية وظيفته الإنسانية»<sup>(516)</sup>، وهكذا فإن الإنسان عند الرابطين قيمة حضارية وروحية، أما عن علاقتهم به، فهي علاقة عضوية وثابتة<sup>(517)</sup>.

(514) نسيب عريضة، ديوان الأرواح الحائرة، ص154.

(515) ندرة حداد، ديوان أوراق الخريف، ص65.

(516) فصل سالم العيسى، النزعة الإنسانية في شعر الرابطة القلمية، ص131.

(517) جرجس سعادة، الموضوعات الأساسية في شعر الرابطة القلمية، رسالة دكتوراه، جامعة القديس يوسف، بيروت، 1995، ص434.

## المبحث الرابع التفاؤل والتشاؤم

الأديب - شاعراً كان أم ناثراً - يعيش في مجتمع يخاطبه، ويبحث أفكاره وآراءه، ويختار طريقة وأخرى لتوصيل مشاعره وعواطفه تجاه الحياة؛ وقلما نجد أديباً نستطيع أن ننزع مشاعره وعواطف من أدبه، وأن ننزع أدبه من أثر فلسفته وثقافته وحياته الذاتية؛ بل كثيراً ما نجد أدبه صورة لامعة لمشاعره وعواطفه وفلسفته. ومن الشائع أن الأدباء يختلفون في إقبالهم على الحياة ومظاهرها، فمنهم من يقبل عليها محزوناً مبتئساً لا يراها إلا شراً وشوئاً، ومنهم من يقبل عليها فرحاً مبتهجاً لا يراها إلا فالاً وخيراً ونوراً؛ ثم من الشائع أيضاً أن كل أديب وما يراه من مشاعر - تفاؤلية كانت أم تشاؤمية - يؤثر على المتلقي، فأحياناً يأخذه إلى اليأس والكآبة والتشاؤم، وأحياناً يأخذه إلى التفاؤل والأمل والسعادة.

وفي أدب شعراء الرابطة القلمية (الشعر والنثر)، تطالعنا ثنائية التشاؤم والتفاؤل، التي تلح عليه، وتتردد في جوانبه وتشيع في أجوائه؛ وقد دفعهم إلى ذلك البعد عن الأوطان، وقسوة الحياة في الغربية، كما تقول الباحثة الربح جغابة في بحثها: «جماليات الشعر المهجري: «ما اختلج في نفوسهم من مشاعر الغربة والحنين، فأفاضوا في التعبير عن نزعاتهم»<sup>(518)</sup>.

وإذا طالعنا دواوين شعراء الرابطة القلمية، وما نشره من أشعار لا سيما في مجموعة الرابطة القلمية لسنة 1921م، لاستوقفنا كثيراً الأنغام الحزينة الهادئة؛ التي يتحدثون فيها عن حبههم لبلادهم ومراتع صباهم، ويشتكون من آلام الغربة والفرق؛ ولكننا لا نلبث أن نراهم وقد عاودهم الأمل والتفاؤل والرضا بواقع الحياة، فإذا أخذنا - مثلاً - الشاعر رشيد أيوب، نجده دائماً في أشعاره يعبر عن حزنه، ويصور آلامه، ويشكو من وحدته، ويئن من قسوة الحياة الصعبة حوله؛ ولكنه لا يأتي على آخر القصيدة حتى يعاوده الأمل ويقترّب منه الرجاء، فيأتي بأبيات متفائلة يلوح منها البشر والأمل، يقول رشيد أيوب في إحدى قصائده:

غُرْبَةً أُمَسْتُ حَيَاتِي وَانْتَرَا ح \* وَمُنَاجَاةً وَرَعِي الشَّهْب  
أَنَا لَوْلَا ذِكْرُ أَيَّامِ الصَّبَا قُلْتُ: \* يَا نَفْسُ إِذَا شِئْتَ اذْهَبِي<sup>(519)</sup>

ثم يعاوده التفاؤل ويستعذب أمانيه، فيقول مستدركاً:

(518) الربح جغابة، جماليات الشعر المهجري، ص 37.

(519) رشيد أيوب، الأعمال الشعرية الكاملة، ص 63.

غَيْرَ أَنِّي كُلَّمَا هَبَّتْ صَبَا \* أَنْعَشْتُ قَلْبِي بِذِكْرِ طَيْب  
لَا أَبَايَ إِنْ حَلَلْتُ الْمَغْرِبَا \* طَالَمَا شَمْسُ الْمُنَى لَمْ تَغْرُبَ (520)

ويرى «فرويد»<sup>(521)</sup> أَنَّ التفاؤل هو القاعدة العامة للحياة، وأنَّ التشاؤم لا يقع في حياة الفرد إلا إذا تكونت لديه عقدة نفسية، فأنت متفائل إذا لم يقع في حياتك حادث يجعل نشوء العقد لديك أمراً ممكناً، ولو وجدت العكس لتحولت إلى شخص متشائم).

ونكاد نستنتج من رأي «فرويد» أَنَّ التشاؤم عارض، وهو ليس أصل يولد مع الإنسان؛ بل الإنسان على حد قوله يولد متفائلاً، إلا إذا لم يتعرض له حدث في حياته؛ وإذا أخذنا أنموذجاً من شعراء الرابطة القلمية، وليكن جبران خليل جبران، فنرى أَنَّ تشاؤمه كان مسبباً بتلك الأحداث التي شهدتها حياته منذ طفولته إلى وفاته؛ فإنه عاش صبيّاً يتيماً، وعاش شاباً محروماً من حنان الأم وعطف الأخ ومحبة الأخت، فهو كما قال المؤرخون: «عندما رجع من لبنان إلى بوسطن مرة ثانية، قد توفيت أخته سنة 1901 بمرض السل، ومات أخوه بطرس بنفس المرض سنة 1902، ثم ماتت والدته بمرض السرطان في نفس السنة، وقد انتابه أسى عميق»<sup>(522)</sup>؛ وإذا أضفنا دافع الغربة عن أقربائه وأترابه، ثم حنينه الدافق إلى وطنه، فنكاد نرى أَنَّ تشاؤمه منحدر من آلامه الفردية، التي عاناها في حياته، ومن آلامه الشعبية التي واجهها هو، وقومه في بلاده.

إذن أدب الرابطة القلمية، في جملة أدب مبلى بالدمع، مجلل بالأسى، يعتصره الشك والتساؤل، وتعصف به الحيرة والتردد، وتترقق فيه الأنغام الشاكية الحزينة.

فإذا حاولنا أَنْ نبحت سر هذه الكآبة من خلال أدب المهجريين لم نعدم أسباباً تصلح مجتمعة أو متفرقة تفسيراً لتلك الظاهرة وباعثاً عليها؛ فهم قد امتحنوا بالغربة عن أوطانهم أشد ما يكونون حباؤها وتعلقاً بها، ولم تستطع الأوطان الجديدة على ما فيها أَنْ تنسيهم بلادهم ومآسيها، أو تسليهم عن أهلهم وأحبابهم، أو تهدد مشاعرهم الموزعة ونفوسهم المكومة<sup>(523)</sup>.

وهم قد صادفوا في الوطن الجديد من المحن والصعاب ما هدد حياتهم، ثم هم

(520) المرجع السابق، ص 64.

(521) سيغموند شلومو فرويد (1856-1939)، طبيب نمساوي، يعتبر مؤسس علم التحليل النفسي، أشهر بنظريات العقل واللاوعي "اللاشعور". (ينظر: الموسوعة الحرة).

(522) غسان خالد، جبران الفيلسوف، ط 1، 1983، مؤسسة نوفل للنشر، بيروت، لبنان، ص 30.

(523) حسن جاد حسن، الأدب العربي في المهجر، ص 267.

يصطدمون هناك بالموازين المادية الصرفة التي تقيس العظمة بالمال؛ ويدفعهم ذلك كله إلى أن يفكروا ويطلقوا التأمل في أسرار الحياة والطبيعة، ونحو ذلك، فيقذف بهم التأمل في صحاري الشك والريب، ويغرقهم في بحر من الهواجس<sup>(524)</sup>.

وعسى أن يكونوا قد تأثروا كذلك في كآبتهم وشكهم بالنزعة الرومانتيكية التي صادفت اتفاقاً مع طبيعتهم، وهوى في نفوسهم، وهي نزعة تقدر الألم، وتمجد الحزن، وتتسم بالتشاؤم والتبرم؛ فيقول دي موسيه: «إنَّ أبدع الأغاني ما تسربل بالأسى»<sup>(525)</sup>، وهو القائل: «لا شيء يجعلنا عظماء إلاَّ الألم العظيم، كل ما بقي لي من نعيم الحياة أني قد بكيت مراراً»<sup>(526)</sup>.

ويرى الدكتور حسن جاد أنهم تأثروا تأثراً عميقاً بالنزعة العلائية في تشاؤمها وشكلها، فيقول: «فقد كانوا يجلون أبا العلا المعري ويقدرسونه، ويعجبون به إعجاباً كبيراً يدفعهم إلى محاكاته والاقتراس منه وترديد آرائه وأفكاره أحياناً كثيرة»<sup>(527)</sup>؛ وعن ذلك يقول نعيمة: «إنَّ أبا العلاء جمع في كثير من قصائده ومقاطعته بين دفة البيان وجمال التشبيه ورنه الوقع وصحة الفكر»<sup>(528)</sup>، ويقول أنيس المقدسي: «وإنَّك لتحس بهذه الروح العلائية المتبرمة في كل الأقطار العربية، حتى في المهاجر الأمريكية، ولعلها بين اللبنانيين والسوريين هناك أشد لاصطدام خيالاتهم الشرقية بالمادية الغربية»<sup>(529)</sup>.

وأخيراً هناك من يرجع سبب الحزن الشائع في أدبهم إلى عامل الوراثة وخصائص الجنس؛ فيرى دكتور زكي مبارك أنَّ الأدب السرياني أدب حزين يسرف في البكاء، ويوغل في الألم، وأنَّ السوريين قد ورثوا هذه الخبيصة منه وسرت فيهم روحه الكآبية<sup>(530)</sup>.

وإذا طالعنا بعض النصوص الأدبية لدي شعراء الرابطة القلمية، لوجدنا ما يظاهر ويؤيد تلك الأسباب:

فهذا أبو ماضي يشعر بالغربة الروحية عن الشرق في العالم الجديد المتهالك على المادة، حيث يضيع صوت الإنسان في ضجيج الصاخب، وقد حيل بينه وبين أهله

(524) المرجع السابق، ص 268.

(525) ينظر: ألفريد دو موسيه شاعر قتله الحب، هاشم صالح، شبكة قناة العربية، نشر بتاريخ 2 / نوفمبر / 2017.

(526) ألفريد دي موسيه، الليالي، ترجمة محمد مندور، ط 1، 2019، مؤسسة هنداوي، القاهرة، ص 39.

(527) حسن جاد حسن، الأدب العربي في المهجر، ص 269.

(528) ميخائيل نعيمة، الغربال، ص 15.

(529) مقال بمجلة المقتطف، مصر، ديسمبر 1944.

(530) زكي مبارك، الأجنحة المتكسرة، مجلة الرسالة، العدد 447، مصر، بتاريخ 26 يناير 1942، ص 10.

في وطنه البعيد، وانقطعت أخبارهم، فتحتدم في نفسه الشكوك، وتثور الهواجس،  
وتصرخ الآلام، ويهيج الحنين:

إِذَا خَطَرْتُ مِنْ جَانِبِ الشَّرْقِ نَفْحَةً \* طَرِبْتُ فَأَلْقَى مَنَكْبَايَ رِدَائِيَا  
أَجْنُ إِلَى تِلْكَ الْمَغَانِي وَأَهْلِيهَا \* وَأَشْتَأُقْ مَنْ يَشْتَأُقْ تِلْكَ الْمَغَانِيَا  
إِذَا قِيلَ هَذَا مُخْبِرٌ مِلْتُ نَحْوَهُ \* بَسْمَعِي وَلَوْ كَانَ الْمُحَدَّثُ وَاشِيَا  
وَتَعْلَمُ نَفْسِي أَنَّهُ غَيْرَ عَالِمٍ \* وَلَكِنِّي أَسْتَدْفِعُ الْيَأْسَ رَاجِيَا<sup>(531)</sup>

وننتقل إلى جبران الذي عُرف بنزعتيه وفلسفته الإنسانية التي ترعرت في تربة الألم،  
وغلب على شخصيته الطابع التشاؤمي والهروب من الواقع المؤلم الذي عايشه في  
حياته، فلجأ إلى الطبيعة التي وجد فيها ملاذاً آمناً خالٍ من النفاق والظلم؛ فكانت  
قصيدته «المواكب» نموذجاً عن هذه الروح التشاؤمية:

لَيْسَ فِي الْعَابَاتِ دِينٌ \* لَا وَلَا فِيهَا الْكُفْرُ الْقَبِيحُ  
فَإِذَا الْبُلْبُلُ غَنَّى \* لَمْ يَقُلْ هَذَا الضَّجِيجُ  
إِنَّ دِينَ النَّاسِ يَأْتِي \* مِثْلَ ظِلٍّ وَيَرُوحُ  
لَمْ يَقُمْ فِي الْأَرْضِ دِينٌ \* بَعْدَ طَهٍ وَالْمَسِيحِ<sup>(532)</sup>

فقد بلغ التشاؤم جبران إلى حد أنه رسم لنفسه واقعاً خيالياً بعيداً عن الواقع  
الذي يعيش فيه، فإذا نظرنا من خلال قصيدته «البلاد المحجوبة» من كتابه «  
البدائع والطرائف»، لرأينا ذلك الواقع، فيقول فيها:

هُوَ ذَا الْفَجْرِ فَقُومِي نُنْصِرْ \* عَنْ دِيَارِ مَا لَنَا فِيهَا صَدِيقُ<sup>(533)</sup>

من أجل ذلك نسمع كثيراً من الصرخات المدوية بالألم، والنشيج المعول بالأسى،  
والنغم الهادر بالشكوى والأنين؛ فالشاعر الشاكي نسيب عريضة يهتف في توجع،  
فيقول:

أَوَاه! أَلَمْ يَكْتَبْ لِهَذَا الْقَلَمِ \* إِلَّا بَأْنَ يَشْكُو الْأَسَى وَالْأَلَمَ؟  
يَا قَلَمِي الشَّارِبَ خَمَرِ الشَّجَا \* وَالْمُسْمِعَ الطَّرْسَ صَرِيرِ النَّقَمِ<sup>(534)</sup>

هذا هو الجانب الإنساني البارز في أدبهم؛ إنّه الألم، ينبوع العبقرية، ومصدر الإلهام

(531) إيليا أبو ماضي، الأعمال الشعرية الكاملة، ص512.

(532) جبران خليل جبران، المجموعة الكاملة (الشعر)، تقديم أنطوان القدال، ص19.

(533) جبران خليل جبران، البدائع والطرائف، ط1، 1923، المكتبة الثقافية، بيروت، لبنان، ص157.

(534) المجموعة الكاملة لمؤلفات جبران (الشعر)، مرجع سابق، ص75.

والنبوغ، والتشاؤم الحائر الذي أضنى نفوس المهجريين، وملاً طريقهم بالأشواك، دفعهم إليه ما كابدوه من لوعة الاغتراب، وما حملوه من هموم الوطن، وما ضاقوا به من آثام البشرية.

ومن خلال هذه الصورة القاتمة الحزينة، وذلك الجو الغائم المظلم، وتلك الدموع الحارة اليائسة، نلمح أضواء تخفق في الظلام، ونرى ومضات تشع بالتفاؤل، وتطالعا بسمات تشرق بالأمل، ويظهر لنا الوجه الآخر من أدب الرابطة القلمية في صورة زاهية مشرقة، تنبض بالحيوية والقوة، وتموج بالثورة على الضعف والألم، واليأس والتشاؤم، فنرى هؤلاء الذين طالما سقوا أوتار القيثارة بدموعهم، يشدّونها في قوة وأمل لتعزف ألحان السعادة والنشوة؛ ذلك هو الجانب الضاحك المتفائل في أدبهم.

وهنا يتساءل الدكتور حسن جاد؛ هل تبدلت طبيعة هذه النفوس التي جمعت لها أسباب الألم، وتوفرت فيها بواعث الكآبة والتشاؤم؟ وهل تخلصت من هذه البواعث نهائياً، فراحت تضحك بعد بكاء، وتتهلل بعد اكتئاب؟ أم أنّها جمعت بين المتناقضات، من الرجاء والقنوط، والتفاؤل والتشاؤم، واليأس والأمل؟<sup>(535)</sup>.

يقول الدكتور حسن جاد، مجيباً عن تساؤلاته: «كلاً، فإنّ الحزن المتشائم هو طابعها الأصيل الذي قويت أسبابه واشتدت بواعثه؛ وهذا الجانب الضاحك إنّما هو مجاهدة للتغلب على اليأس، وثورة على الضعف والتشاؤم، أو هو ضحك يخفي البكاء، وابتسام يرضي إباء الدموع؛ هو إذن جانب طارئ راضوا أنفسهم عليه»<sup>(536)</sup>.

على أنّ منطق الواقع من توفر بواعث الأسى والتشاؤم يؤكد لنا أصالة هذا الطابع الحزين، كما يؤيده أنّ الأدب المتفائل جاء في إطار من الألم والكآبة، حيث يمتزج بالتشاؤم؛ وأنّ هذا التفاؤل إنّما كان مبعثه أحياناً إخفاء الهموم عن الناس وإيثارهم بالسعادة، وإشاعة الأمل بينهم بتجميل الحياة، كما يقول أبو ماضي:

الشَّجَاعُ الشَّجَاعُ عِنْدِي مَنْ أُمُّ \* سَيَ يُعْنِي وَالْدَّمْعُ فِي الْأَجْفَانِ<sup>(537)</sup>

وربما كان دافع أبي ماضي الإباء والترفع عن أن يرى الناس هذا الدمع، كما يقول:

وَلَكِنِّي امْرُؤٌ لِلنَّاسِ ضَحْكِي \* وَلِي وَحْدِي تَبَارِجِي وَحَزْنِي  
وَتَأْبَى كِبْرِيَائِي أَنْ يَرَانِي \* فَتَى مُغْرَوِّقاً بِالدَّمْعِ جَفْنِي  
فَأَسْتُرْ عِبْرَتِي عَنْهُ لئلا \* يَضِيقَ بِهَا وَإِنْ هِيَ أَحْرَقَتْني<sup>(538)</sup>

(535) حسن جاد حسن، الأدب العربي في المهجر، ص 278.

(536) المرجع السابق، ص 872.

(537) إيليا أبو ماضي، الأعمال الشعرية الكاملة، ص 126.

(538) المرجع السابق، ص 445.

ومنهم مَنْ كان يتجهّم تجهّم اليائس الحزين، ثم لا يلبث أن يثور على اليأس، ويتحدّى الألم بالأمل، والضعف بالثقة، فيخائيل نعيمة قد تجهّم لصورة «النهر المتجمد»، ووجمت نفسه لمرآى «الدودة» وغيرها، ولكنه لم يلبث حتى قال في ثقة وطمأنينة في قصيدته «الطمأنينة»:

سَقَفُ بَيْتِي حَدِيدٌ \* رَكْنُ بَيْتِي حَجَرٌ  
فَاعْصِفِي يَا رِيَاخُ \* وَأَنْتَحِبْ يَا شَجَرٌ  
وَأَسْبِجِي يَا غُيُومُ \* وَأَهْطُلِي بِالْمَطَرِ<sup>(539)</sup>

وعلى هذا النحو الراضي الثائر على الهم، يستريح رشيد أيوب إلى الواقع، فيألف الضباب والوحشة، ويحب الشتاء حبه للربيع، ويلقي الرزايا رضا وبشاشة:

أَحِبُّ الشِّتَاءَ لِأَنَّ لَهُ \* ضَبَاباً كَهَمِي ثَقِيلاً كَثِيفاً  
وَأَهْوَى الرِّبْعَ فَأَنْفَاسُهُ \* دَوَاءٌ لِجِسْمِي الْعَلِيلِ الضَّعِيفِ<sup>(540)</sup>

أمّا نعيمة فإنّه يجلو لنا هذه الصورة المشرقة المتفائلة التي تدعو إلى إغماض الجفون عن الواقع المرير، في قصيدته «اغْمُضْ جُفُونَكَ تُبْصِرَ»، فيقول:

إِذَا سَمَاؤُكَ يَوْمَماً \* تَحَجَّجْتُ بِالْغُيُومِ  
اغْمُضْ جُفُونَكَ تُبْصِرْ \* خَلْفَ الْغُيُومِ نُجُومٌ<sup>(541)</sup>

والذي يطلع على أدب جبران خليل جبران، يلاحظ أنّه يتراوح بين التفاؤل والتشاؤم، لكنّه يجنح بطبيعته إلى التفاؤل أكثر منه إلى التشاؤم، فنجدّه يقول عن الحياة والموت: «قد أحببت الموت مرات عديدة، فدعوته بأسماء عذبة، وتشببت به سراً وعلناً، ولئن لم أسأل الموت، ولا نقضت له عهداً، فإنني صرت أحب الحياة أيضاً فالموت والحياة قد تساويا عندي بالجمال»<sup>(542)</sup>؛ وعندما نقرأ مقالاته في كتابه «دمعة وابتسامة»، وكذلك في كتابه «البدائع والطرائف»، نجدّه لا يقطع حبل الأمل أبداً، مهما ثقلت عليه وطأة اليأس والكآبة، ففي مقال له بعنوان «رؤيا»، وهو قصة خيالية تحكي رحلته في رفقة «حورية» حيث تأخذه إلى جبل عال يرى من فوقه الأرض، فيحكى ما رآه من الشر السائر في الحياة البشرية، فلم ير مشهداً من حياته إلا ممثلاً مأساته، وأنّ عواصف اليأس والتشاؤم قد هزت مشاعره، لكنه سرعان ما يرجع إلى صوابه، عندما نلاحظ نهاية رحلته، فيقول متابعاً حكايته: «عندما رأيت

(539) ميخائيل نعيمة، ديوان همس الجفون، ص 17.

(540) رشيد أيوب، الأعمال الشعرية الكاملة، ص 16.

(541) ديوان همس الجفون، مرجع سابق، ص 7.

(542) جبران خليل جبران، دمعة وابتسامة، (د.ط.)، 1991، دار العرب للبستاني، القاهرة، مصر، ص 832.



كل هذه الأشياء صرخت متألماً، فأجابت بسكينة: هذا ظل الإنسان، هذا هو الليل وسيجئ الصباح؛ ثم وضعت يدها على عيني، ولما فعتها وجدتنني وشباب سائراً على مهل والأمل يركض أمامي»<sup>(543)</sup>، وهكذا يؤكد لنا جبران نظريته التفاؤلية تجاه الحياة الإنسانية.

ويُعدُّ إيليا أبو ماضي شاعر التفاؤل الأكبر، وقد عانى من الشك والألم، ما عانى رفاقه، فراح يروض نفسه على الرضا، وينشد السعادة في مظانها وتخلخت نفسه بين النجاح والإخفاق، فرضي حيناً، وسخط حيناً؛ فقصيدته «المساء» تمثل فلسفته التفاؤلية، التي تجمع بين عناصر الأسى ودوافع التفاؤل، فيقول فيها:

السُّحْبُ تَرْكُضُ فِي الْفَضَاءِ الرَّحْبِ رَكُضَ الْخَائِفِينَ  
وَالشَّمْسُ تَبْدُو خُلْفَهَا صَفْرَاءَ عَاصِبَةِ الْجَبِينِ  
وَالْبَحْرُ سَاجٍ صَامِتٌ فِيهِ خُشُوعُ الزَّاهِدِينَ

إلى أن يقول:

لِتَكُنْ حَيَاتُكَ كُلُّهَا أَملاً جَمِلاً طَيِّباً  
وَلتَمَلَأْ الْأَحْلَامُ نَفْسَكَ فِي الْكُهُولَةِ وَالصَّبَا  
مِثْلَ الْكَوَكِبِ فِي السَّمَاءِ وَكَالْزَّاهِرِ فِي الرُّبَا<sup>(544)</sup>

وعلى هذا النحو المتفائل الواعي، يسير إيليا أبو ماضي، فنرى في قصيدته «ابتسم» كيف يدير فيها حواراً بين التشاؤم والتفاؤل، ويعرض أسباب اليأس ليصرعها، فيقول فيها:

قَالَ: السَّمَاءُ كَنَيْبَةٌ! وَتَجَهَّمَا \* قُلْتُ: ابْتَسِمْ يَكْفِي التَّجَهُمُ فِي السَّمَاءِ!  
قَالَ: الصَّبَا وَئِي! فَقُلْتُ لَهُ: ابْتَسِمْ \* لَنْ يَرْجِعَ الْأَسْفُ الصَّبَا الْمُتَصَرِّمًا!  
قَالَ: الَّتِي كَانَتْ سَمَائِي فِي الْهَوَى \* صَارَتْ لِنَفْسِي فِي الْغَرَامِ جَهَنَّمًا  
خَانَتْ عَهْدِي بَعْدَ مَا مَلَكْتُهَا \* قَلْبِي فَكَيْفَ أَطِيقُ أَنْ أَتَبَسَّمًا؟  
قُلْتُ: ابْتَسِمْ وَاطْرَبْ فَلَوْ قَارَنْتَهَا \* فَضَيْتَ عُمْرَكَ كُلَّهُ مُتَأَلِّمًا!<sup>(545)</sup>

ونرى في قصيدته «فلسفة الحياة»، كيف قضى أبو ماضي على بواعث الشقاء واليأس، وكيف سد كل ثغرة ينفذ منها اليأس إلى النفوس، بفلسفة تفاؤلية واعية، فيقول فيها:

(543) جبران خليل جبران، دمعة وابتسامة، ص 93.

(544) إيليا أبو ماضي، الأعمال الشعرية الكاملة، ص 295.

(545) إيليا أبو ماضي، الأعمال الشعرية الكاملة، ص 317.

أَيُّهَذَا الشَّاعِي وَمَا بِكَ دَاءٌ \* كَيْفَ تَغْدُو إِذَا غَدَوْتَ عَلَيَّا؟  
 إِنَّ شَرَّ الْجُنَاةِ فِي الْأَرْضِ نَفْسٌ \* تَتَوَقَّى قَبْلَ الرَّحِيلِ الرَّحِيلَا  
 وَتَرَى الشُّوكَ فِي الْوُرُودِ وَتَعْمَى \* أَنْ تَرَى فَوْقَهَا النَّدَى إِكْلِيلَا  
 وَالَّذِي نَفْسُهُ بَغِيرِ جَمَالٍ لَا \* يَرَى فِي الْوُجُودِ شَيْئًا جَمِيلَا  
 أَحْكُمُ النَّاسَ فِي الْحَيَاةِ أَنْاسٌ \* غَلَّوْهَا فَأَحْسَنُوا التَّعْلِيلَا  
 فَتَمْتَحَ بِالصُّبْحِ مَا دُمْتَ فِيهِ \* لَا تَخَفْ أَنْ يَزُولَ حَتَّى يَزُولَا  
 أَدْرَكَتْ كُنْهَهَا طُيُورُ الرِّوَابِي \* فَمِنْ الْعَارِ أَنْ تَظْلَ جُھُولَا<sup>(546)</sup>

وهكذا نجد أنَّ التجارب التي عاشها الرابطيون، جعلت قصائدهم تتلون بألوان الحزن والأسى تارة، وأخرى بألوان الطبيعة المتفائلة، وبالتالي تميز شعرهم بالنزعة التفاؤلية والتشاؤمية، وخدم القيم والمثل العليا للإنسانية التي كانت هاجسهم في الحياة، وسجلوا أروع الآثار في تاريخ الأدب العربي بهذه النزعة.

(546) المرجع السابق، ص552.

## الفصل الخامس

# الخصائص التعبيرية لشعر الرابطة القلمية

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول

اللفظ والأسلوب

المبحث الثاني

المعاني والصور

المبحث الثالث

الأوزان والقوافي

المبحث الرابع

آراء النقاد في أدب الرابطة القلمية

## المبحث الأول اللفظ والأسلوب

قامت الرابطة القلمية في المهجر الشمالي على التجديد الحر في ألفاظ الأدب وأساليبه، بجانب ما نهضت به من التجديد في المضمون والأفكار، فقد استهدفت رسالتها الخروج بالأدب من دور الجمود والتقليد إلى دور الابتكار والتجديد<sup>(547)</sup>.

ومن هنا كانت ثورتهم لبث الروح في جسم الأدب العربي، حتى يخلقوا أدباً حياً قوياً متفاعلاً مع الواقع والحياة لا يطغى فيه جانب الشكل على الفكرة والمضمون<sup>(548)</sup>.

وقد اعترف ميخائيل نعيمة بقيمة الجمال الفني في الأدب، والمواءمة بين الفكرة والعبارة، حيث يقول: «إنَّ عنصر الجمال هو أول عناصر الشعر، والجمال لا يشرق إلا معتمداً على ركنيه المعنوي والشكلي، فإذا تداعى أحدهما انهار البناء كله»<sup>(549)</sup>.

غير أنَّ رغبتهم في التخلص من القيود، وإحساسهم بأنَّ التمسك بالصياغة القديمة وقواعدها قد يجرحهم إلى هذا التقليد الجامد الذي يحاربونه، ثم هجرتهم في سن مبكرة قبل أن تكتمل ثقافتهم اللغوية العربية، ووجودهم في جو أجنبي خالص بعيد عن معاقل اللغة ومصادرها، لا يتحدثون فيه بالعربية إلا نادراً؛ كل ذلك ساقهم إلى التسامح اللغوي وعدم المبالاة وارتكاب الضرورات التي ألفوها حتى أصبحت شيئاً مألوفاً، وطريقة مرسومة<sup>(550)</sup>.

إنَّ الرابطين عاشوا في بيئة أجنبية وكانوا يتكلمون لغة البلاد الأجنبية في معظم معاملاتهم وأغلب أوقاتهم، ولكنهم حين كان يجلس الواحد منهم لينظم قصيدة، فقلما كان يستوحي في نظمه غير موضوعات وطنه ومناظر بلاده وأخبار أهله وجماعته؛ ومن هنا فإنَّ الألفاظ والأساليب التي سيعبر بها عن هذه الحالات الشعرية لا بد أن تكون شرقية صميمة، مستوحاة من صميم الموضوع، وقد كانوا يتوخون استخدام الكلمات الخفيفة الموحية والألفاظ السائغة السهلة، مراعين في ذلك شيوع الكلمات وقربها إلى النفوس، التي لا يجد المرء صعوبة في قراءتها ولا في حفظها<sup>(551)</sup>. يقول ميخائيل نعيمة: «إنَّ أدباء المهجر أنتجوا ما أنتجوا وهم بعيدون عن ديار العربية ومعاقلها الأصلية، والصراع العنيف الذي لا بد لهم منه في المهجر لا يترك لهم متسعاً من الوقت للانصراف إلي التعمق في

(547) حسن جاد حسن، الأدب العربي في المهجر، ص 409.

(548) المرجع السابق، الصفحة نفسها.

(549) جورج صيدح، أدبنا وأدباؤنا في المهاجر الأمريكية، ص 182.

(550) الأدب العربي في المهجر، مرجع سابق، ص 410.

(551) نادرة جميل سراج، شعراء الرابطة القلمية، ص 271.

درس اللغة، وأكثرهم يكتب ولا قاموس بجانبه، بل يكتب متوكلاً على ذاكرته وما وعته من مفردات اللغة، مسوقاً بفكرة ملحاحة أو عاطفة لجوجة يهمله أن يبرزهما جميلتين صادقتين، أكثر مما يهمله أن يتحاشى الوقوع في هفوة صرفية أو نحوية أو استعمال كلمة على غير الوجه الذي أقرته القواميس»<sup>(552)</sup>. وليس معنى هذا أنهم يكثر من استخدام الألفاظ العامية، بل على العكس، إننا لا نجد في دواوينهم سوى كل فصيح مليح؛ ولا مانع عندهم في الوقت نفسه، من اللجوء إلى بعض هذه الألفاظ العادية إذا وجدوها ملائمة للغرض وافية بالمطلوب غير قبيحة أو سخيفة، وقد عاب بعض النقاد على جبران خليل جبران استخدام كلمة «تحمم» بدل «استحم» حين قال في قصيدة «المواكب»:

هَلْ تَحَمَّمْتَ بِعِطْرِ وَتَنَشَّفْتَ بِنُورٍ؟  
وَشَرِبْتَ الْفَجَرَ حَمْرًا فِي كُؤُسٍ مِنْ أَثِيرٍ؟<sup>(553)</sup>

والقارئ في ديوان «الأيوبيات» لرشيد أيوب، يلاحظ أنه يستخدم أحياناً بعض الألفاظ الأجنبية في صورة كلمات عربية يعربها هو ويدخلها في شعره، من مثل قوله، في وصف مدينة نيويورك:

كَأَنِّي «بَالصَّبَّوَي» يَوْمَ تَجْمَهَرْتُ \* بِهَا النَّاسُ خِلْتُ النَّاسَ فِي مَوْقِفِ الْحَشْرِ  
تَرْوُحُ بِهَا «الكَارَات» مَلَأَى خَائِقًا \* وَتَرْجَعُ فِيهَا مُثْقَلَاتٌ إِلَى الْجِسْرِ<sup>(554)</sup>

فلاحظ أن كلمتا الصبوي، والكارات أخذتا من الإنجليزية، وفي قطعة أخرى بعنوان «يا زمان» يقول رشيد أيوب:

لَوْ طَرْتُ أَعْلَى السَّمَاءِ مُحَلِّقًا كَالزَّابِلِينَ<sup>(555)</sup>

والزابلين هو الاسم الأجنبي الذي أطلق على أول طائرة اخترعها الغربيون، وهو بالإنجليزية «Ziplin»؛ ويقول في نفس المقطوعة:

لَا بُدَّ أَنْ أَقْوَى عَلَيْكَ مَظْفَرًا لَوْ بَعْدَ حِينٍ  
حَتَّى وَلَوْ هَاجَمْتَنِي تَحْتَ الْمِيَاهِ «بَصْبَمَرِينَ»<sup>(556)</sup>

والكلمة الأخيرة هنا كلمة أجنبية «Submarine» وهى بمعنى الغواصة المائية التي تستخدم في أوقات الحرب<sup>(557)</sup>.

(552) حسن جاد حسن، الأدب العربي في المهجر، ص 411.

(553) جبران خليل جبران، المجموعة الكاملة (الشعر)، جمع وتقديم أنطوان القوّال، ص 33.

(554) رشيد أيوب، ديوان الأيوبيات، ص 19.

(555) المرجع السابق، ص 32.

(556) المرجع السابق، ص 24.

(557) نادرة جميل سراج، شعراء الرابطة القلمية، ص 272.

ومن هنا كانت ثورة النقد على أدبهم واتهامه بالركاكة اللفظية والخروج على قواعد اللغة وأصولها، حتى رأينا جبران خليل جبران يرد عليهم بقوله: «لكم لغتكم ولى لغتي...»، ورأينا ميخائيل نعيمة يقول: «يطالع ضفادع الأدب ما نكتب وننظم فيقولون: نعماً الأفكار، ونعماً العواطف ونعماً الأسلوب، ولكن اللغة ... كأننا نلقي عليهم دروساً في اللغة، الإنسان أوجد اللغة، ولم توجد اللغة الإنسان، فهي تحيا به لا هو يحيا بها، وهي تتغير بتغير أطواره، له أن يديرها بعاطفته وفكره، فيستعمل اشتقاقاً لم يسبق لغيره استعماله، ويصوغ كلمة لم ينقلها القاموس عن لسان أبناء البادية»<sup>(558)</sup>.

ونلاحظ أن الطابع الشكلي عند الرابطين، يتجلى في حرية استخدام اللفظ، كما يهديهم إليه حسهم وذوقهم؛ وفي اختيارهم للتعبير عما تجيش به نفوسهم من المعاني والأفكار؛ وعن هذا المنحى يقول حسن جاد: «التعبير عندهم لا يراد لذاته، بل لما يحمله من مضمون وروح؛ وهو بعد ذلك تعبير بسيط ليس فيه زخرف ولا وشي ولا صنعة أو زركشة يكفي عندهم أن يكون اللفظ حياً بالصورة معانقاً للفكرة»<sup>(559)</sup>.

وما دمنّا في الحديث عن الألفاظ، فقد يكون من المناسب إثبات ملاحظة عامة وجدناها عند الكثيرين من هؤلاء الشعراء؛ هي أنهم كثيراً ما يستخدمون ألفاظاً تدل على ذوق موسيقي عام عندهم، ومعرفة بالآلات والأنغام والألحان؛ فالموسيقي ليست شائعة في أنغام الأبيات فحسب، بل تبرز في ألفاظ معينة منتشرة في دواوينهم وسطورهم؛ إنهم كثيراً ما يتحدثون عن العود والناي والمزمار، وكثيراً ما يخاطبون الكمنجة والقيثارة وينشئون على ألحانها أشعارهم، فإذا قرأنا ديوان «هي الدنيا» لرشيد أيوب، لوجدناه أكثر ميلاً إلى هذه الناحية الموسيقية الغنائية، ومن ذلك قوله:

هَاتِ الْكَمَنَجَةَ هَاتِهَا اللَّهُ فِي نَعْمَاتِهَا  
وَأَعِدْ عَلَى سَمْعِي حَدِيثَ الْحُبِّ مِنْ رَنَاتِهَا<sup>(560)</sup>

وأبو ماضي يقول في خمائله:

لَا تَسْأَلُونِي الْيَوْمَ عَنْ قَيْنَارَتِي \* قَيْنَارَتِي حَسْبُ بِلَا أَنْغَامِ<sup>(561)</sup>

وليس غريباً على شعراء مرهفي الحس مثل شعراء الرابطة القلمية أن يكثرُوا من استعمال مثل هذه الكلمات الموحية والألفاظ الرقيقة، فقد يلاحظ كل من يقرأ

(558) حسن جاد حسن، الأدب العربي في المهجر، ص410.

(559) حسن جاد حسن، الأدب العربي في المهجر، ص411.

(560) رشيد أيوب، ديوان: (هي الدنيا)، ص230.

(561) إيليا أبو ماضي، ديوان (الخمائل)، ص423.

دواوينهم ومؤلفاتهم أنهم لا يستخدمون من الألفاظ إلا ما كنت غاية في الدقة مليئة بالقدرة على إثارة الإحساس تشع منها الثقافة والمعرفة والفهم الصحيح لنواحي الحياة المختلفة<sup>(562)</sup>.

أما من حيث الأساليب الشعرية فنجد عند مجموعة شعراء الرابطة القلمية ميلاً إلى استخدام الأسلوب القصصي في بعض قصائدهم ومقطوعاتهم، وهي غالباً من النوع العاطفي أو التأملي الحزين، مثل قصة «الشيخ والفتاة» لرشيد أيوب، وقصة «الشاعر والملك الجائر» لإيليا أبو ماضي و «الأسطورة الأزلية» له أيضاً.

وهم أحياناً يستخدمون الأسلوب الحوارية في شعرهم القصصي وغير القصصي، ويكون الحوار عادة عندهم بين شخصين أو أكثر حسب موضوع القصيدة، وكثيراً ما يجرد الشاعر من نفسه شخصية يحاورها ويكلمها؛ وقد عالجا أكثر موضوعاتهم الإنسانية بطريق الحوار القصصي الجميل، ونظموا كثيراً من القصص الشعرية على لسان: الحيوان والنبات والجماد، وكانت تلك المنظومات لا تحيد عن الغرض الإنساني فيما ترمز إليه من أفكار، وما تعالجه من موضوعات، ومن أمثلة ذلك قصيدة إيليا أبو ماضي «التينة الحمقاء»، فيقول فيها:

وَتَيْنَةٌ غَضَّةُ الْأَفْنَانِ بِاسِقَةٍ \* قَالَتْ لِأَتْرَابِهَا وَالصَّيْفُ يَحْتَضِرُ  
لَأُخْبِسَنَّ عَلَى نَفْسِي عَوَارِفَهَا \* فَلَا يَبِينُ لَهَا فِي غَيْرِهَا أَثَرُ  
وَوَظَلَّتْ التَّيْنَةُ الْحَمَقَاءَ عَارِيَةً \* كَأَنَّهَا وَتَدُ فِي الْأَرْضِ أَوْ حَجَرُ

إلى أن يقول:

وَلَمْ يَطُقْ صَاحِبُ الْبُسْتَانِ رُؤْيَيْهَا \* فَاجْتَنَّتْهَا فَهَوَتْ فِي النَّارِ تَسْتَعِرُ  
مَنْ لَيْسَ يَسْخُو بِمَا تَسْخُو الْحَيَاةُ بِهِ \* فَإِنَّهُ أَحْمَقُّ بِالْحَرْصِ يَنْتَجِرُ<sup>(563)</sup>

نلاحظ من خلال هذا الأسلوب الرمزي الجميل، أن إيليا أبو ماضي يدعو الإنسان للبذل والعطاء، وأن يكون ذا فائدة وقيمة في مجتمعه، فإذا ما خلا من فائدة وقيمة مفيدة كان الزوال به أجدر والفناء به أحق<sup>(564)</sup>.

وقد سمى الدكتور مندور أدب المهجر «بالأدب المهموس»، ويقول عن ذلك: «الهمس في الشعر ليس معناه الضعف، فالشاعر القوي هو الذي يهمس فتحس صوته

(562) نادرة جميل سراج، شعراء الرابطة القلمية، ص275.

(563) إيليا أبو ماضي، ديوان (الجدول)، ص64.

(564) ميرغني حمد ميرغني، النزعة الأنسانية في شعر أبي ماضي، مجلة الجزيرة للعلوم التربوية والإنسانية، مجلد41، العدد الأول، 7102، ودمدني، السودان، ص881.

خارجاً من أعماق نفسه في نغمات حارة»<sup>(565)</sup>؛ فهو أدب روحي شفاف يخاطب الأرواح قبل الآذان، ويتحدث إلى المشاعر قبل الأسماع، فهو لا يعتمد على الجرس المجلل، أو الديباجة الأسرة، كما كان الشعر العربي يعتمد على ذلك من قبل<sup>(566)</sup>.

يقول حسن جاد حسن معلقاً على ما أسماه دكتور مندور «الأدب المهموس»: «والحق أن هذا الأسلوب قد استمد همسه ورقته ورهافته من إحساسهم المرهف بالحنين، وشعورهم المرير بالغربة، ونفوسهم التي اعتصرها ألم الكفاح والتأمل، وأرواحهم التي شفهها الوجد، وصهرها الحرمان»<sup>(567)</sup>.

إن هذا الأسلوب الهامس الرهيف يشيع برقته الغنائية في أدب المهجر بصفة عامة؛ وحسبنا أن نقرأ - مثلاً - شعر أبي ماضي لنعرف مدى هذه الرقة وما فيها من بساطة التعبير، وإيحاء اللفظة الشاعرة، ومن ذلك قوله في قصيدته «ابتسم»:

قَالَ: السَّمَاءُ كَثِيْبَةٌ! وَتَجَهَّمَا \* قُلْتُ ابْتَسِمْ يَكْفِي التَّجَهُّمُ فِي السَّمَاءِ  
قَالَ: الصَّبَا وَلِي! فَقُلْتُ لَهُ: ابْتَسِمْ \* لَنْ يُرْجَعَ الْأَسْفُ الصَّبَا الْمُتَصَرِّمًا<sup>(568)</sup>

وهكذا نرى الأسلوب المهجري يبدو في بساطته، فنراهم ينظمون بأسلوب أقرب ما يكون إلى النثر، مما حدا بالدكتور «محمد عبد المنعم خفاجي» أن ينعتهم بأنهم «من صفوة شعراء المعاني»<sup>(569)</sup>.

ونلاحظ أن شعراء الرابطة القلمية، أكثر حرية في اللغة، وتجديداً في الألفاظ والأساليب، من غيرهم في المهجر؛ فقد كانوا يؤمنون بالتجديد في الشعر، ويرون الشعر صورة متحركة نابضة بالحياة، لا يطفئ عليها الأسلوب، يقول أبو ماضي في مطلع ديوانه «الجدول»:

لَسْتُ مِنِّي إِنْ حَسِبْتَ الشَّعْرَ أَلْفَاظاً وَوَزْناً  
خَالَفْتَ دَرْبَكَ دَرْبِي، وَأَنْقَضَى مَا كَانَ مِنَّا  
فَانْطَلِقْ عَنِّي لئَلَّا تَقْتَنِي هَمًّا وَحُزْناً<sup>(570)</sup>

(565) محمد مندور، في الميزان الجديد، ط1، مؤسسة هنداوي، القاهرة، مصر، 2020، ص59.

(566) ينظر: محمد مندور، في الميزان الجديد، ط1، ص59 وما بعدها.

(567) حسن جاد حسن، الأدب العربي في المهجر، ص412.

(568) إيليا أبو ماضي، ديوان (الخمائل)، ص270.

(569) محمد عبد المنعم خفاجي، قصة الأدب المهجري، ص149.

(570) إيليا أبو ماضي، ديوان (الجدول)، ص9.



## المبحث الثاني المعاني والصور

إنَّ الأدب المهجري يتسم بدقة الحس، وعمق الشعور، وخصوبة الخيال، وحرية التفكير، وشبوب العاطفة، وجدة الصور، وجمال التصوير<sup>(571)</sup>.

إذن التصوير البارع فن المهجريين الذين استوحوه من إحساسهم المرهف وعمق نظرهم إلى الحياة، واستغراق شعورهم في الطبيعة، ومن البيئة التي عاشوا فيها، ثمَّ مما استوعبوه من الآداب الأجنبية، ومن خلال النماذج التالية يتضح لنا هذا الفن التصويري البارع في أدبهم:

إنَّ جبران خليل جبران قد كان زعيم الفن التصويري، يرسم بقلمه كما يرسم بريشته صوراً مجسمة تموج بالفتنة والسحر والجمال، فيقول بلسان المطر: «أنا خيوط فضية تطرحني الآلهة من الأعالي، فتأخذني الطبيعة، وتنمق بي الأودية، أنا لآلئ جميلة نثرت من تاج عشتروت، فسرقتني ابنة الصباح ورصعت بي الحقول»<sup>(572)</sup>.

وهو الذي يقول: «وأنا الواقف هناك وقوف المرأة أمام الأشباح السائرة - وأصبح المنزل كقيثارة مقطعة الأوتار- أنفذت الشمس أشعتها إلى الغرفة في يوم برده عضاض ولكن أنيابه من ذهب؛ أسخر من العمل ساعات بكارى من حياتي لعدد من الريالات المومسات»<sup>(573)</sup>.

ويصور لنا الشاعر إيليا أبو ماضي «مجنوناً» يطيل النظر إلى السماء، فيقول:

كَأَنَّمَا يَرْقُبُ رَكْبًا صَاعِدًا \* أَوْ هَابِطًا وَلَيْسَ غَيْرَ الْآلِ  
كَأَنَّمَا يَخْشَى عَلَى الْهَلَالِ \* وَسَائِرِ الشُّهُبِ مِنَ الزَّوَالِ<sup>(574)</sup>

ويقول نسيب عريضة:

حُزْنِي غُنَايَ فَلَوْ فَرَّقْتَهُ هَبَةً \* عَلَى النَّفُوسِ لَأَثَرَتْ أَنْفُسَ النَّاسِ<sup>(575)</sup>

ولعنا نذكر تلك الصورة الحية الرائعة التي جلاها الشاعر ميخائيل نعيمة، التي يوازن فيها بين الفقير والغني قائلاً:

(571) حسن جاد حسن، الأدب العربي في المهجر، ص 418.

(572) المرجع السابق، ص 914.

(573) المرجع السابق، الصفحة نفسها.

(574) إيليا أبو ماضي، الأعمال الشعرية الكاملة، ص 327.

(575) نسيب عريضة، ديوان الأرواح الحائرة، ص 24.

يَا حَاشِدَ الْأَمْوَالِ فَلَسًا إِلَى \* فَلَسِ تَكِدُ اللَّيْلُ قَبْلَ النَّهَارِ  
أَيَّامُهُ صُفْرٌ كَأَوَّامِهِ \* لَا لَوْنَ فِيهَا غَيْرَ لَوْنِ النَّضَارِ<sup>(576)</sup>

وعلى هذا النحو نرى أدب الرابطة القلمية، شعره ونثره، غني بالصور الجديدة والأفكار المبتكرة، والمعاني المولدة.

ومن أبرع الصور التي تجعلك تقف متأملاً تلك الصورة التي رسمها لنا الشاعر إيليا أبو ماضي في تصوير السعادة، حيث نقف أمام شئ له جسم وروح نكاد نلمسه من خلال تلك الجزيئات المتضامنة فيما بينها، مازجاً بين وجدانه والطبيعة<sup>(577)</sup>، حيث يقول:

وَأَرَى السَّعَادَةَ لَا وَصُولَ لِعَرْشِهَا \* إِلَّا بِأَجْنِحَةٍ مِنَ الْوَسْوَاسِ  
فَكَأَنَّ مَا هِيَ صُورَةُ زَيْنَبَ لِلشَّطِّ \* فِيهِ مَرَاجِبٌ وَمَرَايِي  
تَبْدُو لِعَيْنَيْكَ السَّفَائِنَ عَوَّامًا \* وَتَكَادُ تَسْمَعُ رَغْسَةَ الْأَمْرَاسِ  
لَكِنْ إِذَا أَدْنَيْتَهَا وَلَمِسْتَهَا لَمْ تَلَقَ \* غَيْرَ الصَّبْغِ وَالْقِرْطَاسِ<sup>(578)</sup>

وكذلك إيليا أبو ماضي يصور لنا الحزن كأنه شئ مادي، نلمسه ونراه، حين يقول:

وَلَا حُسْنَ فِي نَاطِرِي وَقَلَمًا \* فَتَحْتُهَا مِنْ قَبْلِ إِلَّا عَلَى حُسْنِ  
وَمَا صُورُ الْأَشْيَاءِ بَعْدَكَ غَيْرَهَا \* وَلَكِنَّمَا قَدْ شَوَّهَتْهَا يَدُ الْحُزْنِ<sup>(579)</sup>

فنرى من خلال هذا التصوير الفني البديع، ميلهم إلى التشخيص والتجسيم والتجريد؛ فضلاً عن ارتباطه بمقومات مدرستهم التجديدية.

ومن ملامح التصوير البديع الغني بالشعور والعاطفة، ما نجده عند نعيمة في ديوانه «همس الجفون»، فلننظر إلى تلك الصورة الرائعة في قصيدته «النهر المتجمد»، التي يرسمها للنهر الذي حبسه الصقيع، حتى إذا جاء الربيع بعث فيه الحياة، فاندفعت أمواجه نحو البحر، مليئة بأسرار الليل فرحة بضياء النهار:

لَكِنْ سَيَنْصَرِفُ الشِّتَا وَتَعُودُ أَيَّامُ الرَّبِيعِ

فَتَفَكَّ جِسْمُكَ مِنْ عِقَالٍ مَكْنَتُهُ يَدُ الصَّقِيعِ

(576) ميخائيل نعيمة، ديوان همس الجفون، ص13.

(577) فوزي يوسف إبراهيم، شعر المهجر قضاياه ومميزاته، ص941.

(578) أبو ماضي، الأعمال الشعرية الكاملة، ص783.

(579) المرجع السابق، ص534.

وَتَكْرَرُ مَوْجَتِكَ النَّقِيَّةُ حُرَّةً نَحْوَ الْبَحَارِ  
حُبْلَى بِأَسْرَارِ الدُّجَى سَكْرَى بِأَنْوَارِ النَّهَارِ<sup>(580)</sup>

وكذلك نجد إيليا أبو ماضي في قصيدته «المساء»، حيث يرسم لنا صورة رائعة يستمد مشاهدتها الحياة من الطبيعة، تحس بروعة التصوير فيها، فيقول:

السُّحْبُ تَرْكُضُ فِي الْفَضَاءِ الرَّحْبِ رَكْضَ الْخَائِفِينَ  
وَالشَّمْسُ تَبْدُو خَلْفَهَا صَفْرَاءَ عَاصِبَةِ الْجَبِينِ<sup>(581)</sup>

يقول فوزي عبيد في بحثه «شعر المهجر»، عند تناوله للصور والأخيلة في شعر المهجر: «فهم لم يقتصر على الخيال الجزئي الذي يعتمد على المجاز والتشبيهات والاستعارات، وإنما عبروا عن تجاربهم وخواطرهم الوجدانية بالصورة الكلية التي تصور مشهداً كلياً؛ فهم ينتقلون من الصورة الجزئية إلى الصورة الكلية في مشهد يجمع بين مجموعة من الصور، يجعل منها صورة متألّفة مترابطة نابعة من وجدان الشاعر وأحاسيسه»<sup>(582)</sup>.

وقد جاء أدب الرابطة القلمية على وجه الخصوص، غنياً بالمعاني الجديدة، وأكثرهم حظاً في هذا الجانب جبران خليل جبران، كما يقول وديع ديب في كتابه «الشعر العربي في المهجر الأمريكي»: «لقد جاء الأدب الجبراني غنياً بالمعاني الجديدة، بحيث أوجد لنفسه مدرسة تعرف باسمه؛ ولعله أكثر أدباء المهجر حظاً من هذا التجديد، وجديده هذا هو نتاج الشاعرية والتصوير معاً»<sup>(583)</sup>.

ومن المعروف أن جبران خليل جبران كان شاعراً ورساماً وعازفاً، فجاءت معانيه تلبس غلالة من الظلال الملونة، فإذا أخذنا نماذج من مختاراته، مثلاً<sup>(584)</sup>:

1. لَقَدْ كُنْتُ فِي الْأَمْسِ مِثْلَ مَا ئِدَةٍ شَهِيَّةٍ.
2. وَتَطَاوَلَتْ أَشْبَاحُ الصُّخُورِ وَخَيَالَاتِ الْأَجَارِ.
3. وَوَقَفْتُ نَازِرَةً بَعِيونَ مُغْلَقَةٍ بِالدُّمُوعِ.
4. وَالنَّهْرُ يَتَرَاكُضُ كَأَحْلَامِ الْمُجْرِمِينَ.

نلاحظ في النماذج المختارة السابقة من أدب الشاعر والأديب جبران خليل جبران، أنها تشابهه وكنائيات، تجمع بين ظلال المادة، ومجاز المعنويات الذهنية؛ وإن كان الأدب

(580) د ميخائيل نعيمة، يوان همس الجفون، ص 9.

(581) أبو ماضي، الأعمال الشعرية الكاملة، ص 592.

(582) فوزي يوسف إبراهيم، شعر المهجر قضايا ومميزاته، ص 153.

(583) وديع أمين ديب، الشعر العربي في المهجر الأمريكي، ص 50.

(584) ينظر: المجموعة الكاملة لمؤلفات جبران المعربة، (د.ط)، 1964، دار صادر، ودار بيروت، بيروت، لبنان.

في العصور الأدبية التي سبقت العصر الحديث خلت من هذه المعاني، بيد أن هذه المعاني تكثرت في الأدب المهجري إلى حد يسترعي الانتباه، بحيث تخلع علينا طابعاً قشيباً<sup>(585)</sup>.

ومن هذه المعاني الطريفة أيضاً، قول الشاعر والأديب ميخائيل نعيمة في قصيدته «ترنيمة الصباح»:

هَلْلي هَلْلي يَا رِيَاخَ وَأَنْسِجِي حَوْلَ نَوْمِي وَشَاخَ  
مِنْ خَرِيرِ الْغَدِيرِ وَاهْتِزَازِ الْأَثِيرِ  
وَاحْتِلَاجِ الْعَبِيرِ فِي دُمُوعِ الصَّبَاحِ  
هَلْلي يَا رِيَاخَ<sup>(586)</sup>

وقول أبو ماضي، في قصيدته «الأسطورة الأزليّة»:

وَتَرَحَّمُ الْحَسَنَاءُ مَمْكُورَةً \* خَلَابَةً كَالرَّوْضَةِ الْحَالِيَةِ  
دَمِيمَةً تُشَبِّهُ فِي قُبْحِهَا \* مَدِينَةً مَهْجُورَةً عَافِيَةً<sup>(587)</sup>

وهكذا ينفرد أدب الرابطة القلمية، عن أي أدب عربي سابق، بوفرة ما فيه من الصور البيانية الجديدة، وجدها هي في أنها تنعكس عن حالات الموجودات انعكاساً شعورياً، يلامس وضعها من بعيد أو قريب<sup>(588)</sup>.

وشعراء المهجر - ولا سيما مجموعة الرابطة القلمية - يؤمنون بأن اللغة وسيلة لا غاية، وأن الغاية التي تقصد في الشعر هي المعنى والفكرة، ويكفي في نظرهم أن تومئ الكلمة إلى المعنى إيماء، ولكن ليس معنى هذا أنهم يتغافلون عن استعمال اللغة تطرفاً منهم في ثورتهم، بل إن هذا يعني أنهم يُقدِّمون الفكرة على كل شيء<sup>(589)</sup>. وقد استهوتهم المعاني، لما رأوا الأدب مكبلاً بقيود الصناعة اللفظية في العصر التركي، والشعراء قد وقعوا في إسار اللفظ، حتى باتت الكلمات في الأدب لا تحمل معنى أكثر مما يقتضيه الرصف الذي لا معنى له<sup>(590)</sup>؛ وقد أحس شعراء المهجر بهذا الجمود فثاروا على الضعف في الأدب شكلاً ومضموناً، فكانوا أكثر اعتداداً بالمعنى دون اللفظ، فالألفاظ عند ميخائيل نعيمة رمز لا قيمة له في نفسه، كما يقول: «بل قيمتها فيما

(585) وديع أمين ديب، الشعر العربي في المهجر الأمريكي، ص 51.

(586) ميخائيل نعيمة، ديوان همس الجفون، ص 85.

(587) أبو ماضي، الأعمال الشعرية الكاملة، ص 382.

(588) وديع أمين ديب، الشعر العربي في المهجر الأمريكي، ص 52.

(589) محمد مصطفى هداره، التجديد في شعر المهجر، ص 191.

(590) محمد عبدالغني حسن، الشعر العربي في المهجر، ص 102.

ترمز إليه من فكر ومن عاطفة»<sup>(591)</sup>؛ ويؤكد جبران خليل جبران ما ذهب إليه ميخائيل نعيمة، قائلاً: «فالشاعر لا يطلب في اللغة إلا الروح والجوهر»<sup>(592)</sup>، ويؤكد أبو ماضي ما ذهب إليه جبران ونعيمة، فالمعاني - عنده - في المرتبة الأولى في الشعر، إلا أنه لا يهمل المبنى الجميل، فيرى أن السر في المعاني لا المباني، على أن المعنى الجميل يستلزم أن يكون مبناه جميلاً؛ وقد عرّف أبو ماضي عن اهتمامه بالمعنى، وأعلن ثورته على الذين لا يرون في الشعر إلا الألفاظ والأوزان، قائلاً:

لَسْتُ مِنِّي إِنَّ حَسِبْتُ الشَّعْرَ أَلْفَاظاً وَوَزْناً

خَالَفْتُ دَرْبَكَ دَرْبِي وَانْقَضَى مَا كَانَ مِنَّا<sup>(593)</sup>

إلا أن اهتمامهم بالتجديد في المعاني لم يصرفهم عن الاحتفال بالعبارة والرقعة في التعبير، والتأنق في الإنشاء الزاهي، فالمعاني عندهم قريبة متعمقة، استمدت الكثير من أجواء العلم والفن الغربي الرفيع، ومن هذه المعاني الجديدة المولدة، قول نسيب عريضة:

حُزْنِي غُنَايَ لَوْ فَرَّقْتَهُ هِبَةً \* عَلَى النُّفُوسِ لَأَثَرْتُ أَنْفُسَ النَّاسِ<sup>(594)</sup>

ونرى إيليا أبو ماضي، يتحفنا بهذه المعاني الجديدة، في قوله:

أَنَا مِنْ ضَمِيرِي سَاكِنٌ مَعْقِلٍ \* أَنَا مِنْ خِلَالِي سَائِرٌ فِي مَوْكِبٍ  
فَإِذَا رَأَيْتُ دُونَ الْقَبَاوَةِ دُونَهُ \* فَكَمَا يُرَى فِي الْمَاءِ ظِلُّ الْكُوكَبِ<sup>(595)</sup>

إن هذه الروح الجديدة في أدب الرابطة القلمية، يلخصها لنا ميخائيل نعيمة - مستشار الرابطة -، الذي نظم قانونها وصاغ مقدمته، فيقول في هذه المقدمة: «ليس كل ما سطر بمداد على قرطاس أدباً ولا كل من حرر مقالاً أو نظم قصيدة موزونة بالأديب، فالأدب الذي نعتبه هو الأدب الذي يستمد غذاءه من تربة الحياة ونورها وهوائها، والأديب الذي نكرمه هو الأديب الذي خص برقة الحس ودقة الفكر وبعد النظر في موجات الحياة وتقلباتها، وبمقدرة البيان عما تحدثه الحياة في نفسه من التأثير»<sup>(596)</sup>.

(591) ميخائيل نعيمة، الغربال، ص 401.

(592) حبيب مسعود، جبران حياً وميتاً، ط 2، 6691، دار الريحاني، بيروت، لبنان، ص 231.

(593) أبو ماضي، الأعمال الشعرية الكاملة، ص 555.

(594) نسيب عريضة ديوان الأرواح الحائرة.

(595) أبو ماضي، الأعمال الشعرية الكاملة، ص 243.

(596) ميخائيل نعيمة، مجموعة الرابطة القلمية لسنة 1291، ص 4.

## المبحث الثالث الأوزان والقوافي

إنَّ التجديد في الأوزان والقوافي الشعرية قديم في الشعر العربي، غير أنَّ شعراء المهجر قد أسرفوا في هذا التجديد، وأكثروا من التصرف في الأوزان والقوافي العربية، وثاروا على نظامها التقليدي، وافتنوا في تنويع الأصوات، وتوسعوا في توزيع التفاعيل، وصبها في قوالب جديدة، كما أكثروا من الموشحات، وزادوا على نظامها المألوف، وتحرروا من قيود القافية الواحدة والبحر الواحد»<sup>(597)</sup>.

وجاء في المقدمة التي كتبها ميخائيل نعيمة لمجموعة الرابطة القلمية: «إنَّ الرابطة القلمية ما كانت لتقدم هذه المجموعة إلى قراء العربية لولا اعتقادها بأنَّها قد اتخذت من الأدب رسولاً لا معرضاً للأزياء اللغوية والمهجرية العروضية»<sup>(598)</sup>؛ فالمسائل اللفظية والبيانية لم تكن تعني شعراء الرابطة القلمية بقدر ما كانت تعنيهم المعاني التي يريدون التعبير عنها في شعرهم، ومن هنا كان معظم التجديد الذي أحدثوه من قبيل التجديد في موضوعات القصائد وأفكارها أكثر منه في أوزانها وأساليبها.

ونرى أنَّ نقف على أهم مظاهر التجديد، الذي أحدثه شعراء الرابطة القلمية في هذا القالب؛ ومهما يكن من أمر هذا التحرر والتجديد فإنَّه في الغالب لم يخرج عن التفاعيل العربية المعروفة، كما يقول جورج صيدح: «شعراء المهجر التزموا أول الشعر من حيث الوزن والروي، ولكنهم تفننوا تنويع الأصوات وتنسيق الأبيات، فصبوا شعرهم في قوالب مختارة، لا تقلد العربي القديم ولا الغربي الحديث، كما أبدعوا الحوارات في مطولات وملاحم خلقوا لها تصاميم فنية ملائمة»<sup>(599)</sup>، ويمكن أن نلخص أهم مظاهر هذا القالب الشكلي في عدة صور، ونرفدها بعدد من النماذج حتى يتضح الأمر:

أولاً- صاغوا عدداً من قصائدهم في القوالب التقليدية الموروثة عن الخليل، ملتزمين البحر والقافية، إلا أنَّهم مالوا إلى التجديد في البحور التي لم يكثر منها الأقدمون بصورة عامة، والتي لا تخرج في المجمل عن الإطار العام للعروض الخليلي؛ فأبو ماضي - مثلاً -، يقول:

(597) حسن جاد حسن، الأدب العربي في المهجر، ص 824.

(598) نادرة جميل سراج، شعراء الرابطة القلمية، ص 942.

(599) جورج صيدح، أدبنا وأدباؤنا في المهاجر الأمريكية، ص 47.

أَفَكَّرُ كَيْفَ جِئْتُ وَكَيْفَ أَمْضِي \* عَلَى رُغْمِي فَأَعْيَا بِالْجَوَابِ  
أَتَيْتُ وَلَمْ أَكُنْ أَدْرِي مَجِيئِي \* وَأَذْهَبُ غَيْرَ دَارٍ بِالْإِيَابِ<sup>(600)</sup>

فقد التزم أبو ماضي ببحر الوافر بأجزائه الستة كاملة (مفاعلتن مفاعلتن فعولن)، والتزم بالقافية، ولو أفرغنا الإيقاع من محتواه، ووضعنا أي قصيدة من العصور القديمة، لوجدنا الإطار نفسه بلا اختلاف.

ولرشيد أيوب من بحر الطويل:

أَلَا لَيْتَ لِي مَا قَدْ دَعَاهُ بَنُو الْوَرَى \* حُطَاماً فَأَعْطِي الْبَائِسِينَ وَأَنْفَحْ  
سَمُوحٌ هُوَ الْمَرْءُ الْمَفْرُقُ مَالَهُ \* وَلَكِنَّ مَنْ يُعْطِي مِنَ الْقَلْبِ أَسْمَحُ<sup>(601)</sup>

ولجبران خليل جبران من بحر الكامل:

تِلْكَ الدُّجْنَةُ أَذْنَتْ بِجَلَاءِ \* وَبَدَا الصَّبَاحُ فَحَيَّ وَجْهَ ذُكَا  
الْعَدْلُ يَجْلُوهَا مَقْلًا عَرْشُهَا \* وَالظُّلْمُ يَغْثُرُ عَثْرَةَ الظُّلَمَاءِ<sup>(602)</sup>

فهي على بحر الكامل بأجزائه الستة كاملة (متفاعلن متفاعلن متفاعلن)، لم يخرج فيها عن الإطار القديم، والمنهج الخليلي للموسيقا الشعرية، وأيضاً لجبران خليل جبران من بحر الرمل:

مَاتَ أَهْلِي وَأَنَا قَيْدُ الْحَيَاةِ \* أُنْدُبُ الْأَهْلَ صَبَاحاً وَمَسَاءً<sup>(603)</sup>

ولكننا نلاحظ أنهم لم يرضوا عن جميع الأوزان التقليدية الموروثة عن الخليل، وخاصة تلك الأوزان ذات البحور الطويلة التي أكثر منها شعراء العرب قبلهم، كالسيط والمديد والطويل، وبالتالي نلاحظ عندهم ميلاً إلى استعمال البحور القصيرة أو المجزوءة التفاعيل في معظم الأحيان؛ وخاصة التي يتغنى بها؛ كقول رشيد أيوب في قصيدته «لست منهم»:

لَمَّا أَشَاعُوا بِأَنِّي عَجَزْتُ مِنْ كِبَرِ سِنِّي  
وَمَا لَدَيَّ حُطَامٌ وَمَا بِنَفْسِي تَمَنِّي  
وَفَاخَرُونِي بِمَالٍ وَالْمَالُ هَيْهَاتَ يُعْنِي<sup>(604)</sup>

(600) أبو ماضي، الأعمال الشعرية الكاملة، ص 486.

(601) رشيد أيوب، الأعمال الشعرية الكاملة، تقديم دكتور ميشال جحا، ص 29.

(602) جبران خليل جبران، المجموعة الكاملة (الشعر)، جمع وتقديم أنطوان القدال، ص 67.

(603) المرجع السابق، ص 38.

(604) رشيد أيوب، ديوان أغاني الدرويش، ص 25.

ثانياً- تصرفوا في البحور القديمة المعروفة بالزيادة في التفاعيل أو النقص أو الزحافات والعلل، أو المزج بين التام والمجزوء ونحو ذلك؛ كما في قصيدة إيليا «الشاعر في السماء»، التي صاغها على مخلع البسيط، حيث يقول:

رَأَيْتُ اللَّهَ ذَاتَ يَوْمٍ فِي الْأَرْضِ أَبْكِي مِنَ الشَّقَاءِ  
فَرَّقَ وَاللَّهُ ذُو حَنَانٍ عَلَى ذَوِي الضَّرِّ وَالْعَنَاءِ<sup>(605)</sup>

بتسكين الهمزة، فتصبح (فعولن)، وفي مخلع البسيط (فعول)، ولم ترد كذلك<sup>(606)</sup>.

وكذلك فعل نسيب عريضة في رباعياته من هذا البحر نفسه، فيقول:

شَرِبْتُ كَأْسِي أَمَامَ نَفْسِي \* وَقُلْتُ يَا نَفْسُ مَا الْمَرَامُ؟<sup>(607)</sup>  
ونجد نعيمة يستهل قصيدته «ابتهالات» بمجزوء الرمل، ولكنه يزيد عليه تفعيلة:

كَحَلِّ اللَّهُمَّ عَيْنِي بِشُعَاعٍ مِنْ ضِيَاكِ كَيْ تَرَكَ<sup>(608)</sup>

ثم ينظم عدد من الأبيات من تام هذا البحر، ويعود إلى المجزوء على هذا النظام، وهكذا<sup>(609)</sup>.

يقول ميخائيل نعيمة في كتابه «الغربال»: «الزحافات والعلل أوبئة تنزل بأوزان الشعر العربي فتحرك ساكناً، أو تسكن متحركاً، وتقضم حرفاً هنا، ومقطعاً هناك»<sup>(610)</sup>، ويقول أيضاً: «فلا الأوزان ولا القوافي من ضرورة الشعر، كما أن المعابد والطقوس ليست من ضرورة الصلاة والعبادة، فرب عبارة منشورة، جميلة التنسيق، موسيقية الرنة كان فيها من الشعر أكثر مما في قصيدة من مئة بيت بمئة قافية»<sup>(611)</sup>.

ونلاحظ أن رؤية ميخائيل نعيمة على عروض الخليل وزحافاته وعلله، أضحت نظرية ولم ينقلها إلى طور التطبيق في كل أعماله الأدبية في الشعر، فمعظم قصائده التي ضمنت مجموعته الشعرية الكاملة، كانت تجري على بحور الخليل، باستثناء قصائده المترجمة، فإذا نظرنا نظرة متأنية في ديوانه «همس الجفون» نكشف ولع شاعرنا بالبحور التامة ومجزوءاتها، والتي تتناسب مع مقطوعاته الشعرية، فنجد

(605) أبو ماضي، الأعمال الشعرية الكاملة، ص 755.

(606) حسن جاد حسن، الأدب العربي في المهجر، ص 429.

(607) نسيب عريضة، ديوان الأرواح الحائرة.

(608) ميخائيل نعيمة، ديوان همس الجفون، ص 33.

(609) ينظر، المرجع السابق، قصيدة ابتهالات للشاعر ميخائيل نعيمة، ص 33.

(610) ميخائيل نعيمة، الغربال، ص 108.

(611) المرجع السابق، ص 116.



يلجأ لكل من بحر الخفيف، والرمل، والمتدارك، والمتفقارب، والسريع والطويل، ومجزوءاتها، بالإضافة إلى مجزوءات، الكامل والوافر والبسيط والرجز وغيرها.<sup>(612)</sup>

ثالثاً- أحياناً نجد التفعيلة الواحدة هي أساس القصيدة، ثم يتلاعب الشاعر بالتفاعيل ما شاء، على نحو ما نجده في الشعر الحر الآن، كقول نسيب عريضة في قصيدة «النهاية»:

كَفَّنُوهُ  
أَذْفَنُوهُ  
اسْكِنُوهُ  
هُوَ اللَّحْدِ الْعَمِيقُ  
وَأَذْهَبُوا لَا تَنْدُبُوهُ  
فَهُوَ شَعْبٌ مَيِّتٌ لَيْسَ يَفِيْقُ<sup>(613)</sup>

يقول الدكتور عز الدين إسماعيل في كتابه «الشعر العربي المعاصر» عن ذلك: «التفعيلة تصير أساساً في بناء البيت الشعري، يتصرف فيها الشاعر، بأوضاع وتشكيلات تتناسب مع وقع أفكارها»<sup>(614)</sup>.

والجدير بالذكر هنا، أن نسيب عريضة بُعِدُ من رواد الشعر الحر في عالمنا العربي، يقول الباحث حسن سليمان: «الذي أوقن به أن نسيب عريضة هو رائد شعر التفعيلة من قبل أن يدعي كل من نازك الملائكة وبدر السيّاب نسبته إلى نفسه، حيث توفي عريضة عام 1946م، ونشرت نازك الملائكة مجموعتها التي منها قصيدة «الكوليرا» أولى قصائدها عن شعر التفعيلة عام 1947م، وكان حينها انتقل إلى رحاب الله»<sup>(615)</sup>.

رابعاً- كثيراً ما يتصل صدر البيت بعجزه، وكأنّه نغم متماسك ينهمر انهمازاً موسيقياً من أوله إلى آخره، مرتبط بما قبله وما بعده؛ فالقصيدة كلها عندهم وحدة واحدة لا يقوم فيها البيت بنفسه؛ بل يجمعون شطري البيت الواحد في وحدة متماسكة، كما يقول ميخائيل نعيمة في قصيدة «النهر المتجمد»:

يَا نَهْرُ هَلْ نَضِبْتُ مِياهُكَ فَانْقَطَعْتَ عَنِ الْخَرِيرِ؟  
أَمْ قَدْ هَرَمْتُ وَخَارَ عِزْمُكَ فَاثْنَيْتُ عَنِ الْمَسِيرِ؟<sup>(616)</sup>

(612) فصل سالم العيسى، النزعة الإنسانية في شعر الرابطة القلمية، ص 209.

(613) نسيب عريضة، ديوان الأرواح الحائرة، ص 65.

(614) عز الدين إسماعيل، الشعر العربي المعاصر، ط 5، 4991، المكتبة الأكاديمية، القاهرة، ص 81.

(615) حسن سليمان، مظاهر التجديد في الشعر الحديث، رسالة دكتوراة، كلية الآداب، جامعة النيلين، السودان، 9102.

(616) ميخائيل نعيمة، ديوان همس الجفون، ص 43.

وكما يقول إيليا أبو ماضي في قصيدة «المساء»:

السُّحْبُ تَرْكُضُ فِي الْفَضَاءِ الرَّحْبِ رَكْضُ الْخَائِفِينَ  
وَالشَّمْسُ تَبْدُو خَلْفَهَا صَفْرَاءَ عَاصِبَةِ الْجَبِينِ<sup>(617)</sup>

خامساً- احتذوا حذو شعراء الأندلس في الموشحات، ربما وجدوا فيها متسع للتعبير عن مشاعرهم، والانفكاك من قيود الأوزان والقوافي العربية؛ يقول دكتور محمد عبدالغني: «لقد افتتن شعراء المهجر في الأوزان الشعرية، فمال أكثرهم إلى الموشحات، وإن كانوا لم يتركوا القصيد العادي؛ ولعلهم وجدوا في الموشح - في تغيير أوزانه وقوافيه - انفتاحاً من القافية الواحدة والبحر الواحد، في القصيدة الواحدة»<sup>(618)</sup>.

ولكن نرى أن هناك أسباباً تربط بين المهجريين والأندلسيين، وتذكر أدباء المهجر بالأندلس وتشدهم إليها، وربما لأن الأندلس كانت نقطة الانطلاق الأولى في تحرر الشعر العربي وأوزانه، بما استحدثت من موشحات وأزجال، فكان من الطبيعي أن يستفيد المهجريون بهذه الانطلاقة في ثورتهم التحريرية الأدبية، وأن يجدوا فيها القدوة الهادية، ويسيروا في الطريق الذي مهدته<sup>(619)</sup>.

وقد أتاح لهم غرامهم بالموشحات هذا الانطلاق الحر في اختراع الأوزان التي لم يعرفها الشعر العربي، وأكثروا من هذه الموشحات، كما في قول جبران خليل جبران في موشحة له بعنوان «البحر» من بحر الرمل:

فِي سَكُونِ اللَّيْلِ لَمَّا تَتَنَنِّي \* يَقْظَةُ الْإِنْسَانِ مِنْ خَلْفِ الْحِجَابِ  
يَصْرُخُ الْعَابُ أَنَا الْعَزْمُ الَّذِي \* أَتَبَتَّهُ الشَّمْسُ مِنْ قَلْبِ التُّرَابِ

غَيْرَ أَنَّ الْبَحْرَ يَبْقَى سَاكِنًا  
قَائِلًا فِي نَفْسِهِ: الْعَزْمُ لِي<sup>(620)</sup>

وكقول أبو ماضي من بحر «الرمل» في قصيدته «ريح الردى»:

نَحْنُ مِنْ بَعْدِكَ أَسْرَى لِلشُّجُونِ وَالْكَدَرِ  
تَشْتَكِي أَرْوَاحُنَا ظِلْمَ أَلْمُونِ وَالْقَدَرِ<sup>(621)</sup>

ولعل جميع شعراء الرابطة القلمية مشتركون في إعجابهم بالتوشيح من أوزان الشعر؛

(617) أبو ماضي، الأعمال الشعرية الكاملة، ص 295.

(618) حسن جاد حسن، الأدب العربي في المهجر، ص 234.

(619) حسن جاد حسن، الأدب العربي في المهجر، ص 534.

(620) جبران خليل جبران، المجموعة الكاملة (الشعر)، ص 58.

(621) أبو ماضي، الأعمال الشعرية الكاملة، ص 279.

فنظروا في هذه الموشحات فوجدوها طريفة بين الأوزان الشعرية، مستحدثة بالنسبة لتلك البحور القديمة الشائعة، فمالوا إلى استعمالها والإكثار منها، وخاصة أنهم وجدوا فيها طرافة موسيقية وأنغاماً عذبة سائغة <sup>(622)</sup>، ومن أمثلة ذلك، موشحة جبران خليل جبران «بالله يا قلبي»:

بِاللّهِ يَا قَلْبِي أَكُنْتُ هَوَاكَ وَأَخْفِ الَّذِي تَشْكُوهُ عَمَّنْ يَرَاكَ - تَعْنَمُ  
مَنْ بَاحَ بِالْأَسْرَارِ يُشَابِهُ الْأَحْمَقُ  
فَالصَّمْتُ وَالْكَيْثَمَانُ أُخْرَى بِمَنْ يَعْشَقُ <sup>(623)</sup>

ولم يكتف شعراء الرابطة بتقليد الموشحات الأندلسية، بل نراهم يجددون هم الآخرين في أوزان هذه الموشحات وفي بحورها المختلفة، فهذا رشيد أيوب ينظم موشحة في الحنين يجعل عنوانها «خلياني» وهي الكلمة التي جعلها لازمة لأبيات المقطوعة، ببداؤها بقوله:

يَا خَلِيلِي إِذَا سَطَّ الْمَزَارُ بِفُؤَادِ مَالِهِ غَيْرُ الرَّفِيرِ  
وَهَمِّي دَمْعِي لَدَى ذِكْرِ الدِّيَارِ خَلْيَانِي <sup>(624)</sup>

فنلاحظ أنّ رشيد أيوب في موشحته، جمع فيها بين الشعر الموزون المقفى وبين التوشيح الأندلسي المبتكر، ولرشيد موشحة أخرى بعنوان «بنت الخلود»:

عَطِشْتُ زَهْرَةَ رُوحِي وَذَوْتُ بِنْتُ الْخُلُودِ  
فَسَقَتْهَا مِنْ جُرُوحِي هَا هُنَا أَيْدِي الْوُجُودِ <sup>(625)</sup>

وفي موشحة لنسيب عريضة عنوانها «النعامي» طرافة وجدة ظاهرتان فهو لا يسير فيها على طريق الموشحات الأندلسية تماماً، بل يغير ويبدل ويدخل ما شاء له النغم الموسيقي من زيادة في التفاعيل أو نقص منها، يقول في أحد أدوار هذه المقطوعة:

هَيَا بَنَا يَا نَدَامَى !!!  
فَقَدْ أَتَتْنَا النَّعَامَى تَجُرُّ ذَيْلَ الرَّبِيعِ  
قَدْ زَالَ قَيْدُ الثَّلُوجِ  
هَيَا ابْصُرُوا فِي الْمُرُوجِ جِسْمَ الْجَمَا الْبَدِيعِ <sup>(626)</sup>

(622) - نادرة جميل سراج ، شعراء الرابطة القلمية ، ص250.

(623) - المجموعة الكاملة لجبران ، مرجع سابق ، ص81.

(624) - رشيد أيوب، الأعمال الشعرية الكاملة ، ص56.

(625) - رشيد أيوب ، ديوان أغاني الدرويش ، ص11.

(626) - نسيب عريضة، ديوان الأرواح الحائرة، ص53.

سادساً- كذلك تصرفوا في القافية تصرفاً واسعاً، فحيناً التزموها على النهج القديم، وحيناً نوعوها بتنوع المقاطع، وأحياناً جاءوا بنظام الرباعيات أو الخمس أو المزدوج أو غير ذلك؛ تقول الدكتور نادرة سراج: «لم يكتف هؤلاء الشعراء المجددون بالتنوع في أوزان الأبيات وبحورها فحسب، بل نراهم يشنون حملة شعواء على ذلك القيد الذي رضي به الشعراء العرب على مر العصور وكبلوا به قصائدهم وأشعارهم وهو (القافية)»<sup>(627)</sup>.

وقد كان طبيعياً بعد هذا التحرر في الأوزان، أن يحطم شعراء الرابطة القلمية وحدة القافية، التي ربما كانت عقبة في بعض الأحيان للتعبير عن تجاربهم الأدبية الفنية، شأنها شأن الأوزان؛ ونلاحظ أن «عمال» الرابطة القلمية كثيراً ما يبدأون قصائدهم على قافية معينة، ولكن سرعان ما يملونها وتحن نفوسهم الشاعرة إلى الانطلاق منها، فيغيرون فيها وينظمون مجموعة من الأبيات على قافية مخالفة، ويظهر أن هذا الشعر المزدوج القافية قد راق كثيراً شعراء الرابطة، فأنشأوا على منواله الكثير من مقطوعاتهم وقصائدهم.

يقول ميخائيل نعيمة في حديثه عن الشعر: «إن القافية العربية السائدة إلى اليوم ليست سوى قيد من حديد يربط قرائح شعرائنا، وقد حان تحطيمه من زمان»<sup>(628)</sup>، ومن ذلك قصيدة له بعنوان «الطريق»، يقول فيها:

نَحْنُ يَا ابْنِي عَسْكَرُ قَدْ تَاهَ فِي قَفَرٍ سَحِيقٍ  
نَرْغَبُ الْعُودَ وَلَا نَذْكُرُ مِنْ أَيْنَ الطَّرِيقُ  
فَانْتَشَرْنَا فِي جِهَاتِ الْقَفَرِ نَسْتَجْلِي الْأَثَرُ  
نَسْأَلُ الشَّمْسَ عَنِ الدَّرَبِ وَنَسْتَفْتِي الْحَجَرُ

ولعل أكثر شعر رشيد أيوب يسير على هذه الطريقة الشائعة بين شعراء الرابطة<sup>(629)</sup>، فله مثلاً مقطوعة بعنوان «الحنين إلى صَنِين» يقول فيها:

أَفِيقِي كَفَاكِ مَنَامٌ بَدَا الْفَجْرُ كَمْ تَهَجَّعِينَ  
وَقَامَتْ لَتَنْعَى الظَّلَامَ طَيُورٌ أَلَا تَسْمَعِينَ؟  
فَقُومِي نُجِدَ الْمَسِيرَ إِلَى الْحَقْلِ قَبْلَ الضُّحَى  
وَنَسْدُو بِسَاطِي الْعَدِيرِ فَهَا جُؤْنَا قَدْ صَحَا<sup>(630)</sup>

(627) نادرة جميل سراج، شعراء الرابطة القلمية، ص256.

(628) ميخائيل نعيمة، الغربال، ص70.

(629) ينظر، الأيوبيات: ص5، 1، 20، 31، 53، 65 وأغاني الدرويش: ص29، 40، 48. وهي الدنيا: ص49، 58، 93.

(630) رشيد أيوب، ديوان أغاني الدرويش، ص45.

ولإيليا أبو ماضي قصيدة «الناسكة»، التي يقول فيها:

أُبْصِرْتُ فِي الْحَقْلِ قُبَيْلَ الْمَغِيبِ  
سَنْبَلَةً فِي سَفْحِ ذَاكَ الْكَثِيبِ  
حَائِيَّةٌ مُطْرَقَةُ الرَّأْسِ  
كَأَنَّمَا تَسْجُدُ لِلشَّمْسِ  
أَوْ أَنَّهَا تَتَلَوُ صَلَاةَ الْمَسَاءِ<sup>(631)</sup>

فنلاحظ أنَّ أبا ماضي يسير على قافية موحدة هي (الباء)، ثم يتجه إلى قافية أخرى هي (السين)، ورغم أنَّ هذا التجديد لا نجده في سائر قصائده، إلا أنَّه يعد محاولة للخروج على نظام القافية المعروف .

وهكذا نرى شعراء الرابطة القلمية، ينظمون بهذه الطريقة كل ما يخطر ببالهم من أفكار في الحياة، والطبيعة ومظاهر الكون؛ دون التقيد بقافية محددة.

سابعاً- شعر المهجر بوجه عام وشعر هؤلاء الرابطين بوجه خاص يمتاز بموسيقى داخلية تنساب من خلال أبياته وتوحي بها أوزانه وقوافيه وتتجاوب لها النفوس وتتأثر بها القلوب في يسر وسهولة ودون أي كلفة، ولهذا أطلق عليه الدكتور محمد مندور «الشعر المهموس» وعرّف الهمس في الشعر بأنّه: «إحساس بتأثير عناصر اللغة واستخدام تلك العناصر في تحريك النفوس وشفائها مما تجد»<sup>(632)</sup>؛ ومن أمثلة هذه الموسيقى البديعة في دواوين شعراء الرابطة القلمية قصيدة «أوراق الخريف» لميخائيل نعيمة، التي يبدوها بقوله:

تَنَاقُصُ تَنَاقُصُ  
يَا بَهْجَةَ النَّظَرِ  
يَا مَرْقَصَ الشَّمْسِ وَيَا  
أَرْجُوحةَ الْقَمَرِ<sup>(633)</sup>

وفي قصيدة الشاعر رشيد أيوب بعنوان «الآمال الضائعة»، نرى كيف تسرى في النفوس تلك الموسيقى العذبة، كما في قوله:

جَلَسْتُ بِقُرْبِ شُبَاكِي أُرْدُدُ طَيْبَ ذِكْرِكِ  
وَأَطْوِي بِيَدِ أَحْلَامٍ كَبَتْ فِيهَا مَطَايَاكَ  
وَفِيما النَّفْسُ حَائِمَةٌ تُرْفِرُ فَوْقَ مَعْنَاكَ<sup>(634)</sup>

(631) أبو ماضي، الأعمال الشعرية الكاملة، ص 637.

(632) محمد مندور، في الميزان، ص 56.

(633) ميخائيل نعيمة، ديوان همس الجفون، ص 44.

(634) - رشيد أيوب، الأعمال الشعرية الكاملة، ص 69.

وفي ديوان الشاعر ندره حداد «أوراق الخريف» نرى كثيراً من أمثال هذه الأنغام الشجية والألحان الرنانة، يقول في قصيدة له بعنوان «أغنية الخريف»:

يَمُرُّ ذِكْرُ الصَّبَا أَنْعَامِ مِزْمَارٍ  
أَوْ نَفْحَ زَهْرِ الرُّبَى فِي شَهْرِ آيَارٍ<sup>(635)</sup>

ثامناً- وبجانب الشعر الحر المتحرر التفاعيل والمرسل المتحرر القافية، عند شعراء الرابطة القلمية، نجد لوناً آخرأ متحرراً من كل الأوزان والقوافي، وهو (الشعر المنثور)؛ ويعرفه مبتدعه الكاتب والأديب اللبناني أمين الريحاني بقوله: «يدعى هذا النوع من الشعر الجديد (Vers Libres) بالفرنسية، والإنجليزية (Free Versc)، أي الشعر الحر أو بالحري المطلق؛ وهو آخر ما اتصل إليه الارتقاء الشعري عند الإفرنج وبالأخص عند الأمريكيين والإنجليز؛ فملتون وشكسبير أطلقا الشعر الإنجليزي من قيود القافية، وولت وتمان الأمريكي أطلقه من قيود الغموض، وقد تجيء القصيدة فيه على أبحر عديدة متنوعة»<sup>(636)</sup>؛ ومن أمثلة ذلك مقطوعة رشيد أيوب، فيبدوها بقوله:

وَقَفَ مُسْتَعَصِيّاً عَلَى قَارِعَةِ الطَّرِيقِ فَسَاعِدُوهُ  
فَقَدْ نَضَارَةُ الْحَيَاةِ وَرَوْنَقُهَا فَارْحَمُوهُ  
هُوَ بَيْنَكُمْ كَالْغَرِيبِ فَلَا تَرْفُضُوهُ<sup>(637)</sup>

ففي هذا اللون تتجلى ثورة شعراء الرابطة القلمية على قيود الوزن والقافية، كذلك نجد مثل هذا اللون عند جبران خليل جبران، كما في قوله:

مَا أَجْمَلُكِ أَيَّتَهَا الْأَرْضُ وَمَا أَبْهَاكِ!  
مَا أَتَمَّ امْتِثَالُكَ لِلنُّورِ وَأَنْبَلُ خُضُوعِكَ لِلشَّمْسِ!  
مَا أَغْدَبَ أَغَانِي فَجْرِكَ!<sup>(638)</sup>

وهنا لا بد لنا من التمييز بين الشعر المنثور وما يسمى النثر الشعري، فقد خلط بينهما بعض مؤرخي الأدب؛ فيعرفون أحياناً الاثنين تعريفاً واحداً<sup>(639)</sup>، فتقول دكتورة نادرة سراج: «نجد أحد مؤرخي الأدب في لبنان وهو الأب لويس شيخو اليسوعي يخلط بين هذا الشعر المنثور وبين ما يمكن أن نسميه نثراً شعرياً جميلاً»<sup>(640)</sup>.

(635) ندره حداد، ديوان أوراق الخريف، ص 32.

(636) أمين الريحاني، الريحانيات، ج2، ط1، 4102، مؤسسة هنداوي، مصر، ص281.

(637) رشيد أيوب، الأعمال الشعرية الكاملة، مرجع سابق، ص76.

(638) جبران خليل جبران، البدايات والطرائف، ص81.

(639) ينظر: تاريخ الآداب العربية في الربع الأول من القرن العشرين، للأب لويس شيخو اليسوعي.

(640) نادرة جميل سراج، شعراء الرابطة القلمية، ص762.

وقد فطن لهذا الخلط الدكتور أنيس المقدسي في كتابه «الاتجاهات الأدبية في العالم العربي الحديث»، فقال عند حديثه عن التجديد في الأساليب الشعرية: «لا بد لنا من التمييز بين النثر الشعري والشعر المنثور؛ فالأول: أسلوب من أساليب النثر تغلب فيه الروح الشعرية من قوة في العاطفة وبعد في الخيال»، ثم يعرف الشعر المنثور بقوله: «والشعر المنثور غير هذا النثر الخيالي، وإنما هو محاولة جديدة قام بها البعض محاكاة للشعر الإفرنجي؛ وممن فتحوا هذا الباب أمين الريحاني»<sup>(641)</sup>.

تقول الدكتورة نادرة سراج: «والمتصفح لدواوين شعراء الرابطة القلمية فيما عدا جبران خليل جبران، نجدها خالية تقريباً من هذا الشعر المنثور، وربما أنهم لم يجدوا في نفوسهم حاجة للقول بهذا النوع من الشعر ما داموا قد ملكوا ناصية الشعر المنظوم وحلقوا في أجوائه أيما تحليق؛ إلا أننا نجد لرشيد أيوب في ديوانه «أغاني الدرويش» مقطوعات ثلاثاً من هذا النوع من الشعر، وأغلب الظن أنه قصد أن تكون من هذا الشعر المنثور، ولكنه لم يتوخَّ جميع شروطه ولم يتبع موازينه فجاءت أقرب إلى النثر الشعري منها إلى أي شيء آخر... وهذه المقطوعات الثلاث هي «وادي الجماجم» و «الأعمى» و «الدرويش»<sup>(642)</sup>. ومن شعراء الرابطة القلمية الذين عُرفوا بهذا الأسلوب «جبران خليل جبران»، حتى صاروا يقولون «الطريقة الجبرانية»، فتقول دكتورة نادرة سراج: «كان أكثر الناظمين على هذه الطريقة الشعرية جبران خليل جبران الذي عاصر الريحاني، وتأثر به أكثر من غيره من أعضاء الرابطة، وله آثار من هذا النوع ماثلة في كتابيه «العواصف» و «البدائع والطرائف»<sup>(643)</sup>.

وهكذا نلاحظ أن شعراء الرابطة القلمية، قد وقفوا موقفاً قوياً من أوزان الشعر القديم، وقيود القافية المعروفة، إلا أننا نلاحظ رغم هذا التجديد وتأثرهم بأشعار الغربيين وميلهم للتوشيح، لم يستغنوا عن البحور والتفعيلات العربية القديمة، بل نجدهم منتمون إلى الشرق حيث نظموا على الشكل العروضي التقليدي كثير من أشعارهم، فدواوينهم مليئة بالقصائد التي تسير على أوزان الخليل، وعليه فشعرهم شعر عربي الروح والانتماء<sup>(644)</sup>.

إن هذا التحرر الذي سلك دربه شعراء الرابطة القلمية بالمهجر الشمالي، لم يرق لآخرين من الذين تمسكوا بالأوزان المألوفة والقوافي المعروفة، اعتزازاً بما ورثوه عن

(641) - أنيس الخوري المقدسي، الاتجاهات الأدبية في العالم العربي الحديث، ص 198.

(642) - نادرة جميل سراج، شعراء الرابطة القلمية، ص 662.

(643) - المرجع السابق، ص 962.

(644) - فوزي يوسف إبراهيم، شعر المهجر قضايا ومميزاته، ص 031.

أسلافهم، فيرون أنّ هذه النزعة التحررية والرغبة في التفلّت من القيود لدى شعراء الرابطة القلمية، قد ساقطتهم في تيار من التسامح اللغوي، وارتكاب الضرورات<sup>(645)</sup>.

ولا شك أنّ المحافظين لم يسكتوا على هذه الانطلاقة الثائرة على القديم، فوقفوا لهؤلاء المجددين بالمرصاد، وعدوا عليهم من الذنوب خروجهم من القواعد المقررة، والأصول الثابتة في اللغة، وأساليب البيان، والتحرر من الوزن والقافية في بعض أشعارهم، وهذا ما سنعرض له في المبحث الآتي، ضمن آراء النقاد في شعر شعراء الرابطة القلمية- بإذن الله تعالى وتوفيقه .

---

(645) - محمد عبد الغني حسن ، الشعر العربي في المهجر، ص 97.



## المبحث الرابع

### آراء النقاد في أدب الرابطة القلمية

النقد الأدبي هو فن تفسير الأعمال الأدبية، وهو محاولة منضبطة يشترك فيها ذوق الناقد وفكره، للكشف عن مواطن الجمال أو القبح في الأعمال الأدبية؛ والأدب كما هو معروف أنه سابق للنقد في الظهور، ولولا وجود الأدب لما كان هناك نقد أدبي لأن قواعد مستقاة ومستنتجة من دراسة الأدب.

إن أدب المهجر مثله مثل الآداب العربية الأخرى، تعرض لكثير من الآراء النقدية المتعارضة، من قبل النقاد والأدباء، في البلاد العربية وفي بلاد المهجر نفسها؛ وفي هذا المبحث يرى الباحث أن يتناول بشيء من التفصيل غير المخل بعض آراء النقاد حول أدب المهجر، خاصة الآراء النقدية تجاه أدب شعراء الرابطة القلمية.

نجد في كتاب «لبنان الشاعر» لصلاح لبكي، زهور فواحة من الثناء نثرها على الأدب المهجري، فقال عنه إنه: «شعر يتعدى حدود الوجدانية الذاتية ليتصل بالشعور البشري العام؛ يميزه كونه مستمداً من صميم الحياة، تؤخذ بروعته وتفتن بسحره ولا تعرف للافتتان والروعة والسحر سبباً غير ما وقع في نفسك من أثر تلك الروعة وذاك السحر؛ إنه خفقة قلب وخلجة نفس وخطفة خيال، أخذنا عنه الاتجاه العلمي ومبدأ المساواة بين الرجل والمرأة، وأهمية العمل الجماعي الواسع»<sup>(646)</sup>؛ ولكنّه لم يفرغ من الثناء حتى وجه على الشعر المهجري العيوب التالية:

1. جمال المرأة ظل غائباً عن شعر المهجر باستثناء جبران.
2. غنى باللفظة التي تتجسد صورة ملموسة وأهمل طاقتها الإيحائية.
3. الشاعر المهجري يهمس ويفسر ويوضح، لكنه لا يوميء ولا وحي.
4. يضحّي المبني للاستبقاء على سلامة المعنى وينحط أحياناً إلى مستوى النثر الرديء.
5. ظل شعرهم عبد الصورة الجامدة والاستعارات والكنائيات البدائية.
6. آنس ضعفهم في اللغة ويأسهم من إصلاحها فلم يجدوا بداً من أن يتخذوا هذا الضعف مذهباً.

يقول جورج صيدح تعليقاً على تلك المآخذ التي أوردها صلاح لبكي في الشعر المهجري: «هذه الحملة تتجه على شعر المهجر إلى الشكل من خمس جهات وإلى المضمون من جهة واحدة، هي أن جمال المرأة ظل غائباً، وجوابنا على هذا المآخذ

(646) - صلاح لبكي، لبنان الشاعر، ط1، 1954، مطابع المراسلين اللبنانيين، بيروت، لبنان، ص144.

الأخير أَنَّ الكاتب - رحمه الله - كان مرهقاً بالأعمال والمهمات، ولم يتسع وقته لمطالعة دواوين الشعر المهجري، فبنى حكمه على القليل الذي اطلع عليه؛ فهاكم قول أبو ماضي:

أَيُّ شَيْءٍ فِي الْعِيدِ أَهْدَى إِلَيْكَ \* يَا مَلَائِكِي وَكُلُّ شَيْءٍ لَدَيْكَ<sup>(647)</sup>  
وله أيضاً:

لَوْ أَنَّني يَا هِنْدُ بَدَرَ السَّما \* نَزَلْتُ مِنْ أَفْقِي إِلَى مُخْدِعِكَ<sup>(648)</sup>  
ولرشد أيوب:

جَلَسْتُ بِقُرْبِ شُبَاكِي أُرَدُّ طَيْبَ ذِكْرِكَ<sup>(649)</sup>

ويواصل جورج بقوله: «نقف عند هذا الحد، لأنَّ الشواهد لدينا لا يحصى عددها، أما حملة الناقد على مباني الشعر فمريعة حقاً؛ اللفظ أخرس، والعبارة مبتذلة، والمبنى منحط، والصورة جامدة، واللغة ضعيفة؛ فماذا بقي فيه من معالم الحسن وآثار الفن؟»<sup>(650)</sup>.

وكتب الدكتور طه حسين ملاحظات عن شعر المهجريين، منها قوله: «... ولكنني حائر حقاً في أمر هذا النحو من الشعر وهذا الفريق من الشعراء؛ قوم مُنحوا طبيعة خصبه وملكات قوية، وخيالاً بعيد الآماد، وهم مهيئون ليكونوا شعراء مجودين، ولكنهم لم يستكملوا أدوات الشعر، فجهلوا اللغة أو تجاهلوا، ثم اتخذوا هذا الجهل مذهباً، فأصبحنا من أمرهم في شك مريب، لا نستبح لأنفسنا أن نغري الناس بقراءتهم لأننا إن فعلنا أغريناهم بالخطأ...»<sup>(651)</sup>.

يقول فؤاد ياسين في كتابه «الشاعر المهاجر إيليا أبو ماضي»: «وكأنني بالأستاذ ميخائيل نعيمة يردُّ على الدكتور طه حسين عندما قال: «ونقم أنصار التقليد والجمود على الرابطة، فما كانت نقيمتهم إلا لتزيدها قوةً وحماسةً واندفاعاً ولتنمي عدد أنصارها ومريدها ومقلديها والمعجبين بها في كل قطر عربي، حتى حار في أمرها أصحابها وأعداؤها على السواء؛ فما عادوا يعرفون إلى ماذا يعززون سرَّ قوتها وبُعد تأثيرها، فمن قائل إن السر في الأدب الأمريكي الذي تأثر به عمال الرابطة، هو قول

(647) - أبو ماضي، الأعمال الشعرية الكاملة، ص 275.

(648) - أبو ماضي، مجلة الرسالة، العدد 133، نوفمبر 9391، ص 9.

(649) - رشيد أيوب، الأعمال الشعرية الكاملة، ص 86.

(650) - جورج صيدح، أدبنا وأدباؤنا في المهاجر الأمريكية، ص 771.

(651) - طه حسين، كتاب حديث الأربعاء، ج 3، ط 21، 3791، دار المعارف، مصر، ص 002.

فارغ، ومَن قائل: إنّه في جوّ الحرية الأمريكية؛ وهو قول أفرغ، ومَن قائل أنّه في تهتك عمال الرابطة من حيث اللغة العربية وأصولها، وهو قول أفرغ وأعقم من القولين الأولين؛ أما الحقيقة فلا يعلمها إلا الذي جمع عمال الرابطة القلمية في فسحة محدودة، من ديار غربتهم ولمحة معلومة من زمان هجرتهم ووضع في صدر كل منهم جذوة تختلف عن أختها حرارة وبهاء، ولكنّها من موقد واحد وإياها»<sup>(652)</sup>.

وكتب الدكتور طه حسين أيضاً، في نقده لشعر إيليا أبو ماضي يقول: «لست أزعّم أنّ لغة الشاعر رديئة أو منكرة، ولكنها تقارب الرداءة أحياناً حتى توشك أن تغل فيها إيغالاً»، ويزيد إلى ذلك بقوله: «إنّهُ مصحح لمعانيه محقق لها لا يكاد يفسدها أو يخطئ فيها؛ يتناول المعاني والأغراض التي سبقه إليها المتشائمون من القدماء والمحدثين فينفخ فيها من روحه القوي ويكاد يفرض شخصيته فرضاً»<sup>(653)</sup>.

وقد علق الأستاذ حبيب الزحلاوي في كتابه «أدباء معاصرون»، على رأي الدكتور الناقد طه حسين، بقوله: «إنّ أبو ماضي كما يعرفه الأدباء واحد من ثلاثة شعراء هذا العصر يطوّع عناصر الحياة لفنّه الجميل فيجعله خالداً ببساطته وصدقه وموسيقاه وهو المبرز الوحيد من نوعه، لا يدلف إلى النقاد متزلفاً ولا يستجدي المديح والتقريظ من أحد»<sup>(654)</sup>.

ويقول أبو ماضي نفسه في مقدمة كتبها لديوان نعمة الحاج<sup>(655)</sup>، مدلاً على أنّه لم يسقط قيمة المبنى في ما نظمه من شعر: «لا يصير الشاعر شاعراً حقيقياً حتى يستنبط ويبتكر، أمّا متى يصير فأمراً موقوف على قوة شاعريته ومقدار عبقريته؛ لكل شاعر آيته كما لكل نبيّ معجزته، ... فإذا كان المعنى جميلاً مبتكراً ظهر جماله وبانت جدته للعيون؛ على أنّ المعنى الجميل يستلزم المبنى الجميل»<sup>(656)</sup>.

وقد نقد الشاعر الكبير زعيم الشعر التمثيلي عزيز أباطة<sup>(657)</sup> شعر المهجر، من حيث شكله ومضمونه، فقال عن الشكل: «إنّ أسلوبهم لا شيء فيه للبلاغة وحسن السبك؛ صناعته البيانية تزور عن الذوق العربي السليم، لم يفتحوا آفاقاً جديدة في الفن عجز عن الصعود إليها إخوانهم في لبنان؛ فالأدب المهجري لم يتبلور بعد

(652) ميخائيل نعيمة، جبران خليل جبران، ط1، 1934، مطبعة لسان الحال، بيروت، لبنان، ص182.

(653) المرجع السابق، ص196.

(654) حبيب الزحلاوي، أدباء معاصرون، ط1، 1935، مطبعة دار الإخاء، لبنان، ص45.

(655) نعمة الحاج (1889 - 1978): شاعر لبناني هاجر إلى أمريكا الشمالية عام 1904، وله دواوين شعرية، ديوان نعمة الحاج،

وديوان المشرق، وديوان مرآة الخيال، تعاون مع أحمد زكي أبو شادي في تأسيس رابطة "منيرفا" في نيويورك عام 1948. ينظر: أدبنا وأدباؤنا لجورج صيدح، ط3، بيروت، 1964، ص312.

(656) جورج صيدح، أدبنا وأدباؤنا في المهاجر الأمريكية، ص199.

(657) المرجع السابق، ص175.

ولم يتخذ له صورة واضحة المعالم بحيث يفرد له أثر بعيد المدى في تطور الأدب العربي المعاصر»<sup>(658)</sup>، أمّا عن المضمون، فوجه الشاعر الناقد عزيز أباظه عدة اعتراضات، هي:

1. الحب عندهم يكاد يكون ثانوي القيمة في عناصر الحياة، لا معنى عميقاً في أغوار الإنسانية.
2. الشك طابع شعرهم، يشكون في كل شيء ولا يهتدون إلى شيء.
3. لا يأبهون بتعاليم الدين اقتداء بشعراء الغرب الذين لا ينظرون إلى الأديان نظرة ملؤها القداسة والاحترام.
4. الطبيعة في شعرهم ليست حارة متدفقة، أزهارها صناعية بلا شذا.

وعلى هذا ردّ الأستاذ العقاد بقوله: «إنّ الأدب المهجري عمره أربعون سنة على الأكثر، وعلينا أن نضعه أمام أربعين سنة تقابلها في موازين الآداب العربية فلا يخرج من المقابلة خاسراً؛ لأنّ عدد المجيدين من شعرائه وكتّابه لا يقل عن عدد نظرائهم في بيئة تضارعها، مع الفارق بين أناس تؤاتيههم الأسباب في مواطن اللغة، وأناس يحملون مشعل اللغة إلى سماء لا يضاء فيها بغير ما يضعونه من عصارة القريحة وفروض الحياة»<sup>(659)</sup>.

وشار أنصار المحافظة والتقليد كذلك على شعر الرابطين الذي لا يتوخى البحور المعروفة، والأوزان المطروقة، وعدم اهتمام أصحابه باللغة وقواعدها والصرف ومشتقاته؛ كما ثاروا على نثرهم الذي بدأ يشق طريقاً جديداً ما سلكه السابقون؛ وكان من المعارضين في مصر الدكتور محمد حسين هيكل، وإبراهيم عبد القادر المازني، والدكتور طه حسين عميد الأدب العربي، الذي كتب نقداً لديوان «الجدول» - لإيليا أبو ماضي - ضمنه الجزء الثالث من كتابه «حديث الأربعاء»<sup>(660)</sup>؛ ففي قول أبي ماضي:

مَا بَالُكَ مُنْكَمِشاً كَمَدّاً؟ \* قُمْ نَلْعَبْ فِي فِيءِ الشَّجَرِ  
أَوْ نَصْنَعُ خَيْلاً مِنْ قَصَبٍ \* أَوْ طَيَّارَاتٍ مِنْ وَرَقٍ  
وَمُدَى وَسَيُوفاً مِنْ خَشَبٍ \* وَنَجُولَ وَتَرْكُضَ فِي الطَّرِيقِ<sup>(661)</sup>

يقول طه حسين: «فكل هذه الأفعال قد وقعت في جواب الأمر، ومن حقها أن

(658) المرجع السابق، ص 203.

(659) جورج صيدح، أدبنا وأدباؤنا في المهاجر الأمريكية، ص 180.

(660) ينظر: طه حسين، كتاب حديث الأربعاء، ج 3، ط 12، دار المعارف، مصر، 1973، ص 195.

(661) أبو ماضي، الأعمال الشعرية الكاملة، ص 456.

تجزم، ولكن الشاعر لا يحفل بهذا الحق، وليته أعرض عنه إعراضاً تاماً فرفعها كلها والتمس لنفسه علة عند أصحاب العلل من النحويين، ولكنه جزم حين استقام الوزن على الجزم، ورفع حين استقام الوزن على الرفع، فأخضع النحو للعروض، أو قل: لم يحفل بالنحو ولا بالعروض»<sup>(662)</sup>.

وردّ عليه الكاتب والأديب عيسى الناعوري هذا الهجوم بقوله: «أنّ يبحث الدكتور طه حسين في جداول أبي ماضي عن مقطع أو مقاطع ... فيها شيء من المعاني العادية في ألفاظ لا تثير لدى القارئ إحساساً ذا أهمية، فيطبل ويزمر، ويثير الدنيا على رأس أبي ماضي، ويتجاهل كل ما في الديوان من غنى في المعاني والأفكار والأحاسيس والخيالات والتأملات والصور وكل ما فيه من التعابير الجديدة والانفعالات العميقة والإنسانية الرائعة والفكر النير الخلاق»<sup>(663)</sup>.

ومن النقاد الذين هاجموا الأدب المهجري هجوماً شرساً، الناقد أنور الجندي في كتابه «خصائص الأدب العربي»، حيث يقول: «الأدب المهجري يهاجم العريقة العربية وأنّه منفصل عن القيم العربية، ومتصل أيضاً اتصالاً وثيقاً بالقيم الغربية، وأنّ فلسفته فلسفة مادية إباحية، وأدباء المهجر يدعون إلى اللاهوتية وخلافه»<sup>(664)</sup>.

وهنا تفضل علينا الأمير مصطفى الشهابي رئيس المجمع العلمي السوري بهذه الشهادة الغالية، فيقول: «إنما أدباء المهجر ليسوا دون غيرهم حرصاً على سلامة اللغة وتشبثاً بقواعدها، وبالصحيح من كلمها، وإنّ في أقلام بعضهم بياناً يحاكي البيان في أقلام كتّابنا البارزين؛ وحسبهم فخراً أنّهم خدموا العروبة والعربية في تلك البلاد البعيدة، وأدخلوا في لساننا معاني وأساليب جديدة مع الاحتفاظ بموسيقى الأوزان والقوافي»<sup>(665)</sup>.

كما تفضل علينا عباس محمود العقاد بهذه الشهادة أيضاً، حيث يقول: «إنّ جوّ المهجر كله كان ولم يزل إلى التشدد في المحافظة أقرب منه إلى التمرد والإنكار؛ وما ثار الأدباء المهجريون على العقيدة في جوهرها بل على السلطة التقليدية التي أعطت رؤساء الطوائف سلطات سياسية حكومية إلى جانب السلطات الدينية الكهنوتية»<sup>(666)</sup>.

وكتب الأديب المهجري جورج صيدح، قائلاً: «أما الاستهتار بتعاليم الدين فلا نرى له أثراً في أدبهم، - بل بالعكس -، نرى فضائل الإيمان والتقوى والبرّ متجلية في

(662) حديث الأربعاء، مرجع سابق، ص 200.

(663) عيسى الناعوري، أبو ماضي (رسول الشعر العربي الحديث)، ط 1، 1591، دار الطباعة والنشر، عمان، ص 611.

(664) أنور الجندي، خصائص الأدب العربي، ص 192.

(665) جورج صيدح، أدبنا وأدباؤنا في المهجر الأمريكية، ص 702.

(666) المرجع السابق، ص 712.

أعمالهم وأقوالهم، وكل ما في الأمر أنهم متدينون لا طائفيون»<sup>(667)</sup>.

وقد وجد أدب الرابطة القلمية المعارضة أيضاً في العالم الجديد نفسه، من بعض كبار الشعراء المهجريين في أمريكا الجنوبية، وكانت مدرسة الشعر المهجري الجنوبي قد بدأت تظهر وعُرف من أعلامها: الشاعر القروي، وشكر الله الجر، وإلياس فرحات، وميشال معلوف، ونظير زيتون، وحسنى غراب وغيرهم كثيرون ممن كونوا فيما بعد «العُصبة الأندلسية» سنة 1933م في البرازيل.

وكان أول رئيس للعصبة الأندلسية «ميشال معلوف»، ونائب رئيسها داود شكور، وأمين سرها نظير زيتون، وأمين صندوقها يوسف البعيني، وخطيبها جورج حسون معلوف<sup>(668)</sup>؛ والدارس لشعر المهجر الجنوبي يجده أقل تحرراً من شعر المهجر الشمالي - الذي نحن بصده - ، وأكثر تعلقاً بالماضي وبالشعراء القدامى في الشرق العربي، يقول أحد شعراء المهجر الجنوبي، وهو إلياس فرحات:

أَصْحَابُنَا الْمُتَمَرِّدُونَ حَيَالُهُمْ \* نَقْضِي قُرَيْشَ بِهِ وَتَحْيَا حِمِيرُ  
لُعَّةٌ مَشْوَهَةٌ وَمَعْنَى حَائِرُ \* حَلَفَ الْمَجَازُ وَمَنْطِقُ مُتَحِيرُ  
وَزَعِيمُهُمْ فِي زَعِيمِهِمْ مُتَفَنُّنُ \* عَجَباً أَكَانَ الْفَنُّ فِيمَا يُضْمَرُ  
لَا الْأَرْضُ تَفْهَمُ مَا يَصَوِّرُهُ لَهَا \* ذَاكَ الزَّعِيمُ وَلَا السَّمَاءُ تُفَسِّرُ<sup>(669)</sup>

وفي هذا دليل واضح على اتجاه «العصبة الأندلسية» المعاكس في المهجر الجنوبي لاتجاه الرابطة القلمية في المهجر الشمالي، من حيث التجديد في اللفظ والمعنى؛ وفي أبيات إلياس فرحات اتهام لزعيم الرابطة القلمية جبران ولأهداف الرابطة كذلك - وقد صرح أنه يقصده في ديوانه -<sup>(670)</sup>.

ولم يكتف فرحات بذلك، فيقول في رباعية له في نفس الديوان:

إِنِّي لِأَعْجَبُ مِنْ آدَابِ رَابِطَةٍ قَدْ \* أَوْجَدْتُ فِي نِظَامِ الشَّعْرِ تَشْوِيَهَا  
شَنَّتْ عَلَى الْأَدَبِ الْمَيْمُونِ غَارَتَهَا \* فَأَمَعَنْتُ فِيهِ تَشْوِيَهَا وَتَحْدِيشَا  
طَارَتْ فَخِلْنَا نُسُوراً فَوْقَنَا ارْتَفَعَتْ \* ثُمَّ اسْتَقَرَّتْ، فَكَانَتْ كُلُّهَا رِيشَا  
أَشْعَارُهَا عَقُمَ مَعَ أَنَّهَا شَرِبَتْ \* مِنْ مَاءِ صَنِينِ وَالْعَاصِي وَقَادِيشَا<sup>(671)</sup>

(667) جورج صيدح، أدبنا وأدباؤنا في المهاجر الأمريكية، ص712.

(668) عيسى الناعوري، أدب المهجر، ص52.

(669) إلياس فرحات، رباعيات فرحات، ط2، 4591، سان باولو، البرازيل، ص091.

(670) ينظر: ديوان إلياس فرحات، سان باولو، البرازيل، 2391.

(671) إلياس فرحات، الديوان، سان باولو، البرازيل، 2391، ص74.

ولكن نجد زعيم الرابطة القلمية جبران خليل جبران، لم يسكت أمام تلك الصيحات المعادية له ولجموعته، فردّ عليهم مبيناً الفرق بينهم وبينه شارحاً أهداف رابطة معتزلاً بها، فيقول من قصيدة بعنوان «يا مَنْ يُعادينَا»:

جَاوَزْتُمْ الْأَمْسَ وَمِلْنَا إِلَى يَوْمٍ \* مُوَشَّى صُبْحُهُ بِالْخَفَاءِ  
وَرُمْتُمُ الذُّكْرَى وَأَطْيَافَهَا وَنَحْنُ \* نَسْعَى خَلْفَ طَيْفِ الرَّجَاءِ  
وَجُبْتُمُ الْأَرْضَ وَأَطْرَافَهَا وَنَحْنُ \* نَطْوِي بِالْفَضَاءِ الْفَضَاءِ

\* \* \*

لُومُوا وَسُبُّوا وَالْعَنُوا واسْخَرُوا \* وسَاوِرُوا أَيَّامَنَا بِالْخِصَامِ  
وَابْغُوا وَجُورُوا وَازْجَمُوا وَاضْلُبُوا \* فَالرَّوْحُ فِينَا جَوْهَرٌ لَا يَضَامُ  
فَنَحْنُ نَحْنُ كَوَكَبٌ لَا يَسِي إِلَى \* الْوَرَا فِي النُّورِ أَوْ فِي الظَّلَامِ<sup>(672)</sup>

فنراه هنا يبيّن أهداف المهاجرين عامة من حياتهم في المهجر والشعراء منهم خاصة لما لديهم من حس مرهق وشعور رقيق، فهم لا يودون نبش الماضي ولا الالتفات إلى الوراء، كل همتهم النظر إلى الأمام والعمل والبحث في طريق المستقبل؛ ثم تأخذه الحمية فيدافع عن نفسه وعن زملائه.

يقول الدكتور محمد مندور في كتابه «في الميزان الجديد»: «أرفض القول بأنّ أدب المهجر ضعيف منهوك، أين إذن نجد النفس؟ أين نجد توثب القلب وميض القلب؟ أين نجد نبض الحياة؟ وهؤلاء قوم ليسوا ضعافاً؛ إنهم يسمون الأشياء بأسمائها، قوم لا ترهبهم الألفاظ، ليس الأدب ألفاظاً، الأدب روح لا تدري من أين تطالعك»<sup>(673)</sup>.

وكتب الأستاذ خليل هندأوي عن الأدب المهجري يقول: «للأدب في المهجر مدرسة ناضرة مستقلة بخصائصها عميقة بآثارها، وكما ندرس اليوم الشعر الأندلسي في أدبنا سوف ندرس غداً الشعر المهجري؛ إنّه أحفل كل شعر بالألوان واللوايح والذكريات والنزعات الإنسانية»<sup>(674)</sup>.

وقال الأستاذ محمد زكي عبدالقادر في مناظرة بالجامعة الأمريكية، وفي جريدة الأخبار سنة 1956م: «وعندي أنّ شعر المهجر لا ينبغي مقارنته بالشعر العربي في موطنه لاختلاف الظروف والبيئة، وشروط المقارنة الصحيحة أنّ تكون الظروف متشابهة والبيئة متقاربة، ثمّ إنّ شعر المهجر فرع من الأم الكبرى وهي الوطن العربي؛ إنّ

(672) جبران خليل جبران، المجموعة الكاملة، ص 94.

(673) محمد مندور، في الميزان الجديد، ص 61.

(674) جورج صيدح، أدبنا وأدباؤنا في المهاجر الأمريكية، ص 207.

شعراء المهجر عاشوا في بلاد جديدة غريبة، وأخذوا بأساليبها في التفكير والتصوير والفهم، أو على الأقل تأثروا بها، وقد طلّعوا علينا بلون من الشعر هو مزيج من العاطفة الرقيقة والوجدان الشفاف والتصوير للحياة؛ إن لمحتهم الأولى من الشرق الذي منحهم أعظم ما حمل فنهم من روعة، وما انبسط في نفوسهم وأرواحهم من فهم للنوازع الإنسانية والقلق الإنساني، وشكراً لشعراء المهجر فلم ينسوا أوطانهم، وإن كانوا قد تركوها لأنها لم تسعهم؛ ولعل نشدانهم الحرية والرزق هو الذي ألهمهم من شعر فيه تعبير، ومعنى فيه أريج الوطن ومرارة الغربة... إن لضعف اللغة عند أدباء المهجر مبررات وجيهة لا تحد من فضلهم ولو قصرنا في الأداء عن المقيمين»<sup>(675)</sup>.

وقال الدكتور أبو شادي عن مكانة الأدب المهجري: «بلغ الأدب العربي المهجري مكانة يعتد ويقتر بها، وسيبقى مناراً حراً وهاجاً لأجيال وأجيال، لأن تقاليده عميقة كالجذور المتمكنة للأدواح والغابات السامقة الغناء، ومدرسته الأدبية بشطريها الشمالي والجنوبي تعد في الطليعة حقاً»<sup>(676)</sup>.

ونشر الأديب الجزائري أحمد مصطفى عماد الدين مقالاً في مجلة «باريس»، جاء فيه: «قرأ الأدباء الجزائريون آثار أدباء المهجر فأعجبوا بها وأدركوا منذ ذلك الحين أن الأدب الحقيقي هو ما يعرب عن الشعور ويصف الحياة ومشاكلها؛ فنشأ الأدب الجزائري على غرار الأدب المهجري بأغراضه الإنسانية الواسعة ومقاصده الاجتماعية الشاملة»<sup>(677)</sup>.

وقد أجمع النقاد - ما خلا الأستاذ أباطة - على أن شعراء المهجر تفوقوا في شعر الحنين على غيرهم من الشعراء، ويعلل جورج صيدح ذلك بقوله: «لو حللنا أسباب الحنين الذي تدفق من قلبهم على شعرهم لوجدنا أن افتقارهم جمالات الطبيعة التي خلفوها وراءهم، هو العامل الأول، ولشعرنا شعوراً أكيداً بأن قصائد الحنين التي نظموها والتي تهز الوجدان برهافتها ما كانت أزهاراً صناعية بلا شذا، كما يقول الناقد الأستاذ عزيز أباطة»<sup>(678)</sup>.

ويقول جورج صيدح: «لا يسيء إلى الأدباء المهاجرين تعارض الآراء في وزن أدبهم وقيمتهم، بل يرون في المعارضة دليل الاهتمام المشكور»<sup>(679)</sup>.

(675) فوزي يوسف إبراهيم، شعر المهجر قضايا ومميزات، ص 187.

(676) جورج صيدح، أدبنا وأدباؤنا في المهاجر الأمريكية، ص 208.

(677) المرجع السابق، ص 208.

(678) المرجع السابق، ص 222.

(679) المرجع السابق، ص 181.



ويقول ميخائيل نعيمة: «إذا لم يكن للناقد من فضل سوى فضل رد الأمور إلى مصادرها وتسميتها بأسمائها لكفاه ذاك ثواباً»<sup>(680)</sup>.

ونخلص إلى أن أدباء المهجر، بذلك التحرر والتجديد، قد وضعوا مفاهيم نقدية جديدة، وجعلوا الأدب لصيق بالحياة الإنسانية، وسخروا الأعمال الأدبية لتكون مشغولة بالهواجس الفكرية، كالحرية الفردية والعدالة الاجتماعية، وخرجوا لنا بشعر يتعدى الحدود الوجدانية الذاتية ليخلق بالشعور البشري العام، إلى آفاق إنسانية نبيلة، وقد كانوا بذلك من ضمن الذين رسموا معالم النهضة الأدبية في العصر الحديث، ولعلّ هذا ما عناه شاعر النيل - حافظ إبراهيم - حين قال:

لِمِصْرَ أَمْ لِرُبُوعِ الشَّامِ تَنْتَسِبُ \* هُنَا الْعُلَا وَهُنَاكَ الْمَجْدُ وَالْحَسَبُ  
رُكْنَانِ لِلشَّرْقِ لَا زَالَتْ رُبُوعُهُمَا \* قَلْبُ الْهَلَالِ عَلَيْهَا خَافِقُ يَجِبُ  
بِأَرْضِ كَوْلَمَبْ أَبْطَالَ عَطَارِقَهُ \* أَسَدُ جِيَاعٍ إِذَا مَا وَوَثَبُوا وَثَبُوا  
رَادُوا الْمَنَاهِلَ فِي الدُّنْيَا وَلَوْ وَجَدُوا \* إِلَى الْمَجَرَّةِ رَكْبًا صَاعِدًا رَكِبُوا  
سَعَوْا إِلَى الْكَسْبِ مَحْمُودًا وَمَا فَتِنْتُ \* أُمُّ الْعَاثِ بِذَاكَ السَّعْيِ تَكْتَسِبُ  
فَأَيْنَ كَانَ الشَّامِيُّونَ كَانَ لَهَا \* عَيْشٌ جَدِيدٌ وَفَضْلٌ لَيْسَ يَحْتَاجُ<sup>(681)</sup>

(680) - ميخائيل نعيمة ، الغريال ، ص 18.

(681) - ديوان حافظ إبراهيم، ج1، ط2، 1939، مطبعة دار الكتب المصرية، ص268.

## خاتمة

هجرة الأدباء والشعراء من بلاد الشام خاصة من سوريا ولبنان إلى أمريكا لم تكن في مجموعها إلا فراراً من سوء الحالة السياسية والاقتصادية والنفسية في الأوطان، وإنّ الدافع الاقتصادي يعد العامل الأهم والأقوى لهجرة أدباء وشعراء الرابطة القلمية، إلى العالم الجديد، حيث كان الفقر والحرمان هما مصير الكثير منهم، وإهمال الزراعة والصناعة وشتى مرافق الحياة، حيث لم ينفع في مداواتها جهد ولا نشاط، في وسط رجعي النزعة وفي ظل حكومة غاشمة، تستحل الأرزاق، وتهدد الأرواح، وقد اتضح وإنّ هجرة هؤلاء الأدباء كانت في وقتها ضرورة، ولا مفر منها في تلك الظروف الخاصة، وأنها كانت دوافع كافية لأنّ يترك المهجريون أوطانهم؛ في سبيل التماس الحياة الكريمة، والحرية، وفراراً من الضغوط الاقتصادية والسياسية والاجتماعية. إنّ مفهوم "النزعة الإنسانية" لدى شعراء المهجر عامة والرابطة القلمية بوجه خاص، هي شعور الإنسان مع الإنسان بكل ما في هذا التعبير من شمول.. شعور الإنسان مع الحيوان والنبات، وأحياناً شعوره بدافع الألفة مع الجماد. ولقد كان لمجموعة الرابطة القلمية تأثيرها الثوري في الفكر والبيان على أعضائها المنضوين تحت لوائها، فتألفت نزعاتهم، وتوافقت أفكارهم، فأصبحت وكأنها شخصية أدبية واحدة.

وقد وضح جلياً أنّ شعراء الرابطة القلمية بالمهجر الشمالي، هم خير من يمثل النزعة الإنسانية في الشعر العربي الحديث، فقد خلص شعرهم على ضرورة نشر المبادئ الإنسانية النبيلة بين الناس، عن طريق الدعوة إلى الإخاء الإنساني وسيادة العدل والرحمة والمحبة والحرية، ونبذ الظلم والاستبداد، والتسامح الديني، والعطف على الفقراء والمساكين، كما أيقظوا الوعي القومي، ودعوا إلى ثورة تحريرية تنقذ الأوطان العربية من عبودية الاستعمار، وإنّ من أبرز مظاهر النزعة الإنسانية لدى الرابطين، الحنين إلى الأوطان، فقد ارتبط حنينهم إلى أوطانهم الأم ارتباطاً وثيقاً بالغربة، التي صهرتهم بمرارتها، وقسوة الحياة فيها؛ مما فتق أذهانهم، وألهب مشاعرهم، فصاروا يعيشون بأجسادهم في الغرب، وأفكارهم قد أصبحت وقفاً على أوطانهم في الشرق، وظلوا - رغم حركة التجديد في شعرهم - محافظين على اللغة العربية، فهم كوكبة من أبناء الضاد رفعوا لواءها عالياً مرفرفاً في ديار الغربة وراء البحار، واحتفظوا بشخصيتهم العربية التي تعبر عنها لغتهم العربية، كما كانوا على اتصال وثيق وتجاوب إنساني عاطفي متبادل مع أبناء وطنهم طوال سني هجرتهم، إلا أنّهم لم يرضوا عن جميع الأوزان الشعرية القديمة المطروقة، وخاصة

تلك الأوزان ذات البحور الطويلة، فقد مالوا إلى استعمال البحور القصيرة أو المجزوءة التفاعيل في معظم الأحيان، وتفننوا في تنويع الأصوات فصبوا شعرهم في قوالب مختارة لا تقلد العربي القديم ولا الغربي الحديث، وقد إعجبوا جميعاً بالموشحات في أوزان الشعر، فوجدوها طريفة بين الأوزان الشعرية وفيها أنغاماً عذبة سائغة وقريبة من الكلام المنثور، فمالوا إلى استعمالها والإكثار منها، وبالتالي أخذوا عن الأدب الأندلسي تجديده وأوزانه الراقصة، وموشحاته الجميلة، ولم يكتفوا بالتنويع في الأوزان والبحور الشعرية، والتحرر منها فحسب، بل شنوا حملة شعواء على ذلك القيد الذي رضي به الشعراء العرب على مر العصور وكتبوا به قصائدهم وهو "القافية". وأخيراً، تحية لشعرائنا وأدبائنا المهجريين، فقد طرحتهم قسوة الأقدار في مطارح النوى فما شغلهم الكفاح في سبيل الرزق ولا ألهمتهم أكاليل الفوز والنصر عن أن تظلّ قلوبهم مشدودة النياط إلى الوطن الأول وأهله ولغته، وأن يكونوا البلابل المغردة فوق أشجار عربية في مغارس أجنبية، فلو أن أقلامهم لم تجر إلا في الحنين والذود عن الوطن والزهو بالقومية العربية والدفاع عنها وهم في تلك المضارب النائية، لكفاهم ذلك فخراً. فسلام الله يا شعراء المهجر وأدباءه:

سَلَامُ اللَّهِ لَا أَرْضَى سَلَامِي \* فَكُلَّ تَحِيَّةٍ دُونَ الْمَقَامِ<sup>(1)</sup>

(1) أحمد شوقي .

## المصادر والمراجع

### القرآن الكريم

1. أبو بكر الصديق أول الخلفاء الراشدين: محمد رضا، ط2، دار إحياء الكتب العربية، مصر، 1950.
2. أبعد من موسكو ومن واشنطن: ميخائيل نعيمة، ط3، دار صادر، بيروت، لبنان، 1966.
3. أدب المهجر: عيسى الناعوري، ط3، دار المعارف، مصر، 1966.
4. أدب المهجر: صابر عبد الدايم، ط1، دار المعارف، القاهرة، 1993.
5. أدب المهجر بين الأصالة وفكر الغرب: نظمي بديع، ط1، دار الفكر، القاهرة، 1976.
6. أدباء معاصرون: حبيب الزحلاوي، ط1، مطبعة دار الإخاء، لبنان، 1935.
7. أدبنا وأدبائنا في المهاجر الأمريكية: جورج صيدح، ط3، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، 1964.
8. أبو البقاء الرندي شاعر رثاء الأندلس: محمد رضوان الداية، ط2، مكتبة سعد الدين، بيروت، 1986.
9. الاتجاهات الاجتماعية والسياسية في جبل لبنان والمشرق العربي: وجيه كوثراني، ط2، معهد الإنماء العربي، بيروت، لبنان، 1978.
10. الاتجاهات الأدبية في العالم العربي الحديث: أنيس المقدسي، ط1 1977، ط2 1998، دار العلم للملايين، بيروت.
11. الاتجاه الإنساني في الشعر المعاصر: مفيد قميحة، ط1، دار الآفاق، بيروت، 1981.
12. الأجنحة المتكسرة لجبران خليل جبران: بريك نزار هنيدي، (د.ط)، دار رسلان للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، سوريا، 2008.
13. الأدب العربي في المهجر: حسن جاد حسن، ط1، دار الطباعة المحمدية، القاهرة، مصر، 1965.

14. الآفاق الإنسانية في الأدب والفكر: أحمد حمد النعيمي، (د.ط)، دار اليازوري، عمّان ، الأردن، 2008.
15. الأعمال الشعرية الكاملة لرشيد أيوب، تقديم دكتور ميشال جحا، ط1، دار بيسان ، بيروت، 1985.
16. الأعمال الشعرية الكاملة: إيليا أبو ماضي، جمع وتقديم د.عبدالكريم الأشتر، ط1، مؤسسة جائزة عبدالعزيز سعود، الكويت، 2008.
17. الالتزام في الشعر العربي : د.أحمد أبو حاقه ، (د.ط)، دار العلم للملايين ، بيروت ، لبنان، 1979.
18. أزمة الثقافة الإسلامية: هشام جعيط، ط3، دار الطليعة للطباعة، بيروت، 2011.
19. أعلام الأدب والفن: ج1، أدهم آل جندي، ط1، مطبعة مجلة صوت سوريا، دمشق، 1954.
20. أقرب الموارد في فصح العربية والشوارد: سعيد الخوري الشرتوني، ج1، مكتبة لبنان، بيروت ، (د.ت).
21. -أعلام الهداية: المجمع العالمي، ج1، إيران، 1381هـ.
22. أنثولوجيا الأدب العربي المهجري المعاصر: لطفي حداد ، المجلد2، ط1، دار صادر، بيروت ، 2004.
23. إنسانية الإنسان: رالف بارتون بيري ، ترجمة سلمى الجيوسي ، ط1، مكتبة المعارف، بيروت ، 1989.
24. أنتم الشعراء: أمين الريحاني، ط1، مؤسسة هنداوي، القاهرة ، مصر، 2012.
25. إيليا أبو ماضي رسول الشعر العربي: عيسى الناعوري، (د.ط)، بيروت، 1958.
26. إيليا أبو ماضي والحركة الأدبية في المهجر : نجدة فتحي صفوة ، ط1، مطبعة الحكومة ، بغداد ، 1945.
27. إيليا أبو ماضي باعث الأمل ومفجر ينابيع التفاؤل: عبد المجيد الحر، دار الفكر العربي، بيروت، 1995.
28. إيليا أبو ماضي شاعر المهجر الأكبر: زهير ميرزا، ط2، دار اليقظة العربية ، دمشق، سوريا ، 1958.

29. الإنسان في القرآن: عباس محمود العقاد، ط1، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، مصر، 2012.
30. الإنسانية الوجودية في الفكر العربي : عبد الرحمن بدوي ، ط1 ، دار النهضة المصرية، مصر، 1947.
31. بلاغة العرب في القرن العشرين: محي الدين رضا، المطبعة الرحمانية، (د.ط)، مصر، 1339هـ.
32. البيادر: ميخائيل نعيمة، ط12، مؤسسة نوفل، بيروت، لبنان، 1996.
33. التجديد في شعر المهجر: محمد مصطفى هدار، ط1، دار الفكر العربي للطباعة والنشر، 1957.
34. التفاؤل والتشاؤم: دكتور بدر محمد الأنصاري، ط1، مجلس النشر العلمي، جامعة الكويت، 1998.
35. تاريخ سوريا ولبنان وفلسطين: فيليب جتّي، (د.ط)، دار الثقافة، بيروت، لبنان، 1959،
36. تاريخ الأدب العربي، العصر الإسلامي: د. شوقي ضيف، ط7، دار المعارف، مصر، 1995.
37. تاريخ الصحافة العربية ج4: الفيكونت فيليب دي طرازي، ط1، المطبعة الأدبية، بيروت، 1913.
38. تاريخ الولايات المتحدة منذ اكتشافها إلى الزمن الحاضر ويليهِ تاريخ الهجرة السورية وما يتعلق بها: الخوري باسيل يوسف خرباوي، (د.ط)، نيويورك، 1913.
39. تاريخ الأدب العربي، العصر العباسي الأول: د. شوقي ضيف، ط7، دار المعارف، القاهرة، 1995.
40. التوضيح لشرح الجامع الصحيح: لابن الملّقن، ط1، وزارة الأوقاف، قطر، 2008.
41. جبران الفيلسوف: دكتور غسان خالد، ط1، مؤسسة نوفل للنشر، بيروت، لبنان، 1983.
42. التعريفات: علي بن محمد الجرجاني، وضع حواشيه وفهارسه: محمد باسل عيون السود، ط3، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 2009.

43. تاج العروس في جواهر القاموس: محمد بن مرتضى الزبيدي، ج5، (د.ط)، دار مكتبة الحياة، (د.ت).
44. جبران خليل جبران (حياته، أدبه): ميخائيل نعيمة، ط13، بيروت، لبنان، 2009 .
45. جبران حياً وميتاً: حبيب مسعود، ط2، دار الريحاني، بيروت، لبنان، 1966.
46. الجامع في تاريخ الأدب العربي: حنا الفاخوري، ط1، دار الجيل، لبنان، 1986.
47. 47- جوانب مضيئة من الشعر العربي: محمد عبد الغني حسن، مكتبة الأنجلو مصرية، القاهرة، 1972.
48. خزانة الأدب م2: عبد القادر البغدادي، ط4، مكتبة الخنجي، القاهرة، 1997.
49. حركات التجديد في الشعر الحديث: محمد عبد المنعم خفاجي، ط1، دار الجيل، بيروت، 1992.
50. الحماسة البصرية: ج1، صدر الدين علي بن الحسن البصري، ط3، تحقيق مختار الدين أحمد، عالم الكتب، لبنان، 1983.
51. الحنين والغربة في الشعر العربي: يحيى الجبوري، ط1، دار مجدلاوي، 2008.
52. خصائص الأدب العربي: أنور الجندي، ط2، دار الكتب اللبناني، بيروت، لبنان، 1985.
53. دراسات في الشعر العربي المعاصر: شوقي ضيف، ط2، دار المعارف، مصر، 1959.
54. دراسات في تاريخ الأدب الحديث: أحمد عزت عبد الكريم، (د.ط)، دار النهضة، بيروت 1971.
55. دمعة وابتسامة: جبران خليل جبران، ط1، مؤسسة هنداوي، القاهرة، مصر، 2011.
56. دواوين الشعراء:

ديوان أبي القاسم الشابي: ط4، دار الكتب، بيروت، لبنان، 2005.

ديوان ابن خفاجة: تقديم دكتور عمر فاروق الطباع، (د.ط)، دار القلم، بيروت،

لبنان، 1994.

ديوان أبي فراس الحمداني: شرح د. خليل الدويهي، ط2، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، 1994.

ديوان أبي تمام: شرح الخطيب التبريزي، تحقيق: محمد عبده عزام، المجلد الأول، (د.ط)، دار المعارف، مصر، 1964.

ديوان الأرواح الحائرة: نسيب عريضة، ط2، دار الغزو الفكري، عمان، الأردن، 1992.

ديوان أوراق الخريف: ندره حداد، المؤسسة المصرية، القاهرة، 1967.

ديوان ألحان مغترب: طاهر الزمخشري، ط2، مطبوعات تهامة، جدة، المملكة العربية السعودية، 1982.

ديوان الإمام علي بن أبي طالب: شرح د. يوسف فرحات، ط8، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، 2002.

ديوان أغاني الدرويش: رشيد أيوب، ط1، مؤسسة هنداوي، القاهرة، 2012.

ديوان الأيوبيات: رشيد أيوب، ط نيويورك، 1916.

ديوان إيليا أبي ماضي: تحقيق عفيف نايف خاطوم، ط1، دار صادر، بيروت، 2010.

ديوان بشار بن برد: تقديم د. احسان عباس، ط2، دار صادر، بيروت، لبنان، 2010.

ديوان تذكارات الصبا: نجيب سليمان حداد، ط1، مطبعة جريدة البصير، الإسكندرية، مصر، 1906.

ديوان تذكارات الماضي: إيليا أبو ماضي، ج1، ط1، المطبعة المصرية، الإسكندرية، مصر، 1911.

ديوان الجداول: إيليا أبو ماضي، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، 1970.

ديوان الجواهري المجلد الأول: محمد مهدي الجواهري، دار بيسان للنشر، 2000.

ديوان الحطيئة: بشرح أبي الحسن السكري، (د.ط)، مطبعة التقدم، مصر، (د ت).



- ديوان حافظ إبراهيم ج1: ط2، مطبعة دار الكتب المصرية، 1939.
- ديوان الخمائل: إيليا أبو ماضي، ط4، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، 1970.
- ديوان الروافد: شكر الله الجر، مطبعة الهدى، (د.ط) ، سان باولو، البرازيل، 1934.
- ديوان خيالات: رياض معلوف، سان باولو، البرازيل، 1945 .
- ديوان ذي الرمة: ط2، المكتب الإعلامي للطباعة والنشر، دمشق، سوريا، 1964.
- ديوان زهير بن أبي سلمى: شرحه وقدم له الأستاذ علي حسن فاعور، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1988.
- ديوان السليك بن السلكة: تقديم، د.سعدى الضناوي، ط1، دار الكتاب العربي، بيروت، 1994.
- ديوان الشوقيات ج2: أمير الشعراء أحمد شوقي، ط1، مؤسسة هنداوي، القاهرة، 2012.
- ديوان الشوقيات: تحقيق أحمد الحوفي، ج1، (د.ط)، دار نهضة مصر، 1978.
- ديوان الشرتوني: محبوب الخوري الشرتوني ، ط نيويورك ، 1937.
- ديوان الإمام الشافعي: تحقيق محمد خفاجي، ط2، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة، 1985.
- ديوان الصيف: إلياس فرحات، سان باولو، البرازيل، 1973.
- ديوان على محمود طه: على محمود طه، (د ط) ، دار العودة، بيروت، لبنان، 1999.
- ديوان عروة بن الورد: تحقيق أسماء أبوبكر محمد، ط1 ، دار الكتب العلمية، بيروت، 1992.
- ديوان عنتر بن شداد: شرح أمين سعيد، (د.ط)، المطبعة العربية، مصر، (د.ت).
- ديوان فرحات الجزء 1-3: إلياس حبيب فرحات، منظمة جميل صفدي، سان باولو، البرازيل، 1954.
- ديوان القروي: رشيد سليم الخوري ، تحقيق د. عمر بهيج ، ط4 ، وزارة الأعلام ، لبنان ، 2008.

- ديوان اللزوميات: أبو العلاء المعري، ج 1 ، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 2001.
- ديوان كثير عزة: تقديم ، مجيد طراد ، ط 3 ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، 1999.
- ديوان مسعود سماحة: مطبعة جريدة السمير، بروكلين، نيويورك، 1938.
- ديوان المتنبي: أحمد بن الحسين، تحقيق إسماعيل العقباوي، (د.ط)، دار الحرم للتراث، القاهرة ، 2007.
- ديوان من السماء: أحمد زكي أبو شادي، دار الهدى، (د.ط) ، نيويورك، 1949.
- ديوان همس الجفون: ميخائيل نعيمة، ط 6، مؤسسة نوفل، بيروت، لبنان، 2004.
- ديوان هي الدنيا: رشيد أيوب، ط نيويورك، 1939.
57. سقوط الدولة العثمانية: عبد اللطيف محمد، ط 1، مكتبة العبيكان، الرياض، 1996.
58. سوريا صنع دولة وولادة أمة: وديع بشور، ط 1، دار اليازنجي، دمشق، 1994.
59. شروح سقط الزند لأبي العلاء المعري، القسم الثاني: الدار القومية للطباعة والنشر، بإشراف د. طه حسين، القاهرة (د.ت).
60. شعر المهجر: كمال نشأت، (د.ط)، دار مصر للطباعة ، القاهرة ، مصر، 1966.
61. شعراء الرابطة القلمية: نادرة جميل سراج ، ط 1، دار المعارف ، مصر ، 1964.
62. الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي: يوسف عبد القادر خليف ، (د.ط)، دار المعارف، القاهرة، 1959.
63. شعر الطبيعة في الأدب العربي: سيد نوفل ، ط 1، مطبعة مصر، القاهرة، 1945.
64. الشعر العربي في المهجر الأمريكي: وديع أمين ديب، ط 1، دار ربحاني ، بيروت، 1955.
65. الشعر العربي في المهجر: محمد عبد الغني حسن، ط 1، مطبعة التأليف والنشر، القاهرة، 1962.
66. الشعر العربي الحديث آفاقه وسبل تذوقه ونقده: محمد صالح الشنطي وآخرون، ط 1، دار الأندلس للنشر، حائل، السعودية، د.ت.

67. الشعر العربي في المهجر "أمريكا الشمالية": إحسان عباس ومحمد يوسف نجم، ط3، دار صادر، بيروت، لبنان، 1982.
68. الشعر العربي المعاصر قضاياها وظواهره الفنية والمعنوية: د. عز الدين إسماعيل، ط3، دار الفكر العربي، 1966.
69. الشعر القومي في المهجر الجنوبي: عزيزة مريدن، ط2، دار الفكر، دمشق، 1973.
70. الشاعر حافظ إبراهيم: زكي مبارك، ط1، دار الجيل، بيروت، لبنان، 1991.
71. الصاحبى في فقه اللغة: أحمد بن فارس، تحقيق أحمد صقر، (د.ط)، مطبعة الحلبي، مصر، 1977.
72. الصناعتين: أبو هلال العسكري، تحقيق على البجاوي، ط1، دار إحياء الكتب العربية، 1952.
73. عندما ألتقيت عمر بن الخطاب رضي الله عنه: أدهم شرقاوي، ط1، دار كلمات للنشر والتوزيع، الكويت، 2017.
74. العهد الجديد، إنجيل متى.
75. غربة الإسلام: ابن رجب الحنبلي، تحقيق أحمد السرياطي، ط1، دار الكتاب العربي، 1954.
76. غرائب الغرب: محمد كرد علي، ط2، المطبعة الرحمانية، ج2، مصر، 1923.
77. الغربال: ميخائيل نعيمة، ط15، مؤسسة نوفل، بيروت، لبنان، 1991.
78. الغربة والحنين في الشعر الفلسطيني: أمين صالح، منشورات جامعة قاريونس، بنغازي، ليبيا، 1995.
79. في الميزان الجديد: محمد مندور، ط1، مؤسسة هنداوي، القاهرة، مصر، 2020.
80. في الأدب الحديث: عمر الدسوقي، ج2، ط1، دار الفكر، القاهرة، 1950.
81. قاموس جبران خليل جبران: إسكندر نجار، ترجمة ماري طوق، ط1، دار الساقى، بيروت، 2008.
82. قس بن ساعدة، حياته، خطبه، شعره: د. أحمد الربيعي، ط1، مطبعة النعمان، بغداد، 1974.

83. قصة الأدب المهجري: محمد عبد المنعم خفاجي، ط2، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1973.
84. القصة في الأدب العربي الحديث: محمد يوسف نجم، (د.ط)، القاهرة، مصر، 1952.
85. القومية الإنسانية في شعر المهجر الجنوبي: عزيزة مريدن، ط1، الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة، 1966.
86. القيم الروحية في الشعر العربي: ثريا عبد الفتاح، دار الكتاب اللبناني، بيروت، لبنان، 1950.
87. كتاب المفصل في تاريخ العرب: جواد علي، ط4، دار الساقى، بيروت، 2001.
88. كتاب حديث الأربعاء: طه حسين، ج3، ط12، دار المعارف، مصر، 1973.
89. لسان العرب: ابن منظور، محمد بن مكرم، ط4، دار صادر، بيروت، لبنان، 1994.
90. لبنان بعد الحرب: أوغست أديب باشا، ترجمة فريد حبيش، (د.ط)، دار المعارف، القاهرة، 1919.
91. الليالي: ألفريد دي موسيه، ترجمة محمد مندور، ط1، مؤسسة هنداوي، القاهرة، 2019.
92. ما وراء البحار: تأليف أمين الريحاني وآخرون، ط1، مؤسسة هنداوي، القاهرة، 2020.
93. مجموعة الرابطة القلمية لسنة 1921: ميخائيل نعيمة، المطبعة التجارية السورية الأمريكية، نيويورك، 1921.
94. مذكرات الأرقش: ميخائيل نعيمة، ط1، مكتبة شغف، فلسطين، 2018.
95. معجم الشعراء الجاهليين: عزيزة فوال، ط1، دار صادر، بيروت، 1998.
96. معالم التاريخ الإسلامي المعاصر: أنور الجندي، (د.ط)، دار الاعتصام، 1981.
97. مقدمة في منهج البحث العلمي: رحيم يونس العزاوي، ط2، دار دجلة، عمان، الأردن، 2008م.

98. المقابسات: أبو حيان التوحيدي، تحقيق حسن السندوبي، ط1، دار سعاد الصباح، الكويت، (د.ت).
99. موت الإنسان في الخطاب الفلسفي: عبد الرازق الداوي، (د.ط)، دار الطليعة للنشر، بيروت، لبنان، 1992 .
100. موسوعة الشعراء العرب: محمد بوزواوي، (د.ط)، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2010.
101. موقف المعارضة في المشرق العربي من حكم السلطان عبد الحميد الثاني: سعيد الغامدي، (د.ط)، مكتبة النوبة، 1992.
102. المنجد في اللغة والأدب والعلوم: (د.ط) ، للأب لويس معلوف.
103. المعجم الوسيط: مجمع اللغة العربية، ج1، (د.ط)، دار إحياء التراث العربي، القاهرة، 1960.
104. المجموعة الكاملة: ميخائيل نعيمة، م1، ط1، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، 1975.
105. المجموعة الكاملة لمؤلفات جبران خليل جبران (الشعر): جمع وتقديم أنطوان - القدال، ط1، دار الجيل، بيروت، 1999.
106. المجموعة الكاملة لمؤلفات جبران المعربة: (د.ط)، دار صادر، ودار بيروت، بيروت، لبنان، 1964.
107. المخصص: أبو الحسن علي بن إسماعيل ابن سيده، ج1، (د.ط)، دار الكتب العلمية، بيروت، (د.ت).
108. مسند الإمام أحمد بن حنبل، ج5، تحقيق الشيخ شعيب الأرنؤوط وآخرون، مؤسسة الرسالة.
109. المقال وتطوره في الأدب المعاصر: السيد مرسي أبو ذكري، ط1، دار المعارف، مصر، 1981.
110. المغتربون: عبد اللطيف اليونس، (د.ط)، مطبعة العرفان، صيدا، لبنان، 1964.
111. المهاجرة اللبنانية: ميشال شلبي، بحث علمي اجتماعي اقتصادي، بيروت، 1927.

112. المعلقات العشر: شرح الحسين بن أحمد الزوزني، (د.ط)، دار مكتبة الحياة، بيروت، 1983.
113. نظرات في التصوّف والكرامات: محمد جواد مغنية، ط1، دار المكتبة الأهلية، بيروت، 1963.
114. نساء في حياة جبران وأثرهن في أدبه: وفيق غريزي، ط1، دار الطليعة للطباعة والنشر، 1992.
115. النزعة الإنسانية في شعر الرابطة القلمية: فصل سالم العيسى، ط1، دار اليازوري، عمّان، الأردن، 2005.
116. النزعة الإنسانية في الشعر العربي القديم: محمد إبراهيم حور، ط2، مكتبة المكتبة، العين، 1985.
117. النزعة الإنسانية في الشعر العربي المعاصر: أنور الشعر، ط1، مطبعة السفير، عمان، الأردن، 2016.
118. الناطقون بالضاد في أمريكا الجنوبية: البدوي الملثم، ج2، دار ربحاني للطباعة والنشر، (د.ط)، بيروت، لبنان، 1956.
119. نزعة الأنسنة في الفكر العربي: محمد أركون، ترجمة: هاشم صالح، (د.ط)، دار الساقى، 1997.
120. "النبي": جبران خليل جبران، ترجمة: أنطونيوس بشر، ط1، مؤسسة هنداوي للنشر، القاهرة، 2017.

#### المراجع الأجنبية:

121. Syria and Lebanon : by P. K , Hitti , Mannheim, (2001) p625.
122. The Syrians in America : by P. K , Hitti , New York ,p32.
123. This man from Lebanon: Barbara Young , NewYork,p19 ,1944.
124. Humanism as a Philosophy : Corliss Lamant , Philosophical Library 1949 pp19.



دار آريثيريا للنشر والتوزيع  
Arriyria for Publishing and Distribution

# د. صلاح التوم إبراهيم محمد



الميلاد: كسلا 1970م

المراحل التعليمية:

الابتدائية: كسلا الميرغنية الغربية

المتوسط: الكارة المتوسطة

الثانوية: كسلا (معهد التربية كسلا)

الجامعة: بخت الرضا ، كلية علوم التربية ، قسم اللغة العربية (بكالوريوس التربية) .

الدراسات فوق الجامعة:

ماجستير اللغة العربية، معهد الخرطوم الدولي للغة العربية.

دكتوراه الفلسفة في اللغة العربية وآدابها تخصص أدب ونقد، جامعة كسلا.

مدير مدرسة عمر الحاج موسى الثانوية بنين - كسلا

باحث - مركز بحوث ودراسات دول حوض البحر الأحمر(السودان)

## أوراق علمية منشورة في مجلات علمية محكمة:

- مظاهر النزعة الإنسانية عند شعراء الرابطة القلمية، مجلة آداب العلمية، جامعة امرمان الأهلية، العدد (6) 2021م
- الإنشاء الطلبي في ديوان ادريس جماع، مجلة القلزم، العدد(14)، 2021م
- محاسن ومسائري هجرة أدباء المهجر، مجلة القلزم الدولية، العدد(18)، 2022م
- القيم الأخلاقية في ديوان محمد سعيد العباسي، مجلة مروي التكنولوجية، 2022م
- التشاؤم والتفاؤل عند شعراء الرابطة القلمية، العدد(16)، 2022م
- التجديد في الأوزان والقوافي في الشعر المهجري، مجلة القلزم، العدد(17)، 1444هـ
- عمق الشعور بالطبيعة في الشعر المهجري، مجلة القلزم ، العدد(20)، 2023م
- القيم الدينية في الأمثال الشعبية السودانية، مجلة القلزم التربوية واللغوية، العدد(21)، سبتمبر 2023م .

## دورات تدريبية :

- لغة الإشارة ، الجمعية القومية السودانية لرعاية الصم .
- دبلوم الحاسوب التطبيقي، مركز اليونسكو للعلاقات الدولية (الخرطوم) .
- السبورة التفاعلية، إدارة التعليم الإلكتروني ، ولاية كسلا.
- الإدارة التربوية ، إدارة التدريب والتأهيل التربوي كسلا.
- الاسعافات الأولية والصحة المدرسية، جمعية الهلال الأحمر السوداني، كسلا.
- الصيدلة والرعاية الأولية للطلاب، معهد ستانلي للتدريب، الخرطوم .
- بين الغذاء والصحة، الجمعية السعودية للعلوم التربوية والنفسية.
- الألعاب التعليمية، مركز القمة للدراسات والتدريب، مصر .
- دور الأدب في تعزيز الأمن الفكري، الجمعية الأهلية الصالحة بعنيزة، السعودية .
- استراتيجيات القيادة، الجمعية الأهلية الصالحة بعنيزة، السعودية .
- إعداد الوسائل التعليمية والتقنيات التربوية ، معاهد تدريب وتأهيل المعلمين، كسلا.
- إدارة صراعات العمل، الكلية التطبيقية فرع محال، جامعة الملك خالد السعودية.
- فعاليات الملتقى الخامس لتعليم اللغة العربية للناطقين بلغات أخرى، الأكاديمية العربية ، مصر.



دار آرشيا للنشر والتوزيع  
Anythia for Publishing and Distribution